وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات

العدد 02
ديسمبر 2021

مجلة كفاية للغة والأدب

مجلة علمية دورية محكمة صادرة عن
معهد الآداب واللغات المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

N° 02
2021

المجلد 01 / العدد 02 / ديسمبر 2021
ر.د.م.د: 2773-2797

Ministry of Higher Education and Scientific Research, Algeria
University Center Abdelhafid Boussouf Mila

Institute of Letters and Languages

Journal of: Kefaya for Language and Literature

Refereed periodical scientific journal, issued from:

Institute of Letters and Languages , University Center Abdelhafid Boussouf Mila

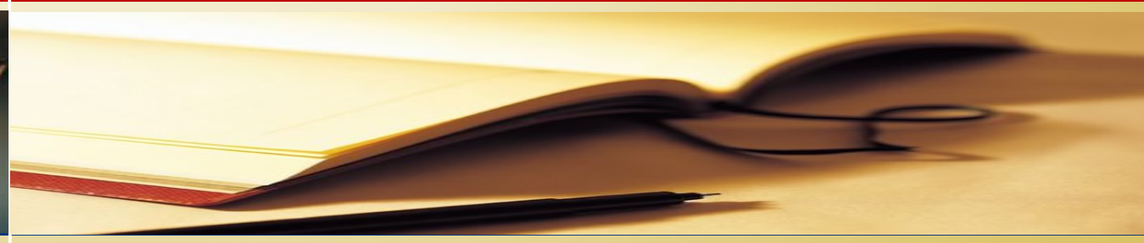

Vol 01 / N° 02 - December 2021
ISSN: 2773- 2797

مجلة كفاية

معهد الآداب واللغات – المركز الجلمعي عبد الحفيظ بوالصوف

ميلة

جميع الحقوق محفوظة

المجلد 01- العدد 02- ديسمبر 2021م

الآراء الواردة في المقالات لا تعبر عن رأي المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجـــلة كفاية للغة والأدب

دورية، علمية، محكمة، نصف سنوية

تصدر عن المركز الجامعي **عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة -الجزائر**

e-ISSN : **ISSN : 2773-2797**

رقم الايداع القانوني:

جميع الحقوق محفوظة

لمجلة كفاية للغة والأدب JMRS © 2021

(http://jmrs.centre-univ-mila.dz)

هيئة الإشراف على مجلة كفاية للغة والأدب

مدير المجلة: د. عبد الحميد بوفاس — المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة–الجزائر

مدير النشر: د. زبير بن سخري — المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة–الجزائر

رئيس التحرير:

د. زبير بن سخري — المركز الجامعي ميلة–الجزائر

أعضاء هيئة التحرير

د. طارق بوحالة	المركز الجامعي ميلة–الجزائر
د. بوالضربان عبد الرحيم	المركز الجامعي ميلة–الجزائر
د. بن شريف هشام	المركز الجامعي ميلة–الجزائر
د. لطرش عبد الله	المركز الجامعي تندوف– الجزائر
د. لشهب حياة	المركز الجامعي ميلة–الجزائر
د. معاشو بووشمة	المركز الجامعي ميلة–الجزائر
د. بوقطوش عبد الرزاق	جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة– الجزائر
د. شيبان رشيد	المركز الجامعي تندوف–الجزائر
د. مغربي محمد رضا	المركز الجامعي تندوف– الجزائر
د. شارف عماد	جامعة الشريف مساعدية سوق أهراس– الجزائر
أ. الشمالي بشرى	جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر
أ. حمامدية سمير	جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر
أ. ورتسي سمير	جامعة 8 ماي 1945 قالمة – الجزائر
د. الخياري حياة	جامعة قابس– تونس
أ.د. أمعضشو فريد	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين وجدة– المغرب
د. وليد خضور	المركز الجامعي ميلة – الجزائر
د.مختار بن وزغار	جامعة غليزان– الجزائر
د. حميدة سليوة	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. سعاد حميدة	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
أ. سعاد بولحواش	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. سليمة خليل	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
أ.د. وردة مسيلي	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. عبد الحليم معزوز	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
أ. خالد سوماني	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. ياسر بومناخ	المركز الجامعي ميلة– الجزائر

أمـانة المجـلة

د. ناصر بعداش

العنوان: أمانة إدارة مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، جامعة عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة– ص. ب رقم 26 RP ميلة 43000 الجزائر

البريد الالكتروني: kifayamila@gmail.com

اللجنة العلمية لمجلة كفاية للغة والأدب

من داخل المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف _ ميلة

أ.د. ضيف عبد المالك	د. يعقوب مومني	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. وفاء مناصري	أ. عبد المومن رحماني	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. وهيبة جراح	د. هاجر بكاكرية	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. سمير معزوزن	أ. مسعودة بوجريدة	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. فؤاد بولقرون	د. عبد الهادي حمر العين	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. عواريب سليم	د. عيسى قيزة	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
أ. بشير عروس	د. فاتح مرزوق	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. مها لونيس	د. طبيش عبد الكريم	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. جميلة عبيد	د. زهيرة بوزيدي	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. كاملة مولاي	د. عزوي آسيا	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. بوسكاية شهيرة	د. معاشو بووشمة	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
د. حياة لشهب	د. بوشوشة مريم	المركز الجامعي ميلة– الجزائر
أ. سليم بوداد	أ.هشام باروق	المركز الجامعي ميلة– الجزائر

من باقي جامعات الوطن

أ.د. ناصر اسطمبول	جامعة وهران1– الجزائر
أ.د. صلاح الدين زرال	جامعة سطيف 1– الجزائر
أ.د. عبد الوهاب شعلان	جامعة سوق أهراس– الجزائر
أ.د. علي خفيف	جامعة عنابة – الجزائر
أ.د. صالح بلعيد	المجلس الأعلى للغة العربية– الجزائر
أ.د. جلال خشاب	جامعة سوق أهراس– الجزائر
أ.د. يوسف وغليسي	جامعة قسنطينة 1 – الجزائر
أ.د. محمد كعوان	المدرسة العليا للأساتذة/قسنطينة – الجزائر
أ.د. فيصل لحمر	جامعة جيجل – الجزائر
د. جيلالي جقال	المركز الجامعي آفلو – الجزائر
د. وناسة كحيلي	جامعة الطارف – الجزائر
د. سهيلة سبتي	جامعة عنابة – الجزائر
د. دلال عباسي	جامعة سوق أهراس – الجزائر
د. شادية يحيا	جامعة سوق أهراس – الجزائر
د. محمد عروس	جامعة تبسة– الجزائر
د. وسام تواتي	جامعة الجزائر– الجزائر
د. بلال العفيون	جامعة جيجل– الجزائر

د. جنات بلخن	جامعة قسنطينة 2- الجزائر
د. فاتح بوالنار	جامعة جيجل- الجزائر
د. رفيقة ملاك	جامعة جيجل – الجزائر
د. طارق زيناي	جامعة أم البواقي – الجزائر
د. شوشان سلمى	جامعة سطيف- الجزائر
د. الجيلالي جقال	المركز الجامعي آفلو- الجزائر
د. شلبي عبد الكريم	جامعة عنابة – الجزائر
أ.د. اليامين بن تومي	جامعة سطيف- الجزائر
د. محمد بكاي	المركز الجامعي مغنية/تلمسان-الجزائر
أ.د. لزهر مساعدية	جامعة خنشلة- الجزائر
د. خير الدين هبال	جامعة لمسيلة – الجزائر
د. ياسين بلال	المدرسة العليا للأساتذة العلمة – الجزائر
د.علاوة كوسة	المركز الجامعي بريكة/باتنة – الجزائر
د. يوسف عطية	جامعة تبسة- الجزائر
د. سعد الجموعي	جامعة سوق أهراس- الجزائر
د. خالد بلعربي	جامعة تيارت- الجزائر
د. عاشور توامة	المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة- الجزائر
د. رشيد سلطاني	جامعة تبسة- الجزائر
أ. سامي أبو عيسى	جامعة قالمة – الجزائر
أ. عبد الحق مواسة	جامعة قالمة- الجزائر
أ. سليم بوعجاجة	جامعة بومرداس- الجزائر
د. الحبيب عمي	جامعة بجاية- الجزائر
د. بن شيحة نصيرة	جامعة غليزان – الجزائر
أ.د. عبد الحليم بن عيسى	جامعة وهران 1 – الجزائر
د. بلخامسة كريمة	جامعة بجاية- الجزائر
د. دلال وشن	جامعة الوادي- الجزائر
أ.د. رضوان جنيدي	جامعة تمنراست – الجزائر
د. عبد القادر قصاب	جامعة تمنراست – الجزائر
أ.د. طارق ثابت	جامعة باتنة 1 – الجزائر
أ. زهير سبوسي	المدرسة العليا للأساتذة العلمة – الجزائر
د. نجيب بن عياش	المدرسة العليا للأساتذة العلمة- الجزائر
د. سليم سعدلي	جامعة برج بوعريريج- الجزائر
أ.د. محمد الأخضر صبيحي	جامعة قسنطينة 1- الجزائر
د. علي كرباع	جامعة الوادي- الجزائر

د. رضا جمعي	جامعة مستغانم– الجزائر
أ. بوزيد مرزوق	جامعة وهران2– الجزائر

من خارج الوطن

أ.د. خليفة بوجادي	جامعة الموصل – الإمارات العربية المتحدة
أ.د. فاضل عبود التميمي	جامعة ديالة _ دولة العراق
د. بوشعيب الساوري	جامعة الدار البيضاء – الملكة المغربية
د. رضا لبيض	جامعة الملك عبد العزيز– تونس
د. أحمد الملباري	جامعة نوتنغهام ، المملكة المتحدة
د. صاحبي بن أحمد	جامعة قابس– تونس
د. ميادة عكاوي	جامعة الشارقة– الإمارات العربية المتحدة
د. مصطفى العادل	جامعة وجدة – المغرب
د. بدر الجبر	جامعة محمد بن سعود الرياض– السعودية
د. ابتسام وسلاتي	المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي– تونس
د. سعيد الرحمان	جامعة عالية كلكتا – الهند
أ.د أحمد فلاحي	جامعة الفلوجة– العراق

اهتمامات المجلة

تنشر المجلة البحوث والدراسات النظرية والتطبيقية الجادة التي تتميز بالأصالة العلمية في مجال **الآداب واللغات** بشتى فروعها وتقاطعاتها، في **اللغة الثلاث؛ العربية والفرنسية والإنجليزية وآدابها** ومما يتصل بها من حقول موجودة واخرى مستحدثة، كما تفتح المجلة أوراقها للمراجعات النقدية والردود العلمية حول الاصدارات العلمية المختلفة في مجال اهتمامها.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إحداث تكامل بين المعارف اللغوية والأدبية والعلوم الاجتماعية والإنسانية على اختلاف لغاتها، حارصة على نشر البحوث والدراسات التي تتناول إشكالات راهنة ومهمة على المستوى المعرفي والواقعي في فضاءنا الجزائري والعربي.

قواعد وشروط النشر بالمجلة

- تنشر المجلة البحوث الأصيلة التي لم يتم نشرها من قبل ولم يسبق تقديمها لمجلة أخرى أو المشاركة بها في ملتقى أو مؤتمر علمي، كما لا تقبل البحوث التي تكون جزءا مستلا من رسالة الماجستير أو الدكتوراه أو كتاب منشور.
- تستقبل البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، على أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، وأن يستهل بصفحة مستقلة يذكر فيها الباحث بعد عنوان بحثه المعلومات التالية (الاسم واللقب، الرتبة العلمية، المؤسسة الجامعية، البلد، ومعلومات الاتصال به) ويتبع ذلك بملخصين أحدهما بلغة البحث والآخر باللغة الانجليزية وجوبا.
- يحرر البحث باللغة العربية بخط Traditional Arabic الحجم 16، وبالخط Times New Roman للبحوث والكتابات باللغة الأجنبية الحجم 12، أما العناوين فبنفس الخط ولكن ببنط عريض، أما المسافات فتكون وفق القالب الذي توفره المجلة.
- تدون الإحالات والهوامش بطريقة آلية في آخر المقال.

أخلاقيات النشر

- تخضع البحوث بعد مراجعتها من قبل هيئة التحرير إلى التحكيم العلمي من متخصصين، ويطلع الباحث على نتيجة تقارير المحكمين ليعدل بحثه وفقها أو يبيّن رأيه فيما لا يتفق معها، وتحسم هيئة التحرير الخلاف في ذلك، وتتم إجراءات التحكيم وجوبا عبر البريد الإلكتروني وفي آجال محددة تنظم العملية.
- على الباحث أن يتحقق من صحة البيانات التي يعرضها وأن يحصل على إذن بنشرها في الحالات التي تتطلب ذلك.

- يجب الالتزام بعدم انتهاك أخلاقيات النقد العلمي والموضوعي والابتعاد عن القذف والتشهير وإطلاق الاحكام العامة المسبقة.
- يلتزم المؤلفون بقواعد التحرير والأمانة العلمية المتعارف عليها ويتعهدون بذلك.
- كل مقال يثبت أنه سبق نشره أو تقديمه لجهة أخرى للنشر أو يثبت تعديه على قواعد أخلاقيات البحث العلمي فإن صاحبه يدرج في القائمة الممنوعة من النشر بالمجلة.
- يجب على المؤلفين والمحكمين الحرص على شفافية التحكيم وسريته، ويكتفى بأمانة المجلة كمنسق بين مختلف الأطراف أو رئيس التحرير.
- تحترم المجلة الحرية الأكاديمية والفكرية المختلفة المتوافقة مع تشريعات وزارة التعليم العالي؛ وهي غير ملزمة بها بل تخص أصحابها فقط.

الملكية الفكرية

- الآراء في البحوث المقدمة تلزم أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن هيئة تحرير المجلة أو الجهة التي تصدر عنها.
- يتعهد المؤلفون باحترام قواعد وحقوق الملكية الفكرية.
- تعود الملكية الفكرية للمقالات للمنشورة لمجلة كفاية للغة والأدب ولا يجوز إعادة نشرها كليا أو جزئيا إلا بموافقة مكتوبة من إدارة المجلة.

إجراءات النشر

- **تقديم المقالات. :**

– تقديم المقالات المقترحة للنشر في مجلة "كفاية للغة والأدب " يتم عبر بريد المجلة الإلكتروني أو عبر البريد العادي يكون المقال مصففا ومطبوعا مصحوبا بنسخة إلكترونية على قرص مضغوط .

– لتقديم المقال، يلتزم المؤلفون بتنزيل الملفات المضغوطة المتواجدة صفحة المجلة من خلال أيقونات" تعليمات للمؤلفين " و " دليل المؤلفين " على موقع مركزنا الجامعي أو ترسل للمؤلف عبر البريد الإلكتروني.

– يلتزم المؤلفون حتما بإتباع التعليمات والتوصيات المذكورة في "تعليمات للمؤلفين" و "دليل المؤلفين" من أجل تسهيل وتسريع عملية النشر.

- **معالجة المقالات :**

– عند الاستلام الإلكتروني للمقال، يتلقى المؤلف/المؤلفون إشعارا بالاستلام ويطلب منه/منهم تأكيد أنه صاحب/أنهم أصحاب المقال.

- تشرع هيئة التحرير في الفحص الدقيق والسري للمقال وذلك من خلال دراسة توافق هذا الأخير مع القواعد الشكلية للنشر المجلة، ويتم رفض المقال إذا أخل بتلك القواعد.
- تقوم اللجنة بإبلاغ المؤلف صاحب المقال المرفوض مع ذكر أسباب الرفض، ويمكن للمؤلف إعادة صياغة مقاله مع مراعاة التوصيات المقدمة له و إرساله من جديد.
- إذا كان المقال مهيئا للتقييم يتلقى المؤلف تلقائيا رسالة إلكترونية تفيد بقبول مقاله للتقييم.
- عند قبول هيئة التحرير لتقييم المقال، يخضع هذا الأخير بعد إغفاله للمعاينة والتحكيم من طرف خبيرين سريين على الأقل بحيث لا يتم التعريف بهوية المؤلف ولا هوية المحكمين.
- تمنح مدة شهر في المتوسط لكل محكم كي يرسل تقييمه، وإذا تجاوزت المدة شهرين كأقصى حد، تقوم هيئة التحرير بتعيين مقيم آخر، في بعض الحالات ترسل هيئة التحرير نداء للمقيمين تطلب منهم الالتزام بمدة معينة.
- في حالة توافق المقيمين على رفض المقال، تقوم اللجنة بإبلاغ المؤلف صاحب المقال مع ذكر أسباب الرفض.
- في حالة ورود تحفظات على نشر المقال في صيغته الأولية، يتوجب على المؤلف الرد على التحفظات في المدة التي تحددها هيئة التحرير.
- أما إذا اختلف المحكمان بين الرفض والقبول، تقوم هيئة التحرير بتعيين محكم ثالث يكون قراره مرجحا.
- يعلم المؤلف بجميع مراحل تقييم مقاله عبر البريد الإلكتروني الرسمي الخاص به.

- **الإجراءات اللازمة لنشر مقال. :**

- في حالة توافق المقيمين على رأي إيجابي وكان المقال مقبولا للنشر، يتلقى المؤلف رسالة قبول عبر بريده الإلكتروني.
- إرسال شهادة نقل حقوق المؤلف، والتي تم تنزيلها من الملف المضغوط الموجود في" إرشادات للمؤلفين.
- إرسال تعهد باحترام أصالة البحث والقواعد المتعلقة بالأمانة العلمية والذي يتم تنزيلها، بنفس الطريقة، من الملف المضغوط الموجود في قسم" دليل للمؤلفين."

المجلد 01

العدد 02

ديسمبر 2021

محتويات المجلد 01 العدد 02		
افتتاحية العدد		
جلال خشاب	الخطاب الإشهاري مِنَ الإبداع إلى الإقناع	**13**
بن علي لونيس	المعرفة والإنسان: حدود المنهج العلمي في العلوم الإنسانية وفي الدراسات الأدبية	**23**
طلحة عبد الباسط	النقد الثقافي؛ النشأة والتطوّر	**33**
عنتر رمضاني **سهى حيمور**	جهود العلامة محمد البشير الإبراهيمي في النهضة باللغة العربية في الجزائر	**47**
تبر الطرش	الصورة السينمائية: الإنتقال من الشكل التناظري إلى الشكل الافتراضي.	**67**
وهيبة جراح	التأويل وتوالد المعنى في الخطابات الغنوصيّة (نماذج مختارة من الأدب الصوفي)	**78**
موهوب أحمد	لغة التدريس في الجامعات وتأثيراتها	**85**
Boudjerida Messaouda	How less is more" in the American Minimalist" Style: the Short Fiction of Ernest Hemingway and Raymond Carver	**93**
BENNACER Fouzia **LOUNIS Maha**	Applications and Websites for Writing the Literature Review	**105**
أحلام سعيدي	البعد التّداولي في البلاغة الجديدة عند محمد العُمَري من خلال كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي"	**115**
دودية عبدالقادر	المكان السردي في القصة الأموية «وضاح وأم البنين»	**124**

يسر هيئة تحرير مجلة "كفاية للغة والأدب" أن تقدم عددها الثاني للقراء من أساتذة وأكاديميين وطلبة، فاتحة آفاقا جديدة في الفكر والنقد والدراسات باللغة العربية والانجليزية والفرنسية، ونسعى باستمرار لتشجيع المغامرة في البحث والنشر تدعيما للغتنا العربية غير مكتفين بالترجمة والتلقي السلبي.

وردت في هذا العدد عشر مقالات في مختلف التخصصات؛ مستهلينها بمقال الأستاذ الدكتور **جلال خشاب** حول الخطاب الإشهاري؛ وإضافات هذا الحقل المعرفي في الدراسات البينية بين الاقتصاد واللغة، تتقاطع معه الباحثة **أحلام سعيدي** في مقاربتها حول كتاب " بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العمري في علاقة البلاغة بالتداولية، معرجين على مقال الناقد الجزائري الدكتور **بن علي لونيس** في حدود المنهج العلمي في الإنسانيات والدراسات الأدبية، تحذوه الدكتورة **وهيبة جراح** في التأويل والخطابات الغنوصية، ليمضي بنا الدكتور **طلحة عبد الباسط** إلى حقل النقد الثقافي وجدلية النشأة والمفهوم، وتستمر معه الدكتورة **تبر الطرش** من تونس الشقيقة في أدب الهامش حول أهمية وتحولات الصورة في السينما، ليفتح بعدها حقل التعليميات من التطبيقات الإلكترونية وأثرها في الكتابة باللغة الإنجليزية بين الدكتورتين **مها لونيس** و**بن ناصر فوزية**، ليكمل جهدهما الدكتور موهوب أحمد حول لغة التدريس في الجامعات الجزائرية، ويليه الباحث **عنتر رمضاني** و**سهى حيمور** حول جهود البشير الإبراهيمي في النهوض بلغتنا العربية، اختتاما بمقال الباحثة **مسعودة بوجريدة** حول أسلوب الإيجاز في قصص **أدغار ألان بو** و**ريموند كارفر** باللغة الانجليزية.

سنكون مدينين بالشكر لكل المحكمين ولكل من ساهم معنا في إخراج هذا العدد، ولكل من تواصل معنا.

رئيس التحرير

الخطاب الإشهاري مِنَ الإبداع إلى الإقناع

The advertising discourse, from creativity to persuasion

أ.د / جلال خشاب[1] / جامعة محمد الشريف مساعدية–سوق أهراس . (الجزائر)، *jalelkhechab@gmail.com*

تاريخ الاستلام: 10 / 10/ 2021 تاريخ القبول: 11/ 12 / 2021 تاريخ النشر: 31 / 12/ 2021

ملخص:

يرتبط الخطاب الاشهاري بالفضاء الاقتصادي ،حيث بات أمرا ضروريا بالنظر إلى ما يتمتع به من إستراتيجية فاعلة ومؤثرة تجعل من مكوناته اللسانية وغير اللسانية عناصر فاعلة في تحقيق الغاية التجارية. وفي هذا الفضاء تتنزل مداخلتي الموسومة بـ: "الخطاب الإشهاري من الإبداع إلى الإقناع" والرامية إلى الكشف عما تقوم به الأفعال الكلامية من وظائف مختلفة يراد تحققها لدى المشاهد والتي تبدأ من التعريف بالمنتوج إلى كيفية التعامل ثم الشراء، فضلا عن الأفعال الأخرى المنحدرة من الممارسات الكلامية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الخطاب الإشهاري، العلامة، التداولية، الأفعال الكلامية.

Abstract:

Publicity discourse is linked to economic space through its prominent presence in the equation between buying and selling as it is necessary in view of its effective and influential strategy that make its linguistic and non-linguistic components of audio and visual actors active in achieving the business goal. In this regard, my presentation entitled "The advertising discourse, from creativity to persuasion" aims to revealing the different functions of speech acts that consists of knowledge, definition, verbal acts and other verbal practices.

Keywords: *Discourse, Publicity discourse, Sign, deliberative speech, Speech Acts.*

[1] **المؤلف المرسل:** أ.د / جلال خشاب ، **الإيميل:** jalelkhechab@gmail.com

توطئة

إن كلمة (Publicité) مشتقة من التعبير اللاتيني (Publicus)و الواردة في معجم الأكاديمية لسنة 1964، وهي ذات استعمال قانوني، ثم أخذت معناها التجاري في القرن التاسع عشر »(1). و في الدراسات العربية تقابل لفظة الإشهار بالإعلان حيث يعود الدكتور عبد السلام أبو قحف بهذه الأخيرة إلى القرآن الكريم سعيا منه إلى «التأريخ للفظة من خلال قول تعالى:﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ آية 09 من سورة نوح (2).

ونظرا للأهمية البارزة التي يكتسيها الإشهار، فإن تعريفات الدارسين تناولته من زوايا مختلفة، مما يعكس حيويته واتصاله المباشر بالمجتمع ومتطلباته، حيث يعرفه روبير لوديك Robert Le Duc « بأنه مجموعة من الوسائل موجهة لإعلام الجمهور، وإقناعه بشراء منتوج أو قبول خدمة »[3].

أما الباحث جون كلود داستو (Jean Claude Dastot) فيرى « أن الإشهار وسيلة اتصال بالجمهور والتحدث إليه بشأن منتوج أو خدمة »(4). وهما تعريفات يؤكدان على الوظيفة الإعلامية والتجارية للخطاب الإشهاري القائم على الإقناع والترويج للمنتوج. ومحاولة منهما التوسع في المجال التعريفي يعتبر الباحثان برنار دي بلا وهنري فرديي Bernard Deplas et Henri Verdier الإشهار « مجموع التقنيات ذات الأثر الجماعي المسخرة لفائدة مؤسسة أو مجموعة مؤسسات لكسب الزبائن »[5]، ثم يستدرك الباحثان الأمر بإضافة تشير إلى أن التعريف يظل منقوصا إذا لم تعرف الوظائف الإشهارية ذات الأهمية العظيمة في العالم المعاصر.

فالإشهار إذا وسيلة اتصال بالجمهور المستهلك والعمل على إقناعه قصد الإقبال على المنتوج، لكن هذا الاتصال يجب أن يكون مبنيا وفق منهج مخطط ومدروس بعيدا كل البعد عن روح المجازفة والمخاطرة في عالم اقتصادي لا يغتفر الزلة التجارية إذا لم تضبط التقنية التواصلية التي يعتبرها الباحث هاس C.R. Haas أساس العمل الإشهاري لقوله:« الإشهار عبارة عن قضية اتصال يتجلى هدفها في التسيير والترويج لأفكار، أو لبعض الاتصالات ذات النوع الاقتصادي »[6].

كما يخرج دارسون وآخرون عن دائرة هذه التعريفات معتبرين الإشهار حياة أو نمطا ضروريا من أنماط المعيشة المعاصرة، إذ يعتبر دينان R. Duenin « الهواء مؤلفا من أكسجين وآزوت وإشهار»[7]. ولعل هذا التعريف يدعونا إلى استحضار ما كتبه أحد الأشخاص على لوحة مكفوف متسول « مكفوف منذ الطفولة » إلى عبارة « الربيع حل لكنني لم أره، مما كان لها وقع في نفوس المارة فأجزلوا العطايا »[8].

إن الطريقة التعبيرية التي ينتجها مبدع الخطاب الإشهاري طريقة مرنة تجمع طول الدرب والممارسة اللغوية، والتمكن الواضح من أساليب التسويق المتداولة لأجل الإقناع والتأثير والاستمالة، لذا فالإشهار شكل من أشكال الاتصال يقوم على إستراتجية لغوية واقتصادية واضحة المعالم تدغدغ عواطف المستهلك، مع مراعاة اهتماماته ودراسة حاجاته من خلال خطاب يضع مكانة المتلقي في الحسبان انطلاقا من الإثارة والترغيب.

الخطاب الإشهاري: بنية مركَّبة

تبدو تركيبة الخطاب الإشهاري معقدة تتقاطع فيها علوم ومعارف شتى ترا جميعها حرصا على تخريج نص إشهاري واضح المعالم والرؤى، مستحضرا الاقتصاد وعلم النفس الفرد والمجتمع وكذلك اللسانيات، إضافة إلى الرسم والموسيقى والمسرح وعلم النفس الاجتماعي، مع استناده إلى سبر الآراء والحوار. كل هذه العوامل تساعد على تخريج نص إشهاري ذي تواصل مؤثر ،لأن

« النص الإشهاري عبارة عن نوع أدبي مرتبط ارتباطا وثيقا بشتى الأشكال الأدبية، تحمل نقاط تشابه مع العمل الصحفي حيث نصفه أحيانا بالحافة التجارية »(9)، ويرى الباحث هاس Haas أنه « لا يتأتى للأديب تركيب خطاب إشهاري رغم مقدرته الأدبية، غير أن الأمر يستقيم لدى كاتب الإشهار من خلال تجميعه، وفي فترة قصيرة، الكلمات والجمل اللائقة قصد تشكيل خطاب إشهاري ناجح »(10).

لا يشذ الخطاب الإشهاري عن أية ظاهرة من ظواهر الاتصال ترى أن العملية تنطلق من المرسل الراغب في نقل رسالة إلى المرسل إليه عن طريق قناة اتصال،و تتجلى غاية المرسل في إحداث رد فعل لدى المرسل إليه على مستوى أفكاره أو مواقفه أو سلوكياته، كما أن تركيبة هذا النوع من الخطاب تتطلب عملية إرجاعية من المرسل إليه إلى المرسل قد لا تكون آنية وإنما تأخذ أشكال استجابة متنوعة نحو الإقبال على المنتوج، الامتناع، التأمل، إلخ...

وفي سبيل الكشف عن حقيقة الرسالة أو ما يعرف بالخطاب الإشهاري يعتبر الباحث داستو Dastot « الخطاب علامة أو مجموعة علامات ذات بنية إيحائية، أي أنها تحمل قيما معرفية حول حاجة أو حول فكرة ما »(11)، ثم يعرض مثالا مكملا لما ذهب إليه من خلال وصفة لمشهد إشهاري يتمثل على زاوية طاولة ذات النمط الكلاسيكي القديم والجذاب، وكأس مشروب ذي ألوان متلألئة ساخنة، وقطعة خبز ذهبية على طبق به جبنة (س)، حيث يقول:« إن هذا الإشهار يشكل خطابا إعلاميا، إذ يعني أنها وجبة بسيطة، سهلة لكنها رائعة وذات ذوق جميل في جو كله راحة وارتخاء »(12).

إن الرموز الموظفة في هذا الخطاب رموز لسانية شفوية أو مكتوبة أو تصويرية تتآلف جميعها في نظام إيحائي موجه إلى مستقبل باحث عن فكها واستخلاص جوهر الرسالة.

فإذا كان الخطاب متضمنا لبنية إيحائية فإن المتلقي هو الآخر يكون فاعلا من خلال توفره على قدرة تحليلية واسعة تدفعه إلى ترتيب كل الرموز الواردة في الرسالة وفهم محتواها، ذلك أن الرسالة الإشهارية تسعى أساسا إلى الإخبار بالجديد والتأثير في الجوانب العاطفية ، علما أن الخطاب الإشهاري يتميز بوضوحه وباختصاره وبعده عن الغموض ، وبالمقابل فإن المتلقي يكون مستعدا بمرجعيته الثقافية والفكرية والتاريخية والمعرفية لمواكبة الخطاب الإشهاري والكشف عن أنماط تعبيرية مختلفة كتوافق الفواصل وانسجامها قصد تثبيتها وترسيخها في الذات المستمعة ،مستندا إلى العوامل المكملة والمصاحبة من موسيقى وصور وحركة تشكل خطابا بعد تشاكلها. و« قد يكتفي الخطاب الإشهاري أحيانا بالحركة الفاعلة والدالة مما دعا بنينو G. PENINOU إلى اعتبار الإشهار " خطاب حول الحاجة " Discours sur l'objet »(13).

1 -الرؤية التداولية

يسعى البحث التداولي إلى إرساء مفاهيم جديدة للفعل الكلامي معتبرا الملفوظات بمثابة أفعال، و القول في هذا الإطار هو نقل أخبار للمتلقي تتعلّق بموضوع الحديث، بيد أن القول يحمل في الوقت نفسه دلالة الفعل حيث يمارس المرسل تأثيرا على المرسل إليه بدل المعارضة.«و الملاحظ أن فكرة التأثير ليست حديثة الولادة، بل تمتد جذورها إلى المفاهيم التي أرسى دعائمها كلّ من أفلاطون و سقراط إلى غاية مجيء اللّسانيين الذين أسّسوا توجّها جديدا في علم الكلام أو ما يعرف بالتداولية».[14]

لقد كانت انطلاقة هذا البحث الجديد مع (جون لانجشو أوستن (Jean Langshow Austin) و كتابه كيف نفعل الأشياء بالكلمات " How to do things with words". وهو مؤلف من اثني عشرة محاضرة ألقاها بجامعة (هارفارد Harvard) عام 1962م مرسيا بذلك أوّل خطوة لنظرية أفعال الكلام (la théorie des actes

de langage" .اتخذ (أوستن Austin) موقفا مخالفا من علم الدلالة ،مشيرا إلى تعدّد الملفوظات الخارجة عن دائرة إشكالية الصواب و الخطأ. فقد أولى أهميّة للكلمة كفعل، ذلك أن المرسل في حال تكلّمه فهو في وضع تأثير، حرصا منه على أحداث تغيير.

وقصد إيضاح الموقف عمد (أوستن) إلى جمع الملفوظات وفق ثنائية واصفة (constatatifs) و ملفوظات فاعلة انطلاقا من التمييز الحاصل ما بين وصف/ فعل.أمّا المراد عنده بالملفوظ الفاعل، ذلك الملفوظ الذي يعادل تلفّظه فعلا معيّنا.فهو ملفوظ ذو شكل إشاري (Indicatif) ، و لكنّه في الوقت نفسه يتفرّد بخاصية المعادلة للحدث الذي يصفه. ومن باب الإيضاح يسوق إلينا المثال التالي:

"أعدك بالمجيء" لقد أنجزت فعلا يتعلّق بالمجيء. فمن الواضح أن ذكر الجملة في ظروف خاصة كهذه لا تعني و صفا أو تأكيدا و لكن فعلا»[15]

إن الملفوظات المنجزة لا تشكّل سوى طبقة ضيّقة من الملفوظات ممّا يجعل وضعيتها في الفضاء اللّغوي هامشية، الأمر الذي دفع **(بأوستن)** إلى إرساء مفهوم جديد يتعلّق بالفعل الكلامي غايته الإلمام بالتصوّر الانجازي للكلام [16]. و ما يمكن استخلاصه من عمل **(أوستن)** هو تمييزه ما بين ثلاثة أفعال في المجال التلفّظي تتجلى غايتاها في:

أ - انجاز فعل كلامي صادر عن المتكلم (acte locutoire) من خلال متوالية صوتية متضمنة لمعنى داخل اللغة.

ب - انجاز فعل لدى المستمع أو المخاطب(acte illocutoire)، بإصداره لملفوظ له علاقة بقول المتكلم.

جـ- انجاز حدث تخاطبي أو كلامي (action perlocutoire)، كمقاطعة المستمع للمتكلم من خلال طرحه لسؤال، قصد التأكيد على أنه موجود كطرف مهم و فاعل في عملية التخاطب.

وقد فتحت إشكاليّة الأفعال الكلامية مجال البحث على مصراعيه كونها تنطلق من فلسفة كلاميّة خاصة وجدت طريقها إلى الاهتمام بهذه الأفعال في أبعادها المباشرة و غير المباشرة مثلما يحدث في الخطاب الاشهاري. «**و الذي يتضمّن المباشرة كونه فعلا كلاميّا طاغيا في جميع أنواع الإشهار، تقريريّا في الظاهر مباشرا في الجوهر**»[17].

فالبعد الكلامي أصبح مرتبطا بحال المتكلّم نمطا ثانيا من الفعل، ذلك أن الملفوظ يتمتّع بخاصية شكلية تبرز كيفية استقبالها من المستمع. ففعل التلفّظ عبارة عن تأكيد و وعد و أمر و استفهام، لذا فإنّ البعد الكلامي التخاطبي(perlocutionnaire)، يضاف للعمليّتين السابقتين ، لأنّ كل عبارة تتضمّن معنى و مرجعا قد تكون بعدا كلاميّا يفيد تأكيدا أو وعدا أو أمرا، ينتج نوعا من التأثير في ذاتية المستمع، ومن ثمـ فإن العمليّة (التخاطبيّة) (Perlocutionnaire) تخضع بدورها إلى الحالات الكلاميّة مستدعية في الوقت نفسه آليات سيكولوجية خارج لسانية.

و قد عمل سيرل (Searle) على مواصلة البحث انطلاقا من نظريّة أوستن حول أفعال الكلام ، حيث أكّد على هذه المعطيات في كتابه (أفعال الكلام- Speech Acts) (Les actes de Langage) إذ يرى «**أن تكلّم لغة معناه انجاز أفعال كلام ، كأن تتعلّق بتأكيدات أو أمر أو طرح أسئلة أو تقديم وعود . فتصبح هذه الأفعال ممكنة اعتمادا على بعض القواعد المسّيرة لعناصر لسانيّة تتحقّق من خلالها الأفعال** »[18].

كما يعتبر (سيرل) أن كلّ فعل كلامي يتألّف من التركيب الآتي :

فعل تلفّظي أو صوتي + فعل اقتراحي

Acte propositionnel + Acte énonciatif

Ou

Phonatoire

مرجع + تكهن

Prédiction + référence

فعل كلامي تخاطبي

و acte illocutoire[19]

2 - إستراتيجية تحقيق الأفعال في الخطاب الاشهاري

إن مفهوم الفعل غير المباشر يستوجب وجود قيمة حقيقيّة ضمن دلالة الكلمات المستعملة، وهي المعبر عنها دوما بالجمل الاستفهامية أو الجزمية أو الأمرية. و لهذا الغرض يوظف سيرل ملفوظ "هل لك أن تناولني الملح؟"[20]مشيرا إلى حقيقة السؤال ومفاده لدى المستعمل حول إمكانية تسليمه الملح. و هو فعل يعتبره الباحث بالثانوي جيء به لتحقيق الهدف الأوّلي لملفوظه المتمثل في فعل التسليم.

3 -تركيبة الخطاب الاشهاري

يعطي الخطاب الاشهاري مثالا واضحا للفعل الكلامي المركب و غير المباشر، حيث إنه من خلال فعل التأكيد و التقييم، أو ما يعرف بالفعل الكلامي acte illocutoire لدى "أوستن" و الفعل الثاني لدى "سيرل" acte secondaire، يدفع المستمع أو المشاهد إلى القيام بالشراء .«**فالفعل الكلامي المهيمن في جل الخطابات الإشهاريّة يأتي تقريريّا من الجانب الإيضاحي، توجيهيّا في شكله الضمني**»[21] . وهو ما يعتبره (فاندرفيكن) (vanderviken) " بالفعل الكلامي الأوّلي كونه يختلف عن الفعل الكلامي المركّب ،لأنّ «**أغلبيّة الأفعال الأوّلية تتألّف من الشّكل (la forme) ومحتوى متناسب (c. propositionnel) منها التأكيدات، والشهادات و الوعديات و التعريفات و الالتماسات ، في حين هناك أفعال كلامية لخطابات أكثر تعقيدا لا يمكن إعادة شكلها المنطقي إلى أفعال كلامية أولية**»[22].

وتتجلى تداولية الخطاب الاشهاري في الكشف عن الشروط الأساسة ، و التي يصبح من خلالها فعل الكلام الأولي أكثر فاعلية، فضلا عن الآليات الكفيلة التي تمكن المشاهد و المستمع من أن يصبح مشتريا. و من

هنا تتضح حقيقة التواصل من خلال دعوتها إلى البحث حول حصول التواصل ما بين المرسل والمتلقّي، و كيفيّة تمظهرهما في الكلام الاشهاري.

إنّ الإنجاز الناجح للفعل التوجيهي، بحسب مفهوم (فاندرفيكن) ،ليس مسألة ترميز فقط (codage) و لكنّه في الوقت نفسه فك لهذا الترميز(décodage). فالإشكالية كما يراها الباحث تتعلق بالتلف الذي يطرأ على الإرسالية عند انتقالها من (أنا) المرسل إلى (أنت) المستقبل، ذلك أن الرسالة قد تكون صورة (أنا) المرسل تتماشى أو تطابق (أنا) المرسل.

فيتّضح أنّه كلّما كان استقبال الرسالة على شاكلتها الأولى ، إلاّ وكان للعمل الاشهاري نجاحات كبيرة . ويأخذ الإشهار في الاعتبار الفضاء المعرفي للمرسل و للمتلقّي على حد سواء فيما يتعلق بالمنتوج المعروض للبيع. كما أنّه من الغايات الأولى التي يسعى إليها المشهّر (المرسل)، هو أن يكون المستقبل (الزبون) قد أحيط بمادة إخباريّة كافية ليتشكّل بذلك خطاب إشهاري يدمج جميع المعلومات في الإرسالية بعد استجماعها.

وقد تبدو غاية الخطاب الاشهاري بسيطة ،بيد أن الأمر عكس ذلك بكثير، لأنّ حقيقة الفعل الكلامي في هذا النوع من الخطاب قد أخذت حيّزا واسعا اهتماما وانجازا ،كونها تنطلق من المعلومات التي يوظّفها المشهّر، والتي قد تكون غائبة لدى المشاهد أو المستمع، ممّا يستدعي المرتكزات النفسيّة الاجتماعيّة، فضلا عن ذلك فانّ الخطاب الاشهاري المعد لفئة مثقّفة حول جهاز الحاسوب يختلف من حيث الخاصيّة التركيبيّة عن منتوج موجّه إلى النّساء عامة متعلق بإحدى مستلزمات المطبخ.

وهنا، يصبح مجال التواصل مابين المرسل و المتلقّي مغايرا في الخطابين ، إلاّ أن اللاّفت للانتباه«**هو أن قطبي التواصل يعرفان توسعا استراتيجيا حيث يتحول (أنا) إلى (أنت) في باديء الأمر ليكتسب وضعه النهائي في آخر مرحلة، وكذلك الشأن مع (أنت) (المستقبل) لأنّ المشهّر الحقيقي (أنا) المشرف على الإعداد و الإخراج يكلّف وسيطا اشهاريّا يظهر على الصورة ، حيث يتحول هذا الأخير من مستقبل إلى مرسل يظهر على الشاشة. فنلمس حضور فاعلين الأول أساس، أما الثاني فثانوي**».[23]

و قد سعى (فاندارفيكن) (Vawdervikew) إلى الكشف عن شروط نجاح أفعال الكلام منطلقا من نظريّتي (سيرل) Searle) و(أوستن Austin) «**كأن يتضمن كلام المرسل وعدا يلتزم بتحقيق فعل (acte) مستقبليّ في فضاء التلفّظ**»[24]. كما يرى أنه يصبح التلفّظ ناجحا في حال توفيق المتكلّم في انجاز فعل كلامي معبّر عنه بالملفوظ (l'énoncée) في فضاء تلفّظي و ينعدم في غير هذا الإطار[25]

أما فيما يتعلق بالأفعال التوجيهية، وعلى وجه الخصوص، في الخطاب الاشهاري الذي هو بمثابة فعل توجيهي، فان شروط تلبية الطلب عند (فاندارفيكن) (vanderviken) «**بتعميم و توسيع لمفهوم الشرط الحقيقي و الأساس قصد تغطية تعدد القوى الكلامية .فالتأكيد لا يتحقق إلا إذا كان حقيقة وأيضا شأن الأمر، فانّه لا يلبّى إلا إذا أنجز، وكذلك أمر النصيحة**»[26].

يتحقّق الإشهار في الفضاء الاقتصادي من خلال ترجمته إلى مصطلحات مربحة ذات علاقة وطيدة بفعل الشراء. كما يتأكد الهدف الاشهاري من خلال إقناع المشتري بإتّباع نصائح المشهّر، بيد أن الأمر اللاّفت للنظر هي شروط نجاحه وكذلك شروط التلبية.

و يمثّل الخطاب الاشهاري خاصية تواصليّة فيما بين العناصر المتبادلة للإرساليّة ،وهي المتكلّم (le locuteur)، المستمع (l'interlocuteur). ففي هذا الإطار تشير الباحثة **(أنجيلا قودار)** (Angela Godard) إلى

وجود العديد من المصطلحات التي تحدد العناصر المعنية بالكلام في خطاب اشهاري مثل كاتب/قارئ، مستقبل وكذلك بين منتج/ مستهلك و متكلم / مستمع.[27]

إنّ التعدّد و التنوّع الحاصل في التسمية راجع إلى اختلاف وجهات النّظر حول المسار التواصلي ، لأنّ مصطلحي (قارئ/ كاتب) يرتبطان بالخاصية الأدبية التي تدعو إلى«**أن يؤول النص الأدبي كهويّة فنيّة مكتوبة، مؤلّفة من ذات مبدعة تتمثّل في المرسل، و أخرى متلقية (مرسل إليه)**»[28]. أما مصطلحات منتجون و مستهلكون فتنتمي إلى العلوم الاجتماعية و التجارية، بينما يرتبط مصطلحا متكلّم و مستمع(مخاطب و مخاطب) باللّسانيات. و هما المصطلحان الأكثر تداولا في المجال الاشهاري.

و قصد إنجاح الفعل الكلامي يؤكّد (دومينيك مانقينو DominiqueMaingueneau) على أنّ المنطلق الأساس لهذا الفعل هو عدم التعبير عنه بالصدق أو بالكذب و إنمّا بالنّجاح، لأن التفرقة في الحكم تعد مهمّة للغاية لما يترتب عنها من تبعات كونها مرتبطة بنظام تسجيل الملفوظات في الواقع. و إلى جانب احترام الأنظمة و القواعد النحويّة يتّضح أنّ هناك شروط نجاح الفعل الكلامي تجعله فاعلا أو دون ذلك.أما عن كيفية تصنيف الأفعال الكلامية فيقرّ الباحث أن العمليّة لا يمكن ضبطها بشكل دقيق حيث تم إحصاء العديد من الأفعال بحسب الأدوار المؤداة.[29]

4 - الأفعال الكلاميّة

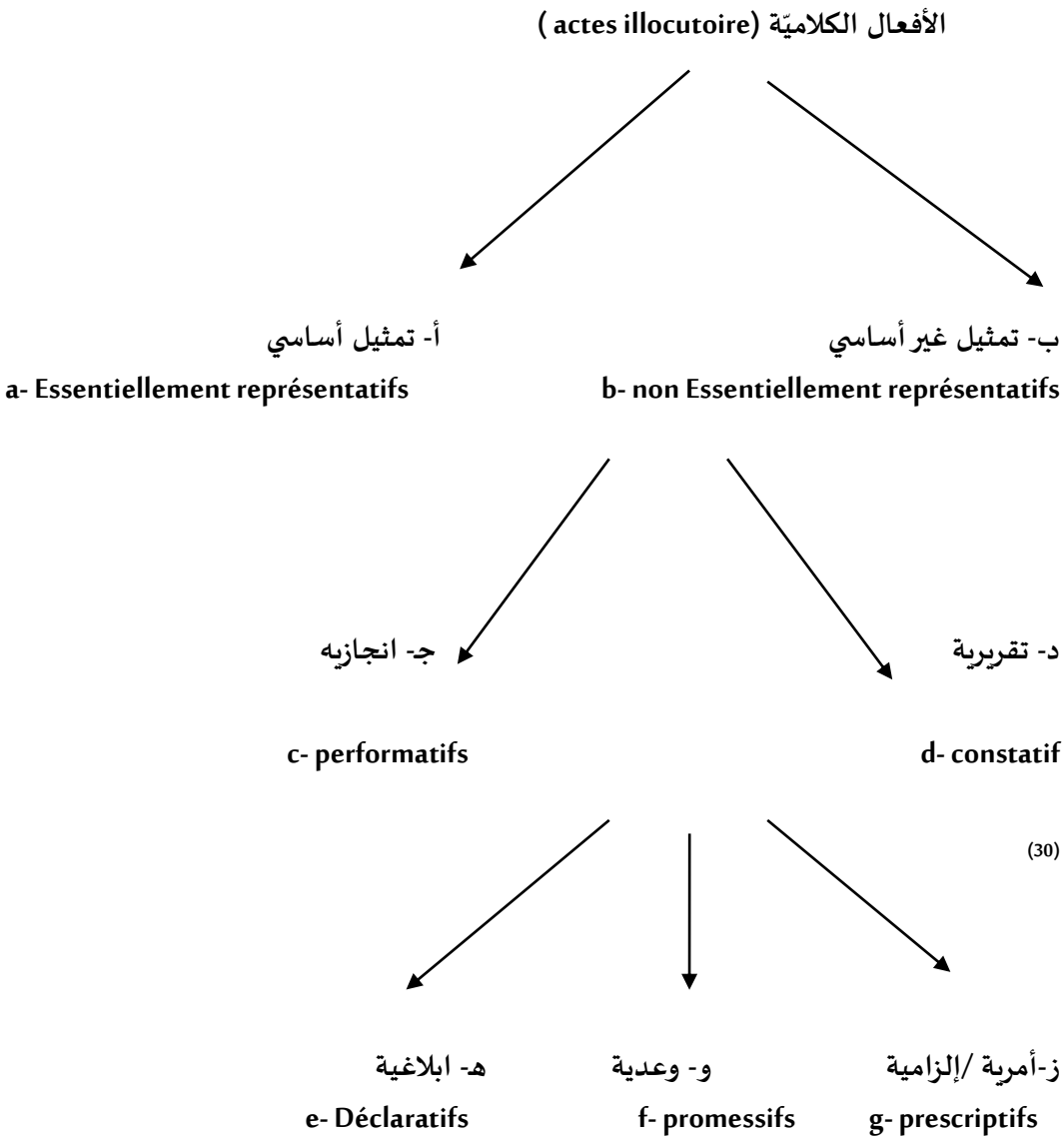

(30)

يسعى الخطاب الاشهاري إلى انجاز فعل معيّن و دقيق، لذا فانّ فاعليّة مردوده تتجلّى في فاعليته التداوليّة أو في النتائج المتعلقة بالمتخاطبين، و كذلك بالعمليات المرتبطة بالتفسير الكلامي[31]

5 – مستقبل المقاربة التداولية للخطاب الاشهاري

إن الغاية المنتظرة من الخطاب الاشهاري هو منظوره البراغماتي المتمثّل في حرصه على تحقيق غاية من خلال فعل كلامي متنوّع الأشكال .فهو يحث على فعل عمل ما باستغلال كلّ الطرق الممكنة، ولعلّ أبلغ دليل على ذلك " الحث على الشراء (faire faire) انطلاقا من عمل معرفي (faire savoir)، مما يجعل المشاهد يشعر بالجودة العالية لسلعة ما ، فتتغيّر نظرته و تصوّره

كما أنّ خصوصيّة الطرائق المنتهجة في عمليّة العرض تكسب الخطاب الاشهاري وضعا متميّزا كون الفعل الكلامي في بعده الشمولي ينحدر من خطاب مركّب تتنوّع أفعاله بتنوّع أصنافه الكلاميّة

فسعي المؤسّسة الاقتصاديّة إلى مضاعفة نشاطها يتوقّف على العامل الاشهاري بيد أن هذا الأمر لا يتحقق في غياب نص قانوني تجاري يكرّس الفعل الاشهاري ،و من ثم فإنّ القوّة الكلاميّة تسّيرها قواعد و أنظمة ذات علاقة بالمتخاطبين كون القيمة الكلاميّة حسّاسة في السياق الكلامي . و في هذا الإطار «يتحوّل تشكّل الخطاب من تكريس لنوايا و غايات دالة لدى المتكّلم إلى تفاعل ينشّطه المتخاطبان»[32].

لقدحاولت المقاربة التداولية الإحاطة بالجوانب البارزة للخطاب الإشهاري انطلاقا من آلياتها التحليلية وما تكشف عنها من أفعال تؤكد أن الخطاب الإشهاري لايعكس وضعا اقتصاديا أو تجاريا فحسب , وإنما هو بمثابة نمط حياتي اجتماعي وثقافي , كما أن سر استحواذه على اهتمامات المتابعين يعود إلى خصائصه الخطابية المفعلة لأفعال ومواقف تبد أبفعل المعرفة ثم معرفة الفعل مرورا بمحطات معرفيةأ خرى , وانتهاء الى فعل الفعل أو مايعرف بشراء المنتوج كما تعمل المقاربة التداولية على إبانة ملمح بارز ينبعث من فلسفة تولي اهتماما إلى الأقوال وما تقصد إليه من أفعال . وقدحاولت هذه المداخلة المتواضعة إماطة اللثام عن تداولية الخطاب الإشهاري وماشهدته تلك المقاربة أوالمقاربات وما استندت إليه من مكونات وآليات اقتناعية .

الهوامش والإحالات:

[1]- Gotrave : Dictionary of French and English, Tongues Londre, 1961, P 961.

[2]- د. عبد السلام أبو قحف: محاضرات في هندسة الإعلان، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، ص 20.

[3]- Robert le duc : La publicité une force au sein de l'entreprise, Ed dunod, Paris, 1973, introduction.

4- Jean Claude Dastot : La publicité principes et méthodes, ed marabout, Paris, 1973, P 14.

5- Bernard Deplas et Henri Verdier : La publicité, ed que sais le, Paris, 1973, P 5.

[6]- C.R. Haas : Pratique de la publicité, Ed dunod, Paris, 1970, P 5.

[7]- Robert Duenin : Les français n'aiment pas la publicité, En Marabout, Paris, 1972, P32

[8] - C.R Haas : Ibid, P 8.

[9]- C.R. Haas : Pratique de la publicité, P 237.

[10]- Ibid : P 238.

[11]- Jean Claude Dastot : La publicité principes et méthodes, P 19.

[12]- Ibid, P 20.

[13]- Ibid, P 20.

[14]-John Langshow AUSTIN. Qand dire c'est faire. Seuil. Paris 1970.p41.

[15]--Ibid. p47.

[16]-- Dominique MAINGUENEAU. pragmatique pour le discours littéraire . Nathan. Paris. 2001.p7

[17]- Jean Michel ADAM . Marc BONHOMME .L'argumentation publicitaire .ed Nathan .paris 1997 p52.

[18]-- John .R. SEARLE Speech Acts) Les actes de Langage. traduit par H. PAUCHARD . Herman. Paris 1972. p52 .

[19]- Ibid. p53.

[20]-Ibid. p54.

[21]-- Jean Michel ADAM . Marc BONHOME .L'argumentation publicitaire. p25.

[22]-Daniel VANDERVIKEN. Les actes de discours. Ed pierre Mardaga .liége Belgique . p21.

[23] --Ibid. p 21.

[24] --Jean Michel ADAM . Marc BONHOME .L'argumentation publicitaire. p28

[25]--Daniel VANDERVIKEN. Les actes de discours. p32.

[26]-- Ibid. p 33

[27]-- Angéla GODARD .The Linguadje of Advertising. Voir Daniel VANDERVIKEN. Les actes du discours. p 38.

[28]- Dominique MAINGUENEAU. Pragmatique pour le discours littéraire. Nathan .Paris 2001. P 8.

[29]-- Ibid. p 9.

[30]-Ibid. p 9.

[31]-Frederic NERF. Note pour une Pragmatique textuelle in communication N° 32 1980. p 185.

[32]-Jacques Francis.la mise en communication de l'enociation. In langage .n 70. 1983 .P 68.

المعرفة والإنسان: حدود المنهج العلمي في العلوم الإنسانية وفي الدراسات الأدبية

Knowledge and the human being: the limits of the scientific method in the humanities and in literary studies

د. بن علي لونيس[1] / جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية (الجزائر)، *lounis.benali@univ-bejaia.dz*

تاريخ الاستلام: 13/ 09/ 2021 تاريخ القبول: 11 / 12 / 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص

في القرن التاسع عشر، هيمنت النزعة الوضعية على حقول المعرفة المختلفة، بما فيها حقول المعرفة الإنسانية أو ما يطلق عليه بالإنسانيات؛ هذه الأخيرة حاولت واجتهدت لتطبيق المناهج العلمية على موضوعاتها غير العلمية، أي تلك التي تمس الأدب والمجتمع والنفس والفكر والفلسفة. مع العلم أنّه حدث تفريق بين العلوم الدقيقة وحقول المعرفة الفكرية أو الروحية أو ما كان يسمى آنذاك بالعلوم غير الدقيقة، ولو أنّ انتهاج هذه الحقول لطريق العلم قد طرح معضلات معرفية كثيرة، منها: هل يمكن صياغة قانون علمي للمجتمع؟ وهل يمكن وضع قواعد صارمة لضبط العمليات النفسية في الإنسان، كأن نتحدث على سبيل المثال عن نظرية علمية للمشاعر الإنسانية؟ وماذا عن الأدب؟ هل يمكن تفسير الأدب وفق معايير تفسير ظاهرة طبيعية مثل المناخ أو تطور الكائنات في الطبيعة؟

الكلمات المفتاحية: النزعة الإنسانية، النزعة الوضعية، المنهج العلمي، الأدبية.

Abstract:

In the nineteenth century, positivism overrode the various fields of knowledge, including the human knowledge fields or the so-called humanities; this last tried and worked hard on applying the scientific methods over its non-scientific subjects, i.e. those that affect literature, society, self, thoughts and philosophy. Knowing that it has been a separation between the exact science and the intellectual or spiritual fields of knowledge, or what was called that time the inaccurate science, even if the adoption of these fields to the scientific approach had raised various cognitive dilemmas, such as: Is it possible to formulate a scientific law for the society. Is it possible to set strict rules to control the human's psychological processes, for example talking about a scientific theory of the human feelings? What about literature? Can literature be interpreted according to the same criteria of explaining a natural phenomenon such as climate or organisms evolution in nature?

Keywords:

Humanism, positivism, scientific method, literature.

[1] **المؤلف المرسل:** د. بن علي لونيس ، **الإيميل:** lounis.benali@univ-bejaia.dz

1- المنهج في المعرفة العلمية:

يُعرّفُ المنهجُ بأنّه مجموع القواعد والطرائق التي ينتهجها العقل الإنساني بهدف الوصول إلى الحقيقة، وهي تدعي بأنها يقينية بتعبير ديكارت. نلاحظ بأنّ المنهج استنادا إلى هذا التعريف مرتبط بالنشاط العقلي، أو بتعبير آخر هو نتاج العقل، ما يعني أنه ينتمي إلى التقليد الوضعي الذي ينتمي بدوره إلى العلوم الدقيقة. وبالعودة إلى ديكارت، فالمنهج يقوم على أربع قواعد أساسية وهي: "قاعدة البداهة التي تقضي بأن لا نسلم بشيء ما على أنه حقيقة إلا إذا كان واضحا بذاته، وقاعدة التقسم التي ترمي إلى تحليل المركب إلى بسائطه أو عناصره البسيطة وقاعدة النظام، ثم قاعدة المراجعة التي تقضي بأن نقوم في كل مسألة بإحصاءات شاملة سواء في الحدود الوسطى، أو في استعراض عناصر المسألة"[1]

فمن خصوصيات المعرفة العلمية أنها تقوم على المنهج لاستنباط القواعد والقوانين المتحكمة في الظواهر الطبيعية، وكذا بهدف تجنب الوقوع في التناقضات وعدم التسليم بالحقائق غير المثبتة عقلا. من هنا يأتي المنهج العلمي بوصفه تنظيما للمبادئ وللعمليات العقلية، وهو يشكل البنية الخاصة للعلم.

أما هذه العمليات، فهما اثنتان: الاستقراء والاستنباط؛ فالعملية الأولى تعني بالتحليل وهي الانتقال من المشخص إلى المجرد، أي من الظاهرة الحسية إلى قاعدتها التجريدية أو قانونها النظري وهو ما يميز العلوم التجريبية. في حين يضطلع الاستنباط بالانتقال من القانون العام إلى الحالات الفردية، ومن البسيط إلى المركب، وهذه العملية تنتمي إلى حقل الرياضيات [2].

لقد شهدت العلوم الدقيقة تطورا مذهلا، كان من بين أسبابه أنّ المعرفة التي تنتجها تقوم على أساس المناهج، مسطرة أهدافا قوامها البحث المستمر في الحقائق وعدم التسليم بالبديهيات ولا باليقينيات.

2 -العلوم الإنسانية وإشكالية المنهج العلمي:

إنّ السجال الفكري الذي وسم العصر الحديث كان: كيف يمكن أن نحصل على معرفة موثوقة؟ هو سؤال طرحه يورغن هابرماس في مدخل كتابه (المعرفة والمصلحة)[3] وتزداد وجاهة هذا السؤال في حقل العلوم الإنسانية، لأنها المعنية بنقد المعرفة، لكن أيضا بتحديات صياغة قانون علمي للظاهرة الإنسانية.

في القرن التاسع عشر، هيمنت النزعة الوضعية على حقول المعرفة المختلفة، بما فيها حقول المعرفة الإنسانية أو ما يطلق عليه بالإنسانيات؛ هذه الأخيرة حاولت واجتهدت لتطبيق المناهج العلمية على موضوعاتها غير العلمية، أي تلك التي تمس الأدب والمجتمع والنفس والفكر والفلسفة. مع العلم أنّه حدث تفريق بين العلوم الدقيقة وحقول المعرفة الفكرية أو الروحية أو ما كان يسمى آنذاك بالعلوم غير الدقيقة، ولو أنّ انتهاج هذه الحقول لطريق العلم قد طرح معضلات معرفية كثيرة، منها: هل يمكن صياغة قانون علمي للمجتمع؟ وهل يمكن وضع قواعد

صارمة لضبط العمليات النفسية في الإنسان، كأن نتحدث على سبيل المثال عن نظرية علمية للمشاعر الإنسانية؟ وماذا عن الأدب؟ هل يمكن تفسير الأدب وفق معايير تفسير ظاهرة طبيعية مثل المناخ أو تطور الكائنات في الطبيعة؟

في بداية القرن العشرين ظهرت أزمة المعرفة العلمية، من خلال مجموعة من الفلاسفة الأوروبيين الذين انتقدوا النزعة الوضعية من أمثال: إدموند هوسرل، ومارتن هايدغر، وفلاسفة مدرسة فرانكفورت...إلخ وانصب نقدهم على اعتبار النزعة الوضعية مصدرا لأزمة العلوم؛ فهوسرل انتقد العقلانية الأوروبية التي ادّعت بأنها ستبوئ الإنسان سيدا على الطبيعة، يتحكم في قوانينها. غير أنّ ما حدث أنّ النزعة العلمية حوّلت الطبيعة إلى مجال لعبث الإنسان، وأفقدوها القيمة التي تليق بموضوع يُمكن تأمله فلسفيا. لقد فسّر هوسرل أزمة العلوم بأنها لا تمس صلاحية ولا نجاعة هذه العلوم بالنسبة للإنسان، فدورها لا ينكره إلا جاحد، غير أنّ توجهها أزاح من طريقها كل تلك الأسئلة والمفاهيم والقضايا التي لها علاقة بالوجود الإنساني مثل الغاية والمعنى والحرية[4]. نفهم من هنا بأنّ خصوصية هذه الأزمة أنها تكشف عن تناهي المعرفة العلمية، لأنها عجزت عن منح دلالة للوجود الإنساني، والمساهمة في إضفاء المعنى عليه .

أما هايدغر بطرح تساؤله الشهير: هل بإمكان العلم ممارسة التفكير؟ ملمحا إلى أنّ أسلوب تفكير العلم يختلف عن أسلوب تفكير الفلسفة، ووضّح بأنّ التقنية التي أصبحت تمثل ملمحا مهيمنا في العصور الحديثة لم تعد وسيلة من وسائل التفكير، بل أصبحت تمثل نمطا من أنماط الوجود يقوم على نفي الوجود نفسه

ومن جهة أخرى، طُرحت مسألة دور العلوم الإنسانية في نقد المعرفة العلمية، فالعلوم على الرغم من تطورها إلا أنها كثيرا ما تطرح مسائلا ذات طبيعة فكرية أو فلسفية، وحتى قيمية. فما هو الموجّه الحقيقي للبحوث العلمية ما لم يكن هناك مجموعة من الضوابط الأخلاقية والقيمية؟

قد يذهب البعض إلى وضع تمييز دقيق بين المعرفة العلمية والمعرفة الإنسانية، لكن تطور العلوم المتسارع لم يخل من مسائل عجز العلم عن الإجابة عنها، لأنها تخرج عن مجاله، ويتعلق الأمر بمجال القيم والأخلاق. فنتيجة للمشكلات التي حصلت بسبب التطورات التي حققتها العلوم الطبيعية، ظهرت حاجة إلى فرع معرفي يضع هذه النتائج أمام ميزان المساءلة، خاصة ما تعلق بمجال البحوث البيولوجية. فقد فكّر بعض الباحثين في إنشاء فرع معرفي هدفه مد جسور التواصل بين العلوم البيولوجية والقيم الإنسانية، وقد أُطلق على هذا الحقل مصطلح[5] Bioéthique .

تعمل العلوم الإنسانية على مساءلة ما وصلت إليه العلوم الطبيعية من نتائج، فبعيدا عن الوازع الأخلاقي كثيرا ما تطرح بعض الأبحاث العلمية إشكاليات من طبيعة أخلاقية وقيمية، مثل الاستنساخ، التعديل الجيني، البحوث في مجال الفايروسات، وفي مجال الطاقة النووية

وتوظيفها في غير أهدافها الإنسانية. ولعل ما نمر به اليوم بسبب جائحة كورونا، قد فتح مرة أخرى نقاشا فكريا وحتى سياسيا حول الأسباب الحقيقية لظهور هذا الفايروس القاتل، خاصة وأنّ بعض المواقف رجّحت نظرية المآمرة، وبذلك إمكانية أن يكون الفيروس من صناعة مخبرية، تم إطلاقه لأغراض تخدم القوى الكبرى. وسواء صدقنا أو لم نصدق هذه الفرضية، فإنّ اكتشاف اللقاحات وطريقة توزيعها على البلدان في العالم قد طرح أسئلة أخلاقية، تتوجه بأصابع الاتهام إلى الدول الكبرى التي لم تكن عادلة في توزيعها على دول العالم الأخرى. ناهيك عما أنتج من مقالات ومن كتب حول علاقة كورونا بتغيير نمط حياتنا.

وفي نفس السياق، يمكن قراءة بعض كتابات ميشال فوكو، لاسيما في تشخيصه لأمراض العقل الغربي، حيث بيّن علاقة المعرفة العلمية بالسلطة، متحدثا مثلا عن الطب وعلاقته مثلا بظاهرة الجنون، إذ يقول: "إذا كان بوسع الشخصية الطبية أن تحيط بالجنون، فليس لأنها تعرفه، بل لأنها تسيطر عليه، وما قد يظهر بالنسبة إلى النزعة الوضعية بمظهر الموضوعية ليس سوى الجانب الآخر لهذه السيطرة وانعكاس لها" [6].

ما يشير إليه فوكو هو نقده لفكرة أن هناك معرفة صرفه ومنزهة من أي غرضية خارج غرضية العلم. في حين أنّ المعرفة العلمية هي طريقة للسيطرة على موضوعها العلمي، فالطبيب لا يدعي أنه درس الجنون وبذلك فهم آلياته، بل إنّ هذه الإحاطة العلمية به يعبّر فقط عن السيطرة على الموضوع – الجنون. وقس على ذلك الحقول العلمية الأخرى، ألم يكن العلم في تصوّر أبائه المؤسسين طريقة للسيطرة على الطبيعة والتحكم فيها؟

تكمن أهمية كتابات فوكو أنها تقدم نقدا إبستيمولوجيا للعلوم الإنسانية التي هي من ابتكارات الحداثة الغربية؛ فالهدف من إنشاء هذه العلوم هي لأجل فرض قيود لتتبع الأفراد، ولأجل ضبط المجتمع أكثر. لهذا يقول بأنّ ظهور العلوم الإنسانية يمثل الحدث التأسيسي للطابع الانضباطي للمجتمع الحديث. لقد تعلق العلم الحديث بسياسة اجتماعية وبأفخاخ المصالح الأيديولوجية التي كشفت عن وهم النزاهة العلمية كما يمكن أن يظن بها البعض .

لقد بدأ فوكو أعماله الأولى بالكشف عن توظيف بعض العلوم الطبيعية والإنسانية في تكثيف حضور السلطة؛ فقد توجه إلى دراسة ممارسات العزل لأجل الكشف عن النظام المعرفي للطب الحديث. فقد توصل إلى أنّ "إقصاء المجانين تمّ من خلال توظيف واستثمار المناهج والمعارف العقلية الحديثة" [7].

3-العلوم الإنسانية من العلم إلى الإنسان:

تاريخيا، يُعد الإغريق السباقون لتقديم عرض تحليلي في العلوم الاجتماعية. ويعتبر أفلاطون أوّل من اكتشف أحد أهم أدوات المعرفة وهو (المفهوم). لقد ساهم الإغريق في إثراء المعرفة حول الإنسان والمجتمع؛ فهيرودوت الذي زار مناطق عديدة من العالم القديم ألّف مؤلفات مهمة يمكن اعتباره من خلالها أول عالم في الانثروبولوجيا.

أما في الثقافة العربية والإسلامية فيعتبر ابن خلدون أهم من قدم إسهاما علميا في العلوم الإنسانية من خلال مؤلفه (المقدمة)؛ إذ يرى ابن خلدون أن من شروط البحث التاريخي هي ثلاث: عدم التشيع، عدم تصديق ما يُروى دون تمحيص، ضرورة العلم بطبائع الأحوال في العمران.

فيم يتمثل المشروع العلمي للعلوم الإنسانية؟ يقوم هذا المشروع على تصورين: التصور الأول هو المتعلق بالإنسان والمجتمع، أما التصور الثاني فيتعلق بنموذج العلم نفسه. فلفظة العلم صار لها وقعها المغري عند الباحثين في العلوم الإنسانية لأنها مقترنة بالمنهج وبنتائجه .

إلاّ أنّ موضوع العلوم الإنسانية والذي هو الإنسان والمجتمع يفرض أن يؤسس الباحث وعيه به من خلال إصدار مجموعة من المواقف، وتبني مجموعة من الآراء ووجهات النظر.

ناقش الفيلسوف الألماني هانس جورج غادامير القضية في كتابه (الحقيقة والمنهج)، إذ أشار إلى أنّ التفكير الذاتي الذي رافق تطور العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر كان محكوما كليا بنموذج العلوم الطبيعية؛ فقد حاول جون ستيوارت ميل أن يخضع العلوم الأخلاقية لمعايير العلوم الدقيقة، مثل المنطق الاستقرائي، وقد دافع عن إمكانية تحقيق نجاعة هذا المنهج وتطبيقه على هذه العلوم الإنسانية. غير أنّ ما يميز المنهج الاستقرائي هو استقلاله عن كيفية تفكير المرء في الظواهر الإنسانية، إذ لا يمكن لتجربة العالم التاريخي الاجتماعي أن ترقى إلى مرتبة علم عن طريق الإجراء الاستقرائي للعلوم الطبيعية[8]. والفرق أنّ البحث التاريخي (الإنساني) لا يسعى كما يستنتج غادامير إلى فهم الظاهرة على أنها مثال على قانون كلي، لأنّ ما يميز الظاهرة الإنسانية هي إرادة القصد فيها.

وإذا كان ما يميز العلوم الطبيعية هو الدقة والقدرة على صياغة القوانين، فمن خصوصيات العلوم الإنسانية أنها تتعامل مع موضوعات متحوّلة وتتمتع بالفرادة، وبحرية الإرادة، ما يصعّب من مهمة الوصول إلى نتائج نهائية أو إلى استخلاص قواعد عامة. فموضوع العلوم الإنسانية هو الإنسان بكل تعقيداته والمجتمع بكل تحولاته. إن ما يميز الأفعال الإنسانية التي هي موضوع العلوم الإنسانية أنها واعية وهي عرضة للتعديل[9].

فلا يمكن في العلوم الإنسانية أن نفصل بين ذات الباحث وموضوع بحثه، بالإضافة إلى ذلك أنّ ذات الباحث تتأثر بالعوامل الخارجية (اجتماعية، سياسية، قيمية) وبالعوامل الداخلية النفسية التي تتدخل في صياغة مواقفه، وربما تساهم في تحريف حكمه على الواقع. كيف يُمكن الكتابة عن واقع المجتمعات الإسلامية من طرف باحث مسلم؟ اكيد أن هناك مجموعة من النوازع ستجعله يتحرك ضمن حدود مرسومة سلفا، فلا يتجاوزها، كأن ينتقد مثلا المؤسسات الدينية، أو يكتب عن دور الإسلام في تأجيج الإرهاب...إلخ وأغلب الباحثين الذين حاولوا الكتابة بموضوعية تعرّضوا للمضايقات، ومنهم من دفع حياته ثمنا لمواقفه.

هناك إذا عوامل تضغط على الباحث تحول دون قول الحقيقة. ويمكن أيضا أن نقدم مثالا آخر متمثلا في الدراسات الاستشراقية، وهي التي أنجزها باحثون غربيون عن الشرق وعن الإسلام على وجه التحديد، فهذه الدراسات، على الرغم من إدعائها بأنها تتبنى مقاربات منهجية صارمة، إلا أنّ أغلبها سقطت في الأحكام المنحازة للغرب وللمسيحية، وصوّرت الإسلام تصويرا مشوها.

من هنا نستخلص بأنّ من أهم معوقات الباحث في العلوم الإنسانية هي: الذاتية، القيمة، الأيديولوجيا. (ومع ذلك نفتح قوسا ونطرح السؤال التالي: هل هي معوقات بالضرورة أم أنها قيم مميزة لهذه العلوم الإنسانية؟ كيف سيكون شكل هذه العلوم إذا فصلناها على سبيل المثال من القيمة؟)

أ – الذات كمشكلة ابستيمولوجية في العلوم الإنسانية:

يتعلق الأمر باستقلالية الموضوع عن الذات العارفة. ويمكن أن نستخلص من هذه العلاقة مجموعة من الأفكار:

لابد للأسئلة التي يطرحها الباحث في العلوم الإنسانية أن تعبّر عن اهتماماته وتكون حصيلة لتقويماته.

ما نريد قوله هنا، أنه لا يمكن للباحث أن يكون محايدا بالمطلق في بحثه، لهذا ذهب بعض المفكرين إلى القول بأنّه يصعب في حقل العلوم الإنسانية أن نحقق الإجماع حول الظواهر الإنسانية وحول النتائج المتوصّل إليها. فبالإضافة إلى طبيعة الموضوع فإنّ ما يحرك الباحث ليس فقط أهدافه المعرفية، بل أيضا مجموع النوازع والمصالح، تبدأ من اختياره للموضوع وتنتهي إلى نوعية المواقف والنتائج التي سيخلص إليها مرورا بخياراته المنهجية والمرجعية.

فغادامير مثلا رفض التصور الوضعاني الذي يريد أن يحشر العلوم الإنسانية في دائرة العلوم الوضعية، والسبب أنّ ما يصلح مع العلوم الدقيقة لا يصلح بالضرورة مع العلوم الإنسانية، لأن هذه الأخيرة تعتمد على الحساسية بدل العقل، وعلى الحدس والنباهة والفراسة والرقة. ذلك أنّ "المعرفة في العلوم الإنسانية لها دوماً علاقة بمعرفة الذات" [10].

ب) – النزعة الإيديولوجية:

يعتبر مفهوم الإيديولوجيا أكثر المفاهيم هيمنة في التقليد الفكري الغربي، ويرجع الفضل في صياغته إلى كارل ماركس، في كتاباته الأولى: (المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام 1844)، (الإيديولوجيا الألمانية). لكن هذا لا يعني أنّ المفهوم لم يكن متداولا من قبل، ففي القرن الثامن عشر ظهرت حركة من المفكرين أطلقوا على أنفسهم تسمية les Idéologues أي دعاة الأفكار. وجوهر فلسفتهم أنّ الفلسفة تنتمي إلى عالم الأفكار، ولا تنتمي إلى عالم الأشياء والواقع.

أما بالنسبة لماركس الشاب، فقد اهتدى في صياغته لتعريف الإيديولوجيا إلى استعارة (الصورة المقلوبة) التي استوحاها من علم الفيزياء؛ والمعروف في علم البصريات أنّ الواقع يظهر عبر عدسة الكاميرا أو عبر شبكة العين في شكل صورة مقلوبة. يقول (بول ريكور) موضحا: "تقدم لنا هذه الاستعارة المتمثلة في الصورة المقلوبة والتجربة الفيزيائية التي تكمن خلف الاستعارة، المثال أو الانموذج الذي يطرح التشويه باعتباره قلباً. أنّ مثال الصورة المقلوبة للواقع هذا مهم جدا في موضعة مفهومنا الأول: الإيديولوجيا. وظيفة الإيديولوجيا الأولى إنتاج صورة مقلوبة" [11].

فالايديولوجيا كما عرّفها ماركس الشاب هي التمثيل المشوه أو المقلوب للواقع، وقد استند إلى ما كتبه فيورباخ في نقده الدين، وهو الذي اعتبر هذا الأخير انعكاسا مقلوبا على وجه الدقة للواقع . يقف تعريف ماركس للإيديولوجيا ضد الأنموذج الهيغلي الذي يقلب الأشياء رأسا على عقب، باعتبار أن هيغل يعتبر الفكرة أسبق من الشيء. في حين يرى ماركس عكس ذلك؛ فالواقع بوصفه ممارسة هو الذي ينتج التمثيلات، وليست التمثيلات هي التي تنتج الواقع، إذ يفعل الناس الأشياء، ثم يتخيلون ما يفعلونه، حيث "تكمن مادية نظام ماركس تحديدا في إصرارها على أنّ مادية الممارسة تسبق مثالية الأفكار"[12]. من هنا تتحول وظيفة الفلسفة إلى إعادة الأشياء إلى نظامها الواقعي.

تظهر الأيديولوجيا بوصفها رؤية للعالم أو موقف منه، وهي تطرح في جوهرها مدى مطابقة الأفكار للواقع، لهذا فإنّ الإيديولوجيا تتعارض مع الفكر الموضوعي. يقول عبد الله العروي: "إنّ عصرنا الذي يعبد العلوم الطبيعية يرى الفكر الأدلوجي بامتعاض كبير، إذ يعتقد أنّ الارتباط بمعتقدات مسبقة غير مبنية على تجربة شخصية علامة من علامات المراهقة الفكرية" [13].

غير أنّ ما تعارضه العلوم الدقيقة قد لا تعارضه بالضرورة العلوم الإنسانية، بحكم أنّ الإيديولوجيا لا تنفك أن تكون عاملا من عوامل التفكير فيها، بل لا تخلو هذه العلوم من الآراء الشخصية ومن المواقف المبنية على جملة من المعتقدات المسبقة، والأهم من ذلك أنّها تؤسس لأسئلتها المعرفية على التجربة الشخصية للباحث.

تتعدد استعمالات الأيديولوجيا، فهي تستعمل في السياسة، كما تدخل في تنظيم المجتمع، ويرى العروي أنّ التفكير في الإيديولوجيا لابد أن يقوم على رسم الحدود الموضوعية لها، وهي: حدود الانتماء إلى الأدلوجة السياسية وحدود الدور التاريخي الذي يمر به المجتمع وحدود الإنسان في محيطه الطبيعي. وهي نفسها، في نظرنا، الحدود التي يتحرك فيها البحث في العلوم الإنسانية.

4- المنهج والأدب:ما الأدب؟

هو سؤال إشكالي، يوهم بالبساطة لكنه معقد بالنظر إلى أنّ الأدب في تطور مستمر، بحثا عن أشكال تعبيرية مختلفة. من بين التعريفات البسيطة أنّه هو كل شيء مطبوع[14]. غير أنّ تعريفا كهذا سيوسع من دائرة الأدب لتشمل كل خطاب مكتوب ومطبوع، لهذا جاءت التعريفات الأخرى لأجل تضييق الدائرة قدر الإمكان؛ لكن ما يحدد الأدب هو مجموعة من العناصر: الجمال، الخيال، الفكر.

يقول (جوناثان كولر) أنّ الذي يطرح سؤال (ما الأدب؟) فهو لا يسأل من أجل تعريف الأدب، ولكن من أجل تحليله [15].

فسؤال كهذا يطرح في جوهره قضية الخصوصيات، أي البحث عما يجعل الأدب خطابا مختلفا عن الخطابات الأخرى.

أ - القيمة الجمالية :

فقد طُرحت ضمن النقاش الفلسفي الكبير حول مفهوم الجمال، ومن بين المسائل التي تم التطرق إليها سؤال: هل للأدب وظيفة واحدة أو وظائف متعددة؟ من هنا برزت ثنائية (المتعة، المنفعة) ضمن عناصر الجدل الفلسفي حول وظيفة الفن عموما، والأدب خصوصا.

لقد شهد مفهوم الجمال تحولات عبر تاريخه الطويل، فمنذ اللحظة اليونانية ارتبط الفن بالصناعة، بما يحيل إلى القيمة النفعية لأي عمل فني على حساب القيمة الجمالية، ثم بداية من القرن السابع عشر شهدت محاولات لفصل مشكلات الجمال عن مفهوم الصنعة، وازداد هذا الفصل وضوحاً في القرن الثامن عشر، وتجلى هذا الانفصال في شكل تحول في وظيفة الفن، حيث أصبحت غايته هي إشباع اللذة وإحداث الأثر البهيج في نفسية المتلقي. وهنا يظهر اسم الفيلسوف الألماني بومغارتن الذي اعتبر أب الجماليات الحديثة، الذي أدرج مقولة الجمال في حقل الفلسفة، واعتبر الجميل هو قيمة تظهر عند الأفكار الغامضة. وقد صنّف علم الجمال فرعا خاصا "بدراسة الحس والوجدان، من حيث أنّ أفعالهما هي جوهر هذا الفكر الغامض"[16].

لقد شهد حقل الفلسفة ظهور مفهوم الإنسان الجمالي كردة فعل من الصراع الذي دار بين مملكة الحس ومملكة العقل والذي كان نتيجة لسيادة النزعة النفعية وهيمنة النزعة الوضعية التي استبدت بحقول المعرفة. لقد شكلت النزعة العلمية تهديدا لما هو إنساني، أي لإرادة الحرية. فبعض الاتجاهات الحديثة تذهب إلى القول بأن الشعر يحمل معرفة، لأن الأدب عموما يمنح لنا معرفة بالتفاصيل التي ليست من شأن العلم أو حتى الفلسفة.

ب- الخيال:

ما يجعل القراء يهتمون بالأدب هو علاقته الخاصة بالعالم، وهذه العلاقة يُطلق عليها (الخيال)؛ "إنّ العمل الأدبي هو حدث لغوي يطرح عالماً خيالياً" [17].

وقد وضعه أرسطو ضمن حقل الممكنات، أي محاكاة ما يُمكن أن يقع، ليضع الأدب فوق أرضية التخييل، مميزا بينه وبين التاريخ الذي هو سرد ما وقع فعلا .

5-كيف ندرس الأدب؟

كان الإشكال المطروح، والذي واجه دارسي الأدب هو كيف يمكن العثور على أساس عقلي – وضعي لدراسة الأدب؟ وكيف يمكن بلوغ الأهداف العلمية في الأدب؟ ثم هل هذا ممكن أصلا؟

كثرت الإجابات، وإحداها افترضت أنه بإمكان تطبيق مبادئ العلوم الطبيعية في مجال الأدب، وهذا ما دفع ببعض مؤرخي ودارسي الأدب في القرن التاسع عشر إلى تقريب الأدب من الحقول العلمية المختلفة، على غرار علم الوراثة، نظرية تطور الأحياء، علوم النبات، الإحصاء... إلخ فتمثلت محاولات هيبوليت تين مبادئ علوم النبات في دراسته للأدب، فخلص إلى عوامله الشهيرة وهي: الجنس، العصر، البيئة. كما حاول برونتيير تطبيق مبادئ نظرية تطور الأنواع على الأنواع الأدبية وتطورها عبر العصور.

إنّ غاية تطبيق المناهج العلمية في مجال الأدب هي بلوغ درجة من الموضوعية التي تفتقد إليها الدراسات الأدبية، واستبعاد قدر الإمكان إقحام المواقف الشخصية والنوازع الذاتية والأيديولوجية. بالإضافة إلى أنها تؤدي إلى تفسير الظاهرة الأدبية على ضوء العوامل والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إلا أن نتائج هذه التطبيقات العلمية لم تكن موفقة في أغلبها، خاصة وأنها لا تتوافق مع طبيعة الأدب المنفلتة عن أي معيارية. فعالم الأدب ليس عالما عقليا، بل هو عالم اللغة والصور الخيالية والخيال والانفعالات والمواقف والآراء النسبية. لقد توصّل دارسو الأدب إلى أنّ "الدراسة الأدبية لها منهاجها الخاصة التي ليست دائما هي مناهج العلوم الطبيعية إلا أنها في الوقت نفسه مناهج عقلية" [18].

ولأجل توضيح هذا الموقف، يمكن العودة إلى التمييز الذي أقامه فيلهام دلتاي بين مناهج العلم الطبيعي ومناهج التاريخ؛ فالأولى تعتمد على (الشرح)، أي على البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الظواهر الطبيعية. أما مناهج التاريخ فتعتمد على (الفهم)، أي البحث عن المغزى من التاريخ .

إذ نفهم من خلال هذه المقارنة المبكّرة إلى أنّ هدف مناهج العلوم الطبيعية هو صياغة القانون العام – الكوني للظاهرة الطبيعية بتفسير أسباب نشوئها وآليات حدوثها، أما هدف مناهج التاريخ (التاريخ هنا بوصفه أحد أهم حقول العلوم الإنسانية بما في ذلك حقل الأدب) فهي الوصول إلى إدراك المعاني والدلالات والقيم التي تكمن في الحوادث التاريخية. صحيح، أنه قد يقول قائل بأن للتاريخ مناهجه الصارمة في التعامل مع الأحداث الماضية وهو يعتمد كذلك على تفسير هذه الحوادث وظروف نشوئها وتطورها، لكن عمل المؤرخ لا يتوقف هنا، وإلا ما

كانت هناك حاجة إلى استعادة الماضي ما لم يكن هو البحث عن المعاني والقيم. ثم لا ننسى بأنّه لا يوجد قانون كوني للتاريخ، فالأحداث التاريخية تقع لأسباب مختلفة وتنتهي إلى نتائج مختلفة، وبذلك فكل حادثة لا تشبه حادثة أخرى، وهو ما وضحه ولهلم وينبند الذي رأى بأنّ العلوم الطبيعية تحاول إثبات (القوانين العامة) في حين أن المؤرخين يحاولون فهم مغزى الحقيقة التاريخية الفريدة التي لا تتكرر.

6-لماذا ندرس الأدب؟

تعددت الإجابات عن هذا السؤال، لأنّ كثيراً ما يواجه دارسو الأدب هذا السؤال الذي هو جزء من سؤال أشمل وهو: ما الأدب؟ الإجابة عن هذا السؤال سيحدد لاحقا الفروقات الجوهرية بين الظاهرة العلمية والظاهرة الأدبية، لا من حيث الجوهر، لكن من حيث الوظيفة كذلك .

تساءل رينيه ويليك: ((لماذا ندرس شكسبير؟)) وسؤال كهذا يُمكن تنويعه بعدد الأدباء في التاريخ، لأنّ القصد منه هو معرفة حاجتنا إلى دراستهم. ما الذي نريد معرفته عند دراسة شكسبير أو هوميروس أو المتنبي أو نجيب محفوظ؟

من بين الإجابات التي اقترحها ويليك، أنّ دراسة أديب ما تعني البحث عن الخصائص المميزة عند كل أديب، أي تلك الملامح والخصائص التي تجعل من أديب ما أديبا ((نحن نقصد من دراسة شكسبير إلى استكشاف الخصائص المميزة له، تلك الخصائص التي جعلت شكسبير شكسبيرا [...] بل أنّ دارس الأدب إذا قام بدراسة فترة معينة أو حركة معينة أو أحد الآداب القومية – فإنه سينظر إلى أي منها على أنها كيان متفرد بذاته له خواصه التي تميزه عن غيره)) [19].

ما قصده ويليك من لفظة التفرد، أنّ جميع محاولات إخضاع الأدب لقوانين عامة قد باءت بالفشل. وهنا فرق آخر بين العلوم الطبيعية التي تسعى إلى صياغة القوانين العامة والعلوم الإنسانية وخصوصا دراسة الأدب التي تبحث عن فهم الظواهر المتفردة.

خاتمة:

مهما قلنا عن علاقة العلوم الإنسانية والأدب بالمناهج فإننا نجد أنفسنا في مواجهة أسئلة وإشكاليات تتعدد كلما تعمقنا في جوهر العلاقة، ولو أنّ العامل الأساسي الذي ينبغي التركيز عليه هو عامل الخصوصية والتفرد النسبية والتحول التي تميز الظواهر الإنسانية، ما يحيل هذه المعرفة على منطقة النسبي، بحيث تتجلى الحقيقة في شكل وجهات نظر قابلة للنقاش وإعادة النظر والصياغة. لا تهدف العلوم الإنسانية إلى التأسيس لرؤية علموية عن الإنسان بقدر ما تبحث عن ترسيخ روح التساؤل حوله، بما هو كيان متعدد الأبعاد، وقس على ذلك ما تعلق بالإبداعات الأدبية التي تعكس هذا التعدد وتمنح للإنسان وجوده داخل دائرة اللغة والخيال.

الإحالات والهوامش:

[1]- حمد سبيلا و نوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، منشورات المتوسط، ميلانو، ط01، 2017، ص ص 473، 474.

[2]- عبود عبد الله العسكري، منهجية البحث في العلوم الإنسانية، دار النمير دمشق، ط01، 2002، ص02

[3]- يورجن هابرماس، المعرفة والمصلحة، تر: حسن صقر، المجلس الأعلى للثقافة مصر، ط01، 2002، ص09

[4]- يُنظر: كمال بومنير، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، كنوز المعرفة، ط01، 2021، ص 07.

[5]- يُنظر: عبد الرزاق بلعقروز، السؤال الفلسفي ومسارات الانفتاح تأولات الفكر العربي للحداثة وما بعد الحداثة، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، ص90

[6]- ابن داود عبد النور، المدخل الفلسفي للحداثة، تحليلية نظام تمظهر العقل الغربي، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ط01، 2009، ص101.

[7]- السيد ولد أباه، التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربية للعلوم بيروت، ط02، 2004، ص153.

[8]- يُنظر: هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: حسن ناظم و على حاكم صالح، دار أويا طرابلس، ط01، 2007، ص51.

[9]- صلاح قنصوه، الموضوعية في العلوم الإنسانية، دار التنوير، ط01، 2007، ص 55

[10]- هانس جيورغ غادامير، فلسفة التأويل، تر: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، دط، 2002، ص14.

[11]- بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، ط01، 2002، ص50، 51.

[12]- ينظر: بول ريكور، محاضرات في الأيديولوجيا واليوتوبيا، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد، ط01، 2002، ص52.

[13]- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي بيروت والدار البيضاء، ط01، 2012، ص10.

[14]- رينيه ويليك و آوستن وارن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، دط، 1992، ص31

[15]- جوناثان كولر، النظرية الأدبية مدخل قصير جدا، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، منشورات ميم الجزائر، ط01، 2016، ص41.

[16]- جمال مفرج، أزمة القيم من مأزق الأخلاقيات إلى جماليات الوجود، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر، ط01، 2009، ص62.

[17]- جوناثان كولر، النظرية الأدبية مدخل قصير جدا، مرجع سابق، ص53

[18]- رينيه ويليك و آوستن وارن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، دط، 1992، ص25- 26

[19]- رينيه ويليك و آوستن وارن، نظرية الأدب، تر: عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، دط، 1992، ص27

النقد الثقافي؛ النشأة والتطور

Cultural criticisme; Foundation and Development

د. طلحة عبد الباسط [1] / المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف ـ ميلة . (الجزائر)، bassettalha2015@gmail.com

تاريخ الاستلام: 15/ 06 / 2021 تاريخ القبول: 10 / 09/ 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص:

نشأ النقد الثقافي باعتباره نشاطاً نقديا يوظف كل المفاهيم التي جاءت بها المدارس النقدية السابقة له كالسياسة والفلسفة والاجتماعية والنفسية والتاريخية والنصّية وغير ذلك. وتوجه نحو توسيع دائرة اشتغاله من النصوص الأدبية الراقية فقط، إلى نصوص الثقافة الراقية والشعبية من أدب وموسيقا ودراما وخطابات دعائية وسياسية وغير ذلك. ومداخل النقد الثقافي للنص تختلف ما بين، لغوية وانثريولوجية وسياسية وتاريخية ونفسية وتفكيكية ونسوية وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي؛ الدّراسات الثقافية؛ التاريخانية؛ النسوية؛ ما بعد الكولونيالية.

***Abstract*:**

He grew up under the influence of cultural criticism a critical activity employs all the concepts that came in the schools cash past him Calceash and philosophy and the social, psychological, historical, textual and otherwise. Directed towards expanding circle he quit high end of the literary texts, the texts of high culture and popular literature and music and drama and propaganda speeches, political and otherwise. Entries and cultural exchange between different text, to linguistic, and historical, anthropological, political, psychological and feminist and otherwise.

Keywords: *Cultural criticism; Cultural studies; Historicism; Feminism; Post-colonial.*

[1] **المؤلف المرسل**: د. طلحة عبد الباسط ، **الإيميل**: **bassettalha2015@gmail.com**

مقدمة:

إن ما بات يعرف اليوم بالنقد الثقافي، يمثل لدينا أحدث ما أفرزته الساحة النقدية الغربية في ميدان رصد النشاط الإنساني ووصفه ونقده، وهذا الفرز المفهومي، شأنه شأن كل ما وصلنا من إفرازات نقدية غربية سابقة يكتنفه بعض الغموض وتعلوه الضبابية، ولعله ليس من الجديد بشيء أن نقول إن اختلاف لغة النشأة عن لغة التقبل أدى إلى ذلك لأنه أمر مسلم به في كل ما جذبنا فاستحسنّاه، ونقلناه إلى ساحتنا العربية من تنظيرات نقدية سابقة. إلا انه مما يزاد على ذلك هو قرب المسافة الزمنية ما بين النشأة والتقبل.

فالنشأة الغربية الحديثة والتقبل العربي السريع تركا أثرا كبيرا في وضوح الرؤية وانكشاف المعالم. ولقد حاولت بعض الدراسات العربية التخفيف من حدة ذلك الغموض وتلك الضبابية بان تأخذ على عاتقها تقريب هذا المنهج النقدي الحديث من الذائقة النقدية العربية من خلال ترجمة أصوله الغربية ونقلها إلى العربية حينا ومن خلال التعريف به والتأصيل له وتطبيقه حينا آخر. ولكنها ما زالت محاولات معدودة لم تصل حد الإيفاء بذلك والاكتفاء بعد.

لذا ترمي هذه الصحف القلائل الإسهام بذلك من خلال ما تأمله من تعقب لمنهج النقد الثقافي بدءا من المصطلح والمفهوم ومرورا بإرهاصاته الأولى ونشأته وسيرورته عند الغرب وإجراءاته وأدواته في مباشرة النصوص الثقافية وصولا إلى تقبل العرب له وانشغالهم به.

فمصطلح النقد الثقافي بتعابيرنا النحوية هو مركب إسنادي وصفي، شطره الأول في دلالته أصبح من البديهيات، وشطره الآخر لاحقة مميّزة له عن غيره، تعنيه من دون غيره من أنواع النقد السابقة له.

1. مفهوم النقد الثقافي و نشأته:

1. 1. مفهوم النقد الثقافي:

لقد مهدت الدراسات الثقافية لظهور النقد الثقافي كمجال جديد يتجه إلى فرض نفسه لدراسة موضوعات جديدة يدعي أن النظرية الأدبية قد غفلت عنها.

من هذا المنظور يعرف "آرثر آيزبرجر" النقد الثقافي بقوله: "إن النقد الثقافي نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته... بمعنى أن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية، والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة فإن النقد الثقافي – كما اعتقد – هو مهمة متداخلة مترابطة، متجاورة متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفسير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي وبمقدوره أيضا أن يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنتروبولوجية ...الخ) و دراسات الاتصال و بحث في وسائل الاعلام الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة (و حتى غير المعاصرة)"[1] .

يمكن الوقوف على ثلاث نقاط في هذا التعريف:

* النقد الثقافي يقف في نفس خانة المناهج السابقة، فهو لم يقم بالفصل بينهما.

* هو نشاط يجمع بين عدة معارف متدخلة، أو هو وعاء يجمع مختلف المعارف والنظريات النقدية السابقة ويستعملها في تحليله لمختلف المظاهر الأدبية وغير الأدبية.

* أن النقد الثقافي جاء ليكمل مواطن القصور التي وقعت فيها المناهج السابقة.

أما الناقد السعودي عبد الله الغذامي فيستمد تعريفه للنقد الثقافي من مقولات الناقد "ليتش" فهو عنده "رديف لمصطلحي ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل، يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في السيسيولوجيا والتاريخ والسياسة المؤسساتية ومن دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي ... إن الذي يميز النقد الثقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النّصوصي كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو، خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص "[2].

نجد الغذامي يتبنى تعريف "ليتش" في اعتبار النقد الثقافي هو أحد افرازات ما بعد الحداثة التي غيرت كل المعارف وكذلك إفراز للتطور الذي شهدته النظرية النقدية، والنقد الثقافي عند "ليتش" هو مرادف لما بعد البنيوية، ما يعني أنه مظلة واسعة.

ولأن النقد الثقافي مهمة متداخلة فهو " فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم، والنظم المعرفية لبلوغ ما تأنف المناهج الأدبية المحض المساس به أو الخوض فيه فكيف يتسنى للناقد الأدبي أن يخوض في المتبدل و(الوضيع ،واليومي والسوقي) بعد ما تمهر كثيرا في قراءة النصوص المنتقاة والمنتخبة التي يتناقلها نقاد الأدب ودارسوه على مر العصور في سلالة أو سلالات محكمة قوية، يجري الاختلاف شأن طبقاتها أو رفعتها لا شأن أحقيتها الأدبية أو تفاوتها القاطع مع ما يغاير أسلوبها، لأن النقد الثقافي فعالية لا فرعا معرفيا فإنه يتوخى بلوغ المعارف الأخرى عبر استخدام واسع للنظريات والمفاهيم التي تتيح القرب من الثقافة في المجتمعات" [3].

فالنقد الثقافي بهذا المفهوم هو آخر مرحلة من مراحل تطور الثقافة والدراسات الثقافية وهو الوريث الشرعي لكل التحولات التي عرفتها مختلف النظريات والمدارس النقدية.

وهناك من النقاد من جعل النقد الثقافي يميل في أكثره إلى الأعمال الأدبية والنظرية الأدبية، فهو " فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة" [4].

وهو في هذا التعريف يحاول تأكيد مدى حاجتنا إلى النقد الثقافي كبديل للنقد الأدبي.

ويؤيد هذا الأمر الناقد الأردني عبد القادر الرباعي فهو " يعني التوسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق، إذ لم يعد الأدب بالمفهوم التقليدي هو السائد غالبا في مجال الدراسة التحليلية والنقدية وإنما غدا في بعض الدراسات جزءا من كل أكبر وأوسع وأشمل، حتى سمي هذا الكل الدراسات الثقافية" [5].

فالأدب يقارب من جهة نظر ثقافية متجاوزة للطرح القديم، باعتباره نصا ثقافيا مفتوحا على عدد غير متناهي من القراءات.

و يذهب صاحبا كتاب « دليل الناقد الأدبي» إلى أن النقد الثقافي "في دلالته العامة يمكن القول أنه كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء

تطورها وسماتها وبهذا المعنى يمكن القول إن النقد الثقافي نقد عرفته ثقافات كثيرة ومنها الثقافة العربية قديما وحديثا " [6] .

غير أن هذا التعريف يقود إلى نوع من الالتباس من حيث التشابك بين النقد الثقافي ونقد الثقافة فإذا سلمنا بهذا الطرح فالنقد الثقافي لم يأت بجديد وهذا ما تصدى له عبد الله الغذامي حيث يرى: " أن نميز هنا بين نقد الثقافة والنقد الثقافي، حيث تكثر المشاريع البحثية في ثقافتنا العربية من تلك التي عرضت وتعرض قضايا الفكر والمجتمع والسياسة والثقافة بعامة، وهي مشاريع لها إسهاماتها المهمة والقوية وهذا كله يأتي تحت مسمى (نقد الثقافة) كما لا بد من التمييز بين الدراسات الثقافية من جهة والنقد الثقافي من جهة ثانية، وهذا تمييز ضروري التبس على كثير من الناس حيث خلطوا بين (نقد الثقافة) وكتابات (الدراسات الثقافية)، وما نحن بصدده من(نقد ثقافي) ونحن نسعى في مشروعنا إلى تخصيص مصطلح (النقد الثقافي) " [7] .

فهو هنا يفرق بين النقد الثقافي الذي يقترحه كبديل مشروع للنقد الأدبي، ونقد الثقافة التي اهتم بها بعض الدارسين للأنثروبولوجيا وغيرها .

وهنالك من يجعل النقد الثقافي موازيا لدراسات ما بعد الكولونيالية، فالدرس الثقافي "لا بد أن يشتبك بموضوع الدراسة اشتباكا ثقافيا بمعنى أن الدرس يستمد قدريته من الموضوع، والموضوع يملي على الدرس النتائج والاكتشافات في دائرية تجسد نفسها كما هي الحال في الكرنفال الاحتفالي "[8]، فالدراسات ما بعد الكولونيالية ومختلف الظواهر الأخرى أثناء تطورها، وانفصالها عن المركز، كان لا بد لها من سند قوي يدعمها فجاءت الحاجة إلى النقد الثقافي.

هذه الآراء شجعت على اقتراح النقد الثقافي كبديل للنقد الثقافي، فـ " في ظل الصراع بين أنصار النقد الأدبي الذين يرون أنه لا بديل عن النظريات الأدبية كمنهج لدراسة الأدب وجزء من المدافعين عن النقد الثقافي والذين يؤمنون بمقولة أن النقد الثقافي جزء من كل، وأن هذا الكل هو الدراسات الأدبية" [9] .

وفي هذا الإتجاه نجد أن الناقد السعودي عبد الله الغذامي من أبرز المدافعين عنه، حيث يرى أن " النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام ومن ثم فهو أحد علوم وحقول (الألسنية) معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء"[10] فهو يعتبره فرع من فروع النقد بشكل عام، مع ربطه بحقل العلامة اللغوية تحديدا.

أما محسن جاسم الموسوي فلا يسلم بهذا الطرح فهو ينفي كون النقد الثقافي فرع من كل " هل يمكن الحديث عن النقد الثقافي بصفته فرعا من فروع المعرفة ؟ لا يقبل النقاد الثقافيون بذلك لأن النقد فعالية تستعين بالنظريات والمفاهيم والنظم المعرفية" [11].

لكن ما يجب التسليم به أن الفروق بين النقد الثقافي والأدبي موجودة بفعل المنطلقات الخاصة بكل اتجاه " إذ يقتصر النقد الأدبي على دراسة الأشكال المتعارف عليها وذات البصمة التنموية، والتي لا تخرج من دائرة اللغة الراقية وكذا الأجناس المتفق عليها كالرواية والقصة والشعر، أما النقد الثقافي فإنه يتعدى ذلك

بكثير، بحيث أضحت الحقول الجديدة التي تندرج ضمن الدراسات الثقافية أولى بالدراسة من الأدب على حد تعبير عبد القادر الرباعي " [12].

حقيقة ما يمكن استنتاجه من هذه التعريفات أن النقد الثقافي مجال معرفي جديد جاء ليقوي ما حدث في مجال الأدب ما بعد الكولونيالي من هزات حطمت المفاهيم التقليدية للنقد، وكذا ليواكب مختلف المعارف الثقافية الكبرى، التي قوضت المركزية الغربية وربما ليجد لنفسه مكانا داخل النظرية النقدية، ليخرج النقد الذي كان سائدا من قبل من قوقعته التي فرضتها عليه اتكاؤه على الحقول الألسنية، حيث تحول النص إلى كهف مغلق بفعل المعايير الموضوعة من قبل تلك المناهج والتي تتعامل مع النص باعتباره نظاما .

كما أن النقد الثقافي قد حاول إعادة الاعتبار للسياق الذي غُيب مع الدراسات النّصانية المحايثة، كما فضح النقد الثقافي بعض الممارسات التي تنتجها المؤسسة (المركز).

وبالفعل بعد ذيوع هذا المصطلح تأثر حقل الأدب، حيث كسرت مركزية النص وتشتت الأفكار، وتوزعت المركزيات وانتقل الهامش إلى المركز والعكس .

1. 2 . نشأة النقد الثقافي :

لقد تمت الإشارة فيما سبق أن النقد الثقافي قد جاء بعد مرحلة ما بعد الحداثة وما حدث في الدراسات النقدية السابقة .

وقد ظهر النقد الثقافي كمصطلح في مقالة شهيرة للمفكر الألماني " تيودور أدورنو" تعود إلى 1949 م عنوانها « النقد الثقافي والمجتمع »، وفي هذا المقال قام "أدورنو" بربط النقد الثقافي بالبرجوازية الأوروبية .

ثم جاءت محاولة أخرى قام بها :" يورغن هابرماس " زميل " أدورنو " وذلك في كتاب مُميّز حمل عنوان « المحافظون الجدد : النقد الثقافي والحوار التاريخي » غير أن "هابرماس" لم يحاول الخوض في النقد الثقافي أو على الأقل تعريفه واكتفى بما قاله "أدورنو" عن طبيعته [13].

تعتبر هذه المحاولات بمثابة محاولات فلسفية لا تملك من نشاط النقد الثقافي إلا الاسم؛ لكنّ الظهور الفعلي للنقد الثقافي فلم يتحقق إلا "في الثمانينات من القرن العشرين (1985م) وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية حيث استفاد هذا النقد من البنيوية اللسانية والأنثروبولوجيا والتفكيكية، ونقد ما بعد البنيوية والحركة النسوية، ونقد الجنوسة وأطروحات ما بعد الحداثة" [14].

وفي هذه الفترة ازدهرت مقولات ما بعد الحداثة، وعرف النقد تحولا كبيرا بفعل انهيار البنيوية، " بيد أن مصطلح النقد الثقافي لم يتبلور منهجيا إلا مع الناقد الأمريكي " فنست ليتش " الذي أصدر عام 1992 م كتابا قيما بعنوان « النقد الثقافي: نظرية الأدب لما بعد البنيوية»، ومن ثم فـ " ليتش " يعتبر أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظرية ما بعد الحداثة ... إذ يعتمد النقد الثقافي عنده على التأويل التفكيكي ... بغية تحصيل الأنساق الثقافية استكشافا واستكناها " [15]؛ فـ " ليتش " ينظر إلى النقد الثقافي كمرادف لما بعد البنيوية، ويعود له الفضل في التأسيس لمشرع النقد الثقافي .

وانتقل النقد الثقافي إلى ثقافتنا العربية بواسطة جهود عبد الله الغذامي من خلال كتابه « النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية» الصادر عام 2000 م حيث حاول أن يتبنى مجمل مقولات " ليتش " أين وقف عند مضمرات الخطاب الشعري العربي من الجاهلية، وصولا إلى " أدونيس " وكان هذا الكتاب فاتحة عهد جديد على النقد العربي فشاعت المدونات التي تهتم بهذا الجانب وحاول كل ناقد تقديم رؤية مختلفة عن الآخر.

كما لا يمكن إغفال دور الدراسات الثقافية في التأسيس لمشروع النقد الثقافي وهناك من يربطه بها وقد رأى هذا المقال أن يفرد لها عنصرا خاصا في مبحث مرجعيات النقد الثقافي .

2 . مرجعيات النقد الثقافي :

لا شك أن النقد الثقافي كغيره من النظريات لا ينطلق من فراغ، بل لا بد له من مرجعيات معرفية يتكأ عليها، حتى يبني اتجاها خاصا به وقد رأى هذا المقال أن يحصر مرجعيات النقد الثقافي وفق التقسيم التالي :

2. 1.مدرسة فرانكفورت :

هي حركة فلسفية نشأت في مدينة فرانكفورت الألمانية سنة 1923 م، بدأت الحركة في معهد الأبحاث الاجتماعية للمدينة، وجمعت فلاسفة مثل " ماكس هوركهايمر" و"يورغن هابرماس " و"تيودور أدرنو" وتعتبر هذه المدرسة من طلائع الجهود المؤسسة للنقد الثقافي وتجلت جهودها في التنبيه إلى أهمية الثقافة ودراستها .

وتعد إحدى الإشارات المبكرة والمهمة إلى النقد الثقافي ما جاء في مقالة للمفكر الألماني " تيودور أودرنو " والتي تعود إلى عام 1949 م، عنوانها: «النقد الثقافي المجتمع »[16]. حيث تعد بمثابة الإشارة الأولى للنقد الثقافي، وقد حاول فيها توجيه نقد شامل للبرجوازية الأوروبية، والتي تعد من مسلمات النقد الأدبي عندهم كما وجه من خلالها نقدا لسياسات بعض الدول تجاه الأقليات .

وإلى جانب "أدورنو" نجد زميله "يورغن هابرماس" الفيلسوف الألماني في كتاب بعنوان : «المحافظون الجدد النقد الثقافي والحوار التاريخي»؛ ذلك أن "هابرماس" "لم يعن بتعريف المفهوم واكتفى بدلالة شائعة كتلك التي تضمنتها مقالة "أدورنو" "[17].

حيث كان الشغل العام لهؤلاء هو صياغة نظرية في العلوم الاجتماعية وذلك عن طريق تحليل الثقافة.

2. 2 . الدراسات الثقافية :

يعتبر هذا التوجه المعرفي من بين أهم المرتكزات التي ساعدت في إرساء مفهوم النقد الثقافي، والدراسات الثقافية هي " في علاقاتها تكاد تكون ظاهرة كرنفالية، إذ تستمد وجودها من غيرها، وتتشكل في حقل خاص من خلال هذا الاستمداد المستمر، ليس غريبا إذن أن تعرف الدراسات الثقافية نفسها بالعلاقة مع الدراسات الإثنية والأنثروبولوجية التي يلعب فيها مصطلح الثقافة دورا حاسما "[18].

ما يفهم من هذا التعريف أن الدراسات الثقافية تهتم بكل ما يدور في حقل الثقافة وتتقاطع مع بعض التخصصات وتنظر للأدب بوصفه منتجا ثقافيا .

وقد شاع مصطلح الدراسات الثقافية " حين شرع مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام BRININGHAM في عام 1971م في نشر صحيفة أوراق عمل في الدراسات الثقافية، والتي تناولت وسائل الإعلام والثقافة الشعبية، والثقافات الدنيا والمسائل الإيديولوجية، والأدب وعلم العلامات، والمسائل المرتبطة بالجنوسة والحركات الإجتماعية والحياة اليومية وموضوعات أخرى متنوعة" [19].

فالدراسات الثقافية تعمل على دراسة كل الوسائط المرتبطة بالنتاج الثقافي، سواء كانت مركزية أو هامشية ويتساوى لديها الدوني بالراقي، والمضمر بالبارز .

وقد ورد في« موسوعة كامبريدج في النقد الأدبي » أن الدراسات الثقافية قد " طورت مقاربات في غاية التنوع لدراسة الثقافة تميزت عادة باهتمامها بالعوامل السياسية والأيديولوجية والاجتماعية والتاريخية سيما العلاقة بين الثقافة والسلطة ... وقد ركزت اهتمامها على جوانب الثقافة التي استبعدتها مجالات العلوم الإنسانية المستتبة منذ زمن طويل"[20].

فقد حاولت الدراسات الثقافية إعادة الاعتبار لما كان سابقا مطرودا من حقل الثقافة، كما سعت إلى التركيز على دراسة بعض الثنائيات المتشابكة كالثقافة والسلطة وكذا تطوير البحث فيما استبعد من مجالات العلوم الإنسانية .

وهذا التطور والاهتمام المتزايد بالدراسات الثقافية انتقل بدوره إلى الأدب " فشجع على مقاربات أكثر شمولا لشتى النصوص المدروسة، واهتمام أكبر بالنظرية والسياق والمؤسسات التي تكون أشكالا في مجال الأدب"[21].

أما عبد الله الغذامي فيرى أن الدراسات الثقافية " كسرت مركزية النص، ولم تعد تنظر إليه بما أنه نص، لقد صارت تأخذه من حيث ما يتحقق فيه وما يتكشف عنه من أنظمة ثقافية، فالنص هنا وسيلة وأداة "[22].

فالنص الأدبي يصبح وسيطا مهما في كشف أنظمة الثقافة المشحونة بداخله؛ كما أن مفهوم النص قد تغير في هذا الحقل فهو " ليس سوى مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص، لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي توضع كان، بما ذلك تموضعها النصوصي "[23].

فالدراسات الثقافية أثناء مقاربتها للنص الأدبي، لا تبحث عن جماليته وأدبيته، إنما تستعين به لكشف أنماط معينة من الثقافة تتخفى تحت ستار الأدب والفن، وتجد مكانا لها ليعبر عن نسق أو نمط من التمثيل، فالنص هو وسيلة وليس غاية في هذا المجال .

كما يذهب إدريس الخضراوي إلى أن الدراسات الثقافية " ليست نظرية أو نموذجا علميا قائما على مفاهيم يحكمها التجانس والانتماء أنطولوجيا إلى حقل علمي محدد، وإنما هي اتجاه في القراءة، يستفيد من كل المدارس النقدية والاتجاهات خصوصا تلك التيارات الفكرية والنقدية التي تعبر عن حس المعارضة والمقاومة، وهذه الميزة ليست علامة على قصور هذا النمط من الدراسة، بل تستوجب النظر إلى الدراسات

الثقافية في ضوء ما يسمى بتداخل النظريات"[24]؛ فهي نمط جديد أو اتجاه جديد لقراءة النصوص، تستعين ببعض الأدوات الإجرائية والآليات النقدية، لمحاولة فهم بعض الشفرات الكامنة داخل نصوص أدبية، وما تعكسه من ظواهر ثقافية مستفيدة في الوقت نفسه من تداخل النظريات .

والثقافة باعتبارها " تشكل المادة الخام التي يتخلق منها الأدب هي نفسها متنوعة وملتبسة ويتداخل فيها السياسي بالاقتصادي والاجتماعي والقيم الأخلاقية والمعنوية والاعتقادات الدينية والممارسات النقدية والمعنوية والأبنية السياسية وأنظمة التقييم والاهتمامات الفكرية وتقاليد الفكر"[25]، فالأدب يعبر وبشكل كبير عن الثقافة، ومادامت الدراسات الثقافية تركز على الثقافة وجب عليها الاشتغال على الأدب كونه أكبر بنية ثقافية دالة على الحياة بمختلف ما تحمل، وتحدد خصائص الدراسات الثقافية فيما يلي :

- تتجاوز الحدود بين مختلف المعارف كالنقد الأدبي والتاريخي بل تحاول إدماجها لأجل فهم الظواهر المدروسة، وتصبح مهمة الدارس الثقافي وضع جميع خبراته للكشف عنها كما وجب عليها النهل قدر الإمكان من المعارف الأخرى كالسياسة وعلم الاجتماع .

- تتميز كذلك بالالتزام السياسي، حيث تسعى إلى تفكيك العلاقات بين الثقافة المسيطرة والمسيطر عليها، فالناقد عليه إعادة البناء لشتى العوامل الموجودة أمامه، باعتبار العقل والشخصية الفردية هما صيغة ثقافية، فهدفها الأول معرفة ما تنطوي عليه القيم السياسية والاجتماعية التي تستخرج من الأعمال الأدبية .

- تساوي الدراسات بين جميع النصوص، فهي لا تميز بين نصوص راقية وأخرى دونية ولا تفصل بين ثقافة النخبة والثقافة العامة، وتعتبر كل الممارسات الثقافية والأعمال هي ممارسات خطابية، كما تشجع على فهم الثقافة من خلال المقارنة الشاملة لمختلف الثقافات.

- لا تعمل الدراسات الثقافية على تحليل المنتج الثقافي، بل تعمل على اكتشاف أدوات إنتاجه، وعوامل الإنتاج المتحكمة فيه وهي هنا جد متأثرة بالفكر الماركسي الذي يربط بين البناء الفوقي والبناء التحتي.[26]

وفي الأخير يمكن القول أن هدف الدراسات الثقافية والنقد الثقافي " هو مساءلة التأثيرات والقيم والتقاليد التي ترعاها بنية ثقافية ما، بعيدا عن مفاهيم مثل الانعكاس والمحاكاة لأن البنية الثقافية لا تعكس الوجود الاجتماعي، وإنما تضعه وتكونه كمجموعة من التمثيلات التي يمتد تأثيرها إلى المستويات السياسية والتعليمية والاجتماعية"[27] .

حتى لا يفهم من أن النقد الثقافي والدراسات الثقافية هما مجرد محاكاة لنظريات ركزت على السياق، بل هما تطور معرفي جاء ليكمل التطور الهائل في ميدان الدراسات ما بعد الكولونيالية، وكذا الالتفات إلى الجوانب الخفية التي تم إهمالها أثناء التركيز على الجماليات الأدبية داخل النصوص .

2 . 3. التاريخانية الجديدة أو التحليل الثقافي :

يعتبر هذا الإتجاه " إحدى الإفرازات النقدية لمرحلة ما بعد البنيوية، وفيها يجتمع العديد من العناصر التي هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى كالماركسية والتقويض، إضافة إلى ما توصلت إليه أبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية وغيرها تجتمع هذه العناصر لتدعم التاريخانية الجديدة في سعيها إلى قراءة النص

الأدبي في إطاره التاريخي حيث تؤثر الأيديولوجيا وصراع القوى الإجتماعية في تشكل النص، وحيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية"[28].

فالتاريخانية الجديدة هي إعادة قراءة للنص الأدبي، وفق رؤية تاريخية واجتماعية وثقافية، تسعى إلى تفسير وتحليل شبكة العلاقات والنظم الدالة داخل النص الأدبي .

وهذا الإتجاه – حسب رأيي – هو محاولة لإعادة الاعتبار للتاريخ داخل النص الأدبي والنقدي، الذي قوضته البنيوية، تمثل التاريخانية الجديدة " عملية تفاوض مستمر وبعيد النظر في مواقع القوى الثقافية والنصية، والسياسية المعقدة بين الماضي والحاضر وتفصيل بين آنذاك والآن " [29].

فهي تسعى إلى نوع من التحليل الثقافي الذي يدرس تمظهرات الثقافة والتاريخ في النص الأدبي .

وتتقاطع التاريخانية الجديدة مع التحليل الثقافي، حيث يعمل هذا الأخير إلى " أن يذهب إلى ما هو أبعد من النص ليحدد الروابط بين النص والقيم من جهة، والمؤسسات والممارسات الأخرى في الثقافة من جهة أخرى"[30]؛ وبالتالي فالتحليل الثقافي يسعى إلى نفس ما تسعى إليه التاريخانية الجديدة في الكشف عن الأنساق المضمرة داخل الخطاب ودراسة علاقاتها التاريخية .

تجدر الإشارة إلى أن أغلب رواد هذا الاتجاه هم ذوي النزعة الماركسية، وأن هؤلاء النقاد يحاولون دائما تحليل أشكال الأنماط الثقافية وعلاقتها بمؤسساتها وكذا عوامل إنتاجها وظروف تلقيها، وهي في الحقيقة من مجالات النقد الثقافي.

2.4 . الدراسات النسوية:

يمكن اعتبار الدراسات النسوية حركة موازية للأدب النسوي فالأدب النسوي " جزء لا يتجزأ من النسوية التي هي حركة أيديولوجية سياسية تهدف إلى محاربة التميز الجنوسي، وتطالب بحقوق متكافئة للرجل والمرأة "[31].

و كان لا بد لهذا اللون من الأدب ظهور دراسات نقدية توازيه وتجعل لها مكانا داخل النظرية النقدية.

فظهر مصطلح الدراسات النسوية " كخطاب منظم في الستينات الميلادية، واعتمد على تحرير المرأة التي طالبت بحقوق المرأة المشروعة في العالم الغربي، ولازالت الدراسات النسوية على صلة وثيقة بحركات النساء المطالبة بالمساواة والحرية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعتبر "فرجينيا وولف" من رائدات هذه الحركة"[32].

ويعنى هذا الأخير بـ "تحليل النصوص من وجهة نظر المرأة والدافع إليه ما تستشعره الحركات النسوية من إهمال الرجل المتعمد لمجمل إنتاج النساء الإبداعي، وعده إياه أدبا من الدرجة الثانية، لذلك فقد كانت هذه الدراسات هي محاولة الرفع من منزلة المرأة في المجتمع"[33].

هذه الدراسات تحاول إبراز رؤية المرأة لمختلف الأعمال الأدبية، وإيجاد مكانة لها بجانب الرجل، وكذا الرفع من قيمة هذا الحضور بفعل الممارسة النقدية التي كان ينظر إليها من طرف الرجل بأنها ممارسة عاطفية ذاتية.

وتطالب كذلك بإنصاف المرأة ومساواتها بما يقدمه الرجل، وكشف الممارسات الذكورية التي يتم بها تهميش المرأة ثقافيا لأسباب طبيعية بيولوجية، والهدف كذلك من هذا هو إعادة تنظيم الموروث الأدبي، وجعل مكانة لإبداع المرأة، الذي أهمل من طرف الرجل و قد حققت هذه الدراسات فتوحات كبيرة، وأدخلت أعمال المرأة إلى المؤسسة[34].

هذه المرتكزات (الهامش والمركز المتمثل في المؤسسة الرسمية) هي من أهم مباحث النقد الثقافي، كما أن ظهورها هو " الرفع من قيمة المرأة وإخراجها من دائرة التهميش التي وضعها فيها الرجل في الدرجة الأولى، وكذا إعطاء أهمية لإبداعاتها وهذا من خلال إسقاط تلك النظرة الاستعلائية التي تمارسها المؤسسة الأدبية على أغلبية المنتج الإبداعي النسوي " [35].

هذا الاستعلاء والتهميش، ينظر إليه النقد الثقافي كنسق توغل داخل المؤسسة وبالتالي لا بد من الكشف عنه، وعن أبعاده ودلالاته، وكيفية تمظهراته داخل شتى أنماط الخطاب وموقف المجتمع من هذا الخطاب، وهل أوجدت له المؤسسة صيغا متعددة وأصبح ثقافة وممارسة عند الآخر (الرجل) هذه الأسئلة هي ما يحاول النقد الثقافي تعريتها والكشف عنها.

كما مهدت هذه الدراسات إلى شيوع مصطلحات نقدية في حقل الدراسات الثقافية والتحليل الثقافي للأدب النسوي، وأصبح هذا الأدب محل اعتراف وقبول من قبل النقد الأكاديمي فوجد النقد الثقافي فيه مبررا حتى يطبق مختلف مقولاته في هذا الحقل.

2 . 5. الدراسات ما بعد الكولونيالية:

تعتبر نظريات ما بعد الكولونيالية من أهم المواد الأساسية التي تدخل في مجال اهتمام النقد الثقافي و دراسات ما بعد الكولونيالية " مقولة سياسية استخدمت أول مرة في مجال النظرية السياسية في السنوات الأولى من عقد السبعينيات لوصف المأزق الجديد الذي أخذت تتخبط فيه البلدان التي خرجت من تجارب الاستعمار الذي تعرضت له من قبل الإمبراطوريات الأوروبية إلى حدود مفتتح الستينات" [36].

وعادة ما تشير هذه الخطابات الما بعد كولونيالية إلى الأدب بوصفه منتوجا ثقافيا، وهذا الأدب هو "الذي كتبته الشعوب التي خضعت لتجربة الاستعمار في العصر الحديث، منذ مرحلة استعمارها حتى يومنا هذا، سواء أكان ذلك الأدب الذي انسجم مع التأثير الاستعماري و ثقافة المستعمر، وصار هجينا، أم الأدب الذي رفض ثقافة المستعمر وحاربها "[37].

ولأن هذا الأدب فرض وجوده في المستعمرات كان لا بد له من خطاب نقدي يؤطره فكانت دراسات ما بعد الكولونيالية لتؤيد هذا الأدب الذي نظر إليه الغرب بنظرة استعلائية مركزية، ليرد على تهميش الغرب.

ونظرية الخطاب ما بعد الكولونيالي، وجدت بفعل مساهمات ثلة " من أبناء العالم الثالث الذين قدموا إلى الغرب من بلدان مختلفة مثل فلسطين وباكستان والهند ... ومن بين هؤلاء إدوارد سعيد وهومي بابا وإعجاز أحمد ... الخ" [38].

وهذه الدراسات أوجدت لنفسها مكانا في أمريكا بفعل هامش الحريات، وعبرت عن مختلف وجهات نظرها اتجاه جل القضايا في الأدب والنقد وشرحت الاستعمار ومختلف أساليب الهيمنة التي ينتجها، وأهم ما

تطرحه هذه الدراسات " أن الثقافة ليست وسيلة معرفية بل فضاء تتفاعل فيه شتى العناصر فهي خطاب يفعل ويتفاعل ولذلك فإن دراسة الخطاب الثقافي تتيح إمكانية التعرف عن كيفية تخيل الآخر في اللاوعي الشخصي والجمعي وكيفية قولبته لإقصائه وتهميشه، وعلى صعيد النقد الأدبي ترتكز على الرواية وترى أنها جنس أدبي واكب المشروع الاستعماري "[39] .

وبالتالي فهذه الدراسات وقفت على طرائق إنتاج الثقافة وإعادة تحليلها من جديد وفق رؤية جديدة، ووجدت في مجال الأدب جل تطلعاتها.

وخطاب ما بعد الكولونيالية هو " سؤال يشمل جميع مجالات الثقافة، وضمنها المجال الأدبي والفني الذي انطبع وبقوة بالموضوع ما بعد الكولونيالي " [40] .

وهذا الميدان الخصب من الدراسة " مجال أشعل شرارته جزئيا كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد عام 1978 م، حين لفت الانتباه إلى الطريقة التي انتهجها الخطاب الأدبي الغربي في وصف الشرق واختلافه "[41].

فالغرب الاستعماري أوجد خطابا، تجدر في العقول، مما يستوجب وجود حركة مضادة تعري زيف هذا الخطاب، ومقاومة ثقافية تكشف عيوبه النسقية.

ولأن النظرة الغربية قائمة على الاستعلاء، وقائمة على مقولة وضع كل أدب يأتي من المستعمرات القديمة ضمن الهامش، وبالتالي هو أقل منزلة من الإبداع والفن الغربي كان لا بد " من ظهور مدرسة نقدية تأخذ على عاتقها دراسة هذا الأدب، بإخراجه من العملية الإقصائية الممارسة عليه، وهو ما يجعل الخطاب الكولونيالي حقلا غنيا لكل الدراسات التي يحتويها النقد الثقافي" [42].

وعندما أتى النقد الثقافي وجد في كل هذه الجهود ضالته فانطلق في تحديد معالمه لكشف زيف المقولات الغربية في التمركز والسلطة، وكشف عن جماليات الخطاب ما بعد الكولونيالي، واستثمره حتى يقدم هوية ثقافية ونقدية لا تعترف بالمركز والهامش وإنما تدرس كل هذه الأمور من منظار نقدي تتساوى فيه كل الأعمال.

3. النقد الثقافي والمناهج النقدية:

إنّ ما يربط النقد الثقافي والسيمولوجيا (علم العلامات)، فهو أن الأول وظف بعض المفاهيم الأساس في السيمولوجيا، ووسع الاهتمام بها فمفهوم (الرمز) ماثل في النقد الثقافي، إذ عُدّت النصوص والأعمال الأدبية والنصوص التلفزيونية بمختلف أنواعها برمجا أو أفلاما أو إعلانات هي موجودات رمزية وتشير إلى الثقافة التي أنتجتها. و(الصورة) التي تكون جزءا من ثالوث بيرس، والتي تعني تجسيد وتمثيل بصري لشيء ما، وسع النقاد الثقافيون من اهتمامهم بها واخذوا يتحدثون عن ظاهرة التمثيل التي تتناول الصور من جميع الأنواع في سياق النظام الاجتماعي والسياسي الذي توجد به هذه الصور، فضلا عن الأخذ في الحسبان أمورا من مثل من الذي وضع هذه الصور؟ ومن الذي يسيطر على صناعة الصور في المجتمع؟ وبصفة خاصة الصور التي تقدمها وتنشرها وسائل الإعلام، والمهام التي تجسدها هذه الصور في النظام الاجتماعي والسياسي للأفراد[43] .

ومن مفاهيم السيمولوجيا الأخرى البالغة الأهمية للنقد الثقافي مفهوم (الشفرة الثقافية) وهي التركيبات الخفية غير المدركة التي تشكل سلوكنا وأحكامنا الجمالية ومعتقداتنا الأخلاقية، وكذلك مفهومي (الدلالة الضمنية) و(فك العلامات)[44] .

ويمثل التأويل مدخلا من مداخل النقد الثقافي كونه منهجا لتناول وإماطة اللثام عن معنى النص أو النشاط الثقافي الذي ينظر إليه كنص، لا عن طريق إعمال الفكر أو التحليل العقلي الموضوعي، وإنما بالنفاذ إلى داخل النص[45].

وهذا التنوع والتداخل في مداخل النقد الثقافي واهتماماته، ترتب عليه أمران، أولهما صعوبة ربط النقد الثقافي بأسماء محددة، أي أن النقاد الذين يمارسون النقد الثقافي متعددون بتعدد مداخل النقد الثقافي اللغوية والأنثروبولوجيا والتاريخية والماركسية والتأويلية والسيمولوجيا والنفسية والنسوية...إلخ، والناقد وفقا لهذا، هو ناقد ثقافي في التصور العام، ولكنه في التصور الأكثر خصوصية هو ناقد تفكيكي أو تأويلي أو تاريخي أو ماركسي أو نفسي أو نسوي، كل بحسب مدخله النقدي .

ولعل هذا الأمر يبدو جليا في خارطة النقد الثقافي التي يقدمها برجر فهي تضم أسماء لعلماء وباحثين تتنوع اختصاصاتهم، ويبدو في تلك الخارطة الاهتمام بالأماكن واضحا فهي خارطة لجغرافيا النقد الثقافي كما يشير برجر إذ تبدو الانتقائية فيها واضحة، فقد ذكر مفكرين لم يعاصروا نشاط النقد الثقافي كدي سوسير وكلود ليفي شتراوس، فهي – أي الخارطة- تبدو جغرافيا لجذور النقد الثقافي أكثر مما تبدو لجغرافيا نقاده[46]. أما الأمر الثاني الذي يترتب على تنوع مداخل النقد الثقافي، فهو أن هذا التنوع يستلزم من الناقد الثقافي ثقافة عميقة متعددة النواحي تمكنه من الاشتغال في مضمار هذا النشاط النقدي، ولعل هذه الثقافة العميقة كانت من بين دواعي إحجام العرب عن تبني هذه الوجهة النقدية الجديدة ودعوة بعضهم إلى تسلح الناقد بالثقافة اللازمة قبل أن يباشر اشتغاله في النقد الثقافي[47]. لذا يشير برجر إلى أن نقاد النقد الثقافي يمتلكون ثقافة أكاديمية فمنهم من يأتون من أقسام الآداب والاجتماع والفلسفة وأقسام المعلومات والاتصالات[48] . وكذلك الأمر بالنسبة لقارئ النقد الثقافي، إذ لابد أن يكون على درجة معقولة من التعليم، ولديه اهتمام بأفكار هؤلاء النقاد والكتاب، ولابد أن يمتلك وعيا بالموضوعات التي تكون محل نقاش في النقد الثقافي.

خاتمة:

خلص البحث إلى أن النقد الثقافي أخذ امتداده من مفاهيم الثقافة العامة، ثم تخصص مفهوم الثقافة في العلوم الإنسانية ولاسيما في النقد الأدبي؛ إذ ارتبط النقد الثقافي في بنيته المفهومية بالثقافة التي تعني العمومية والاهتمام بنشاط الإنسان، ضمن أزمنة متعددة تتراوح بين الماضي والحاضر والمستقبل ووفق ميادين مختلفة كالسياسة والاقتصاد والتأريخ والدين.

وإن نشوء النقد الثقافي عند الغرب كان مرتبطا ببعض البوادر التي مهدت وهيأت لنشوئهِ وظهوره في الساحة النقدية، منها الدراسات الثقافية التي نشأت في الغرب بعد الحرب العالمية الأولى والتي كانت ترتبط

بعلوم من مثل علم الاجتماع والتاريخ والفلسفة والأنثريولوجيا، وقضايا التحليل الاجتماعي والثقافي للشعوب فضلاً عن الدين والنظريات السياسية والاجتماعية. وقد توجهت الدراسات الثقافة نحو الطبقات المهمشة والمهملة واعتنت بثقافتها – الثقافة الشعبية- بدلاً من الاهتمام بالطبقات المهيمنة وأدبها الرسمي. وقد أثرت الدراسات الثقافية في نشوء اتجاهات نقدية أخرى ايضاً كان لها أثرها في نشوء النقد الثقافي وبلورة مفاهيمه.

الهوامش والإحالات:

[1] - آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي - تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية-، تر : وفاء إبراهيم و رمضان بسطا ويسي، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط1 ، 2003 ، ص 30 – 31.

[2] - عبد الله الغذامي : النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،المغرب ط3 ، 2005 ، ص 32 .

[3] - محسن جاسم الموسوي : النظرية و النقد الثقافي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان ، ط5 2005 ص 12 .

[4] - جميل حمداوي : مفهوم النقد الثقافي و تطوره، موقع ديوان العرب، صادر بتاريخ 2012/09/28،تاريخ الدخول 2014/10/02 .

[5] - عبد القادر الرباعي : تحولات النقد الثقافي ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ص15 .

[6] - ميجان الرويلي و سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب،ط2002،3،ص305.

[7] - جميل حمداوي : مفهوم النقد الثقافي وتطوره .

[8] - حفناوي بعلي : مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص36 .

[9] - فضيل عدنان: خطابات الفايسبوك وخطاب المثقف -مقاربة سميائية ثقافية -، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،الجزائر،2013،ص10.

[10] - عبد الله الغذامي : النقد الثقافي ، ص 03.

[11] - محسن جاسم الموسوي : النظرية والنقد الثقافي ، ص 12.

[12] - فضيل عدنان : خطابات الفايسبوك وخطاب المثقف - مقاربة سميائية ثقافية -، ص 11 .

[13] - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي : دليل الناقد الأدبي، ص 306 ، 307 .

[14] - جميل حمداوي : النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، موقع ديوان العرب، صادر بتاريخ 2012/07/08، تاريخ الدخول 2014/10/24.

[15] - جميل الحمداوي : مفهوم النقد الثقافي وتطوره .

[16] - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ، ص 306 .

[17] - المرجع نفسه، ص 308.

[18] - المرجع نفسه، ص 109 .

[19] - آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي - تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- ، ص31 .

[20] - كريس ويدن: الدراسات الثقافية، موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي، تر: هاني حلمي حنفي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005، ص237.

[21] - المرجع نفسه، ص 237.

[22] - عبد الله الغذامي : النقد الثقافي ، ص 17 .

[23] - المرجع نفسه، ص 17 .

[24] - إدريس الخضراوي : الأدب موضوعا للدراسات الثقافية ، جذور للنشر ، المغرب ، ط1 ، 2007 ص36 .

[25] - المرجع نفسه، ص 37 .

[26] - ينظر: المرجع نفسه، ص37-38.

[27] -المرجع نفسه، ص39.

[28] - ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي ، ص 80 .

[29] - دانكان سالكليد: التاريخانية الجديدة، موسوعة كومبريدج في النقد الأدبي، تر: دعاء إمبابي، ص102.

[30] - المرجع نفسه، ص105.

[31] - فتيحة صرصور: النقد النسوي، موقع مكتوب، صادر بتاريخ 2012/01/02، تاريخ الدخول 2015/01/24.

[32] - ميجان الرويلي و سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي، ص329 .

[33] - فتيحة صرصور : النقد النسوي.

[34] - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ، ص 335.

[35] - فضيل عدنان : خطابات الفايسبوك وخطاب المثقف – مقارنة سيمائية ثقافية-، ص14.

[36] - يحي بن الوليد : خطاب ما بعد الاستعمار، مجلة الكلمة، الكويت ، ع 16 ، أبريل 2008 ، ص 2 .

[37] - النجار مصلح و آخرون : الدراسات الثقافية ودراسات ما بعد الكولونيالية ، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، الأردن، ط1 ، 2008 ، ص 74 - 75.

[38] - يحي بن الوليد : ملاحظات حول النقد الثقافي لعبد الله الغذامي، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية ،ع55، 2005 ، ص 157.

[39] - المرجع نفسه ، ص 158 .

[40] - يحي بن الوليد : خطاب ما بعد الاستعمار، ص 6 .

[41] - يحي بن الوليد: خطاب ما بعد الاستعمار، ص 7.

[42] - المرجع نفسه،ص8.

[43] - ينظر: آرثر آيزبرجر: النقد الثقافي - تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية- ، ص 115.

[44] - ينظر: المرجع نفسه، ص132-133.

[45] - ينظر: المرجع نفسه، ص55.

[46] - ينظر: المرجع نفسه، ص34- 35.

[47] - ينظر: المرجع نفسه، ص37.

[48] - ينظر: المرجع نفسه، ص 38.

جهود العلامة محمد البشير الإبراهيمي في النهضة باللغة العربية في الجزائر

The efforts of Algerian scholar, sheikh Muhammed Bachir Al-Ibrahimi in the renaissance of Arabic language

ط.د. عنتر رمضاني [1] / جامعة غرداية / مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائر "الجزائر"

ramdani.antar@univ-ghardaia.dz

ط.د سهى حيمور / جامعة 8 ماي 1945 / مخبر الدراسات اللغوية والأدبية –قالمة–"الجزائر"،

himour.souha@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 15 / 09/ 2021 تاريخ القبول: 10/ 11 / 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص:

نسعى في هذه الورقة لبيان جهود علامة الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ونضاله المجيد في النهضة باللغة العربية، وكيف كانت خطته في ذلك، خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين، واعتماد اللغة العربية كمبدأ من المبادئ التي نشأت لأجلها الجمعية وسعت بجهودها لذلك.

الكلمات المفتاحية :محمد البشير الإبراهيمي، اللغة العربية، النهضة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجهود.

***Abstract*:**

In this paper, we seek to explain the efforts of the Algerian scholar, Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, and his glorious struggle in the Renaissance in Arabic, and how was his plan in that, especially after the establishment of the Association of Muslim Scholars, and the adoption of the Arabic language as one of the principles for which the association was established and sought with its efforts to do so

Keywords: *Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi, Arabic, Renaissance, Association of Algerian Muslim Scholars, efforts.*

1 **المؤلف المرسل:** عنتر رمضاني ، **الإيميل:** ramdani.antar@univ-ghardaia.dz

مقدمة:

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثالا يحتذى لمن رام العمل الصحيح والمثمر في سبيل نهضة الجزائر، واستقلالاها عن المستدمر الغاشم، وما بلغوا ذلك إلا بسياستهم الرشيدة التي مست مجالات عديدة، منها الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، ولعل عناية الجمعية بنشر العربية كان هدفا عظيما بذلوا من أجله كل غال ونفيس، في سبيل تحققه على أرض الجزائر، كون اللغة مكونا مهما من مكونات الشخصية الجزائرية بما في ذلك علاقة اللغة بالإسلام العظيم، فارتأينا التركيز على جهودهم في هذا المضمار واخترنا مثالا ونموذجا قيما لذلك وهي جهود العلامة محمد البشير الإبراهيمي في بعث ونهضة العربية في الجزائر، فما هي خطة الإبراهيمي في ذلك؟ وكيف انتهج تلك الخطة رغم الظروف الصعبة للواقع الجزائري آنذاك؟ وكيف تعامل مع الاستعمار الذي كان يحارب اللغة العربية؟ فكان مقالنا مبنيا على خطة وفق عناصر ركزنا فيها على جهوده في تكوينه وتعلمه العربية من معينها الأول، وكذا ما صنعه أيان كان رئيسا للجمعية وقبلها، وأيضا عنايته بالعربية في مؤلفاته وغيرها من عناصر المقال التي تناولناها، ولعل هذا المبحث يعد من المباحث التي تناولها الدارسون خاصة في ميدان الأدب، والتركيز فيه على نشر اللغة العربية بالتحديد والعناية بها في الجزائر.

أخبر الله تعالى في كتابه العزيز عن طائفة من الناس وصفهم بالرجال بعد وصفهم بالمؤمنين ليبين عظيم شرفهم وفضلهم، فقال :"مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا " [1]،وهذا لصدقهم فيما عاهدوا الله عليه، النابع من إيمانهم الكبير به سبحانه وتعالى، و هؤلاء الرجال ثلة مباركة طيبة من الأمة، تسعى لصلاحها وإصلاحها، وتعمل للخير وتدعو له بكل ما أوتيت من قوة وطاقة، ولعل هذا ينطبق كثيرا على رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خير جمعية اخرجت للناس في أرض الجزائر، وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، أحد أولئك الرجال المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقد أعطى عهدا لنصرة الجزائر وتحريرها، وللنهوض بلغة القرآن والكتاب العزيز وتعميمها في مختلف الأقطار والأمصار، فأدى الذي عليه ببراعة حتى نال مراده، ولازال فضله على اللغة العربية يذكر، وعلمه بها ينشر في صفوف الأجيال التي أتت من بعده، حيث أفنى كل أوقاته رحمه الله في سبيل إحياء العربية وآدابها، وشهد له بالفضل في ذلك أقرانه ممن عاصروه من قريب أو من بعيد، وما نال هذا إلا ليقينه الراسخ بعظم الرسالة التي حملها، وصبره على الأمانة التي كافح من أجلها، ولله در القائل :بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وفيما يلي نسلط الضوء على بعض جهود الرجل في ميدان العربية ونضاله من أجلها، لعلنا نوفي حق جهاد هذا الرجل في سبيل بعث لغة القرآن والنهضة بها في الجزائر.

1- جهود البشير الإبراهيمي في النهوض بالأدب واللغة :

لا يستطيع أي دارس منصف أن ينكر جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله في هذا المجال فقد كان أسد العرين، وسيد الفرسان في مضمارها، وإذا ما تحدثنا عن جهوده المباركة في هذا الميدان، فستطالعنا صفحات نيرات، وتاريخ مجيد في ذلك، إذ جعل الشيخ رحمه "اللغة العربية" قضية كبرى، فجاهد جهادا مستميتا في سبيلها، وبذل كل ما له من طاقة من أجل بعثها ونهضتها، فكان أول ما قدمه محمد البشير الإبراهيمي من جهود هو:

1- تكوينه ونشأته العلمية :غدي الإبراهيمي رحمه الله العربية وآدابها من معينها الأول، فكانت كتاباته ومقالاته تنضح بالفصحى، وتشع بالبيان العربي الأصيل، ولا يمكن لمن يحب العربية ويسعى لنهضتها ورفعتها ألا يكون عارفا أو محيطا بمسائلها أصولها وفروعها، والحرص عليها وعلى نشرها لا ينبع إلا ممن تمكنت العربية من نفسه، وحظيت باهتمامه علما ومدارسة، وهذا كما سبقت الإشارة إليه من حسنات التكوين والنشأة التي شب عليها وهو صغير، حيث تعهده عمه محمد المكي الإبراهيمي، وقام على تربيته وتعليمه علما أن عمه كان فريد عصره في إتقان علوم العربية، يقول الإبراهيمي رحمه الله تعالى:"وكنت ملازما له حتى في النوم والطعام، فكان لا يخليني دقيقة واحدة من فائدة علمية"[2]، والسر في نبوغ الإبراهيمي هو الطريقة التي اتبعها عمه في تلقينه العلم والعربية يقول الإبراهيمي عن ذلك :"وكانت له طريقة عجيبة في تنويع المواضيع والمحفوظات حتى الأمل"، وتعاهده رحمه الله حتى صار صاحب حافظة خارقة للعادة، فحفظ القرآن العظيم كاملا حفظا متقنا وهو لا يزال ابن ثمان سنوات وحفظه لأمهات الكتب من مثل :ألفية بن مالك، تلخيص المفتاح، وألفتي العراقي في الأثر والسير، نظم الدول لابن الخطيب ومعظم رسائله المجموعة في كتبه، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس كابن شهيد وابن أبي الخصال وأبي المطرف، ابن أبي عمير، ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق كالصابي والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر الرضي، وابن الرومي وأبي تمام والبحتري وأبي نواس، كما استظهر كثيرا من شعر الثلاثة جرير والأخطل والفرزدق، وحفظ كثيرا من كتب اللغة كاملة كإصلاح المنطق والفصيح الثعلب، وجمع الجوامع في الأصول وحفظ من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة .

وحفظ صدرا من شعر الطائيين، وحفظ كثيرا من رسائل سهل ابن هارون وبديع الزمان الهمذاني، وكتب الأدب الكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ وأدب الكاتب ولابن قتيبة الدينوري وحفظ أسماء الرجال الذين ترجم لهم المقري في نفخ الطيب وأخبارهم وأشعارهم، وفي عنفوان تلك الفترة حفظ برعاية عمه كتاب كفاية المحتفظ للأجدابي الطرابلسي، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني[3]، ويتدرج رحمه الله من كتاب إلى كتاب تلقينا وحفظا ومدارسة لما حفظه واستوعبه"فكان يقرأ وحده ويقرأ وهو يمشي في المزارع، ويقرأ ويطالع على ضوء الشمع وعلى قنديل الزيت وفي الظلمة وهو في هذا كله لا يمل ولا يكل رحمه الله ذو قريحة نيرة، وذهن صائد للمعاني ولو كانت بعيدة."[4]

ومما لا شك فيه أن هذا الزاد الهائل من المعارف والعلوم والمحفوظات في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، كان له عظيم أثر في حب الإبراهيمي رحمه الله للعربية وآدابها ومن ثم بعثها وإحيائها في أرض الجزائر بعد أن أفل نجمها وطمس الاستعمار آثارها.

ولم يكتف رحمه الله عند هذا الحد؛ بل هاجر إلى المشرق أيان النهضة الفكرية والأدبية قد أينعت ثمارها، فزار مصر، ثم زار المدينة المنورة، ثم انتقل إلى بلاد الشام، فالتقى العلماء وتلقي على أيديهم العلم، والتقى الشيوخ والشعراء والأدباء، وبهذا كانت إقامته بالمشرق مرحلة أخذ وعطاء، استطاع فيها الشيخ البشير الإبراهيمي أن ينمي قدراته ومواهبه كما استطاع فيها أن يستزيد في العلوم، فما عاد للجزائر إلا وهو يجر فائض بالمعارف ومحيط زاخر بالعلوم .

هذه السيرة الحسنة، والنشأة الهية في رحاب العربية، أهلته أفل نجمها كي يتصدى وينبري لكل ما يصيب العربية من لوثات العامية، والتغريب وغيرها، وسياسات الاستدمار الغاشم، والذي كان من أهدافه محو اللغة العربية ومسخها ، إما باللهجة العامية أو اللغة الفرنسية .ولا يخفى ما في ذلك من ضرر ، فقد عمد الاستدمار الفرنسي منذ الوهلة الأولى إلى تدمير اللغة العربية في الجزائر، فكتب الدوق روفيغو عن أهداف السياسة التعلمية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر قائلا" :لن تصبح الجزائر مستعمرة فرنسية إلا عندما تصير لغتنا هي اللغة السائدة، وتتأقلم فنوننا وعلومنا، ولا يمكننا التشكيك في ذكاء العرب؛ فالتاريخ شاهد على ذلك، إن المعجزة الحقيقية التي يجب تحقيقها، هي تحويل بخطى بطيئة اللغة الفرنسية محمل اللغة العربية، خاصة إذا ما اقبل الجيل الجديد على التعليم جماعات .[5]"فكان تكوين الإبراهيمي كحائط صد يعلم قيمة العربية ومنزلتها، وكذا يعلم حقيقة استبدالها ومحوها باللغة الفرنسية، وما من أحد يغوص في أعماق اللغة العربية إلا ويشرب حبها وحب الذود عنها، ولله در العلامة الطناحي وهو يقول" :فلا مستقبل للغة العربية صحيحة فاعلة دون تعليم منهجي يحببها إلى أبنائها وحملتها، ويقربها إليهم .[6]"وهو الذي نشأ عليه العلامة الإبراهيمي رحمه الله، فكان من السباقين للذود عن حمى اللغة العربية، والعمل على نهضتها في ألسنة الجزائريين .وهو الخبير بسياسة الاستدمار الغاشم، فتكوينه ونشأته العربية كان كافيا لكي يعي خطر نشر اللهجة العامية أو اللغة الفرنسية، لأن مطامح الاستعمار لا تبتغي تغيير اللسان واللغة فحسب، بل تتعداه لمسخ الشخصية والهوية ككل، وهذا ما حرص الإبراهيمي رحمه الله على غرار الجمعية وعلمائها في أن يكونوا بالمرصاد لكل ما فيه خطر على لغة الجزائر وهويتها وشخصيتها .

2- رئاسته للجمعية وإشرافه على التعليم العربي :عاد العلامة محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله للجزائر، بعد رحلة طويلة في طلب العلم والجلوس بين يدي العلماء، فشارك بقدر كبير في سبيل النهضة وخاصة النهضة باللغة العربية الذي كان هاجسه الأول والأخير، فكان له الفضل رحمه الله في تكوين جمعية العلماء المسلمين مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومساهمته في تكوين الجمعية من أبرز جهوده رحمه في النهضة لبعث العربية وآدابها من جديد، خاصة وأن الجمعية بتيارها الإصلاحي في ذلك من يمثل أكبر مدافع عن العربية وآدابها.

ولما ترأس الجمعية "رحمه الله" عمل على مواصلة المشروع النهضوي الذي بدأه زملاؤه من قبل، وحرص على إحياء التعليم العربي، وتحمل المشاق والصعاب العويصة في سبيل بعثه في ربوع الجزائر أولا، وفي أرجاء العالم العربي والإسلامي ثانيا.

فمنذ وفاة الشيخ العلامة ابن باديس رحمه الله، انتخب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وهو في المنفى رئيسا جديدا لجمعية العلماء المسلمين، يقول الإبراهيمي :"فانتخبني إخواني رئيسا الجمعية ومازلت متشرفا بهذه الرئاسة إلى الآن"[7] ، وكان يدير ويوجه الجمعية من طرف المراسلة يقول الإبراهيمي :"أصبحت أدير الجمعية وأصرف أعمالها من المنفى بالرسائل المتبادلة بيني وبين إخواني بواسطة رسل ثقات" [8]ولما أطلق سراحه عاد المزاولة أعماله بقوة وعزيمة مما كان عليه ورفع تقريرا للحكومة بتاريخ 05 أوت1944 م عبَّر فيه هو وزملائه عن الرفض المطلق للتضييق والمحاصرة على المساجد والتعليم العربي ومما جاء في هذا التقرير..." :ومن أسوأ ما في تلك القرارات أثرا وأشده إيلاما العواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من

اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلاد وعربية وهي الجزائر، وجاء دور تنفيذها على أيدي صغار الإداريين فبالغو وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة وسق معلمو العربية إلى مجالس القضاء كما يساق المجرمون.[9]"...

وقد نشر رحمه الله مقالا في عشرة أجزاء يتحدث فيه عن التعليم العربي بعنوان" :التعليم العربي والحكومة "بين فيه الإبراهيمي كل ملابسات هذه القضية ابتدأ فيه بالقوانين الجائرة على ذلك حيث يقول :"كل الوسائل التي تتذرع بها حكومة الجزائر لمقاومة التعليم العربي هي :إما قوانين أصدرها مجلس الأمة في فرنسا في أوقات مختلفة ولأسباب متنوعة، وإما قرارات إدارية فردية، مصدرها الجزائر، توجهها الروح الاستعمارية [10]"...ثم تكلم عن التعليم الحكومي الذي تقوم به فرنسا، وسوء معاملتها لمن يمارس التعليم العربي حيث يقول :"وافرض أن رجلا فرنسيا فتح مكتبا للتعليم الابتدائي، فهل تظن أن الحكومة تعارض أو تعاكس أو تعطل، أو تعامله بأقل من القليل مما تعاملنا به؟" [11]ليثبت عزم الإبراهيمي رحمه الله وموقفه من ذلك فيقول :"قلنا للحكومة مرات- في صدق وإخلاص -أن هذه الأمة رضيت لأبنائها سوء التغذية ولكنها لا ترضى لهم أبدا سوء التربية ...إن هذه المدارس التي شيدتها الأمة لأبنائها بأموالها ولم ترزا خزانتها فيها درهما ولا دينارا قد أصبحت تضاهي مدارسك سعة ونظاما وجمالا واستكمالا لشرائط الصحة واسترحنا واسترحت [12]"...وعرض في الأخير المماطلة وسء التسيير ومكره من طرف الحكومة وقبولها لبعض القرارات، وتعسفها ورفضها للبعض الآخر قائلا :"أما نحن فقد كنا علماء دين ودعاة علم وتربية، وزراع خير ورحمة، ولكن الحكومة تعد هذا كله سياسة، وتعتبرنا لأجله سياسيين، فليكن ذلك ولنكن علماء وسياسيين، ولنكن كل شيء ينفع أمتنا ويحمي ديننا ولغتنا".[13]

ولأن إيمانه كان قويا بمبادئه رحمه الله فقد سعى جاهدا لبعث التعليم العربي الذي ينهض بالعربية وآدابها أصولا وفروعا، "فما كاد يحل في مدينة سطيف حتى بدأ في عقد الندوات العلمية للطلبة وإلقاء الدروس الدينية للجماعات القليلة، ثم تدرج بعد ذلك من مخاطبة مواطنيه في القرى والنوادي، من خلال محاضراته التاريخية والعلمية إلى التجول في بلاد الجزائر لإلقاء الدروس والوعظ والإرشاد ونشط حركته بإنشاء المدارس التي كانت أوقفت من طرف الحكومة، كما أعد الأساتذة والمال ثم التلاميذ والكتب وأصبحت المدارس تتميز بالنشاط العلمي والنظام، حتى بلغ عدد طلبات الالتحاق بالمدارس سنة 1948 م، 800 طلب، وفي السنة الموالية ازداد أكثر عدد الطلبات وازداد عدد المدرسين ورفع المستوى العلمي، وطالب الحكومة فوق هذا بتسيير إعطاء الرخص للمعلمين لمزاولة مهنة التدريس التي تخدم قضية التعليم العربي الذي يعد أحد ضرورات الأمة الجزائرية، كما استنكر قرار شرطان الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية وطالب بإلغائه".[14]

ولما أدرك البشير الإبراهيمي مدى استعداد مواطنيه للنهضة العلمية التي كان يبشر بها في خطبة " أخذ في إعداد نواة من تلاميذ لبث أفكاره العربية والإسلامية وذلك بإنشاء مدرسة صغيرة لتدريب فئة خاصة من الشبان على الخطابة والكتابة في الصحف وقيادة الجماهير في الوقت نفسه.[15]

وقد أشرف الإبراهيمي رحمه الله على المشاركة في التعليم ففي تلمسان أسس دار الحديث التي لقبت بمدرسة الإبراهيمي، وكانت تجربة خصبة على الرغم من العقبات في بداياتها، إلا أنها كللت بالنجاح حيث يقول في موضوع تجربته لإحياء اللغة العربية في تلمسان":ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربية الفصحى وأخذت نفسي بذلك أخذا اصيلا فيه إلى درجة الإغراب أحيانا، وكان من وراء الالتزام غرضان :أحدهما إقامة الدليل للمتعلمين باللغات الأجنبية على أن الفصحى لا تعني بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت، وأنها تمد اللغات في

ميدان التعبير عن الحقائق والخواطر والتصورات، وقد بلغت من هذا الغرض ما اريد، والغرض الثاني أن أحدث في نفوس العامة المحبين للعلم والدين اسفا يقضي مضاجعهم فيدعوهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم، وكنت أرى من عامة السامعين حسن إصغاء ينبئ باهتمام عميق، فأتى أوله على أنه تأثر بالآيات والأحاديث التي يكثر ترددها في الدرس، والتأثر بكلام الله وكلام رسول الله طبيعي في المسلم، وكم كنت أخشى أن ينفضوا من حولي يوما لعدم فهم ما يسمعون لولا أنني آوي إلى ركن شديد من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومازلنا على هذا حتى فعل المران فعله، واصبحوا يفهمون ويتذوقون ويخرجون وهم يتدارسون .[16]"

فكان رحمه الله معلما قبل أن يكون داعية ومصلحا، لعلمه بأن الداعية معلم قبل ذلك، ففيما ينقله الأستاذ :أحمد بري في كتابه ظواهر في العبادات :أن الإبراهيمي رحمه الله، كان يلقي ثلاثة عشر درسا في كل يوم هي على التوالي :

"المفرد العلم في رسم القلم، كتاب الموطأ، قطر الندى، التاريخ الإسلامي، مفردات لغوية البيقونية، مقتطفات من الشعر الفحل ومن الأمثال السائرة، أصول الفقه، تحفة ابن عاصم، المعلقات السبع، الجوهر المكنون، تفسير القرآن الكريم، مبادئ أولية في النحو والصرف، والدرس الأخير خاص بالموظفين والتجار" .[17]دون أن ننسى إشرافه على الجمعية ومسؤولياتها.

ومما يجدر ذكره هنا من الأمثلة التي بينت حرص الإبراهيمي رحمه الله على التدريس والتعليم، وكذا اهتمام ذلك الجيل بتلقي العلوم خاصة علوم العربية، أن السلطات الفرنسية قدمت تقارير تذكر أن الإبراهيمي كان يقدم درسه خلال شهر رمضان بعد السابعة مساء، وقد كانت تضم حلقة التدريس ما بين مئة إلى مئة وخمسين شخصا من البالغين .[18]وهذا إن دل فإنما يدل على نجاح الفكرة الإبراهيمية في التعليم وسدادها، وطريقتها السوية التي تسير بصورة تراعي فيها كل الأهداف المرجوة من خلال سياسته الرشيدة رحمه الله في تسيير شؤون التعليم وهو الخبير بها، وقد شهد بذلك العدو قبل الصديق، فتماشيا مع الرقابة التي وضعتها الإدارة الاستعمارية لتنقلات العلماء المصلحين الذين أحدثوا نهضة ثقافية وفكرية، وجه رئيس بلدية ندرومة المختلطة "tpes"إلى والي وهران، يشير فيها إلى عوامل نجاح السياسة التعليمية للعلماء وفاق فرنسا يرجع بالأساس إلى "عدم قدرتنا على بناء مؤسسات تعليمية، وتوفير المعلمين كمنا وعدناهم منذ سنوات.[19]

وهكذا راح الإبراهيمي يعمل دون كلل، ولا وجل، طرفي النهار، وزلفا من الليل يعلم الصغار والكبار مبادئ دينهم ولغتهم، حتى ظهرت أولى تباشير النهضة، وقد نتج عن هذه الدعوة المتكررة، والجملة المستمرة للنهوض بالتعليم العربي والعربية وآدابها، أن بنيت 73 مدرسة، وقد قال عنه الإبراهيمي رحمه الله إنه موسم حمى فائرة أعراضها تأسيس المدارس، وهذيانها الحديث عن المدارس .[20]

ولقد حرص رحمه الله على ضمان التعليم الحر لكل أطياف المجتمع الجزائري، وهو التعليم الذي تريده الأمة، تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذر الموت، ومع كل هذه الجهود إلا أن الصعوبات التي لاقت الإبراهيمي رحمه الله كثيرة وعظيمة، وفي مثل تلك الظروف ما كان لأحد غيره أن يؤدي تلك المهمة على أكمل وجه، ومما نذكره هنا في حديثنا عن صعوبة الإشراف على المدارس، وتجهيز البرامج ونشرها في تراب الجزائر ما ذكره الإبراهيمي نفسه رحمه الله وأفضى به للأديب محمد الغسيري ويظهر ذلك الحرص من خلال رسالة وجهها إلى محمد الغسيري يعاتب فيها تقصيره في حق التعليم في 92 أكتوبر4491 ، ومما

جاء فيها" :إن مستغانم وهي في قلق عظيم وأنا في قلق أعظم، وإن بسكرة عاكستني معاكسة تؤدي إلى سقوط قيمتي في عمالة وهران، وسوقط قيمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأن غيليزان تنتظر أكثر من أختها، كذلك القول في الحمري ووهران وتيارت وحتى تلمسان، يا ولدي إذا دام هذا الحال، فعلى جمعية العلماء.... ، بلغ هذا الكلام إلى بوشمال، والشيخ العربي التبسي، ومحمد خير الدين، إني في تعب عظيم من الجولات والترهيب والعمل المتواصل لإحضار البرامج ليلا ونهارا منذ أكثر من شهر، وكلكم لم تعينوني بشيء، وقد أحظرت كل شيء، ولكنني فشلت لا لشيء، إلا لتراخيكم، وعدم تقديركم للموقف الذي أنا فيه، طلبت الرخصة إلى الجزائر وإلى قسنطينة ولي عشرون يوما وأنا في الانتظار، ولي رجاء قوي في زيارتكم هذه الأيام .[21]"فهذه صورة من صور معاناة الإبراهيمي مع مشروعه التعليمي الذي حسم أمره فيه، وبذل كل ما تيسر له من إمكانيات مادية وبشرية.

وكان للإبراهيمي رحمه الله نظرة خاصة للمدرسة، فيها هدف نبيل يعمل من أجله، وغاية سامية يرمي إليها، فكان يراها جنة الدنيا حيث يقول " :المدرسة جنة الدنيا، والأمة التي لا تبنى لها المدارس تبنى لها السجون.[22]"

لقد ساهم الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي في غرس حب العربية ولغة القرآن الكريم، ولغة أجدادنا، واهتم أكثر بتعليمها بين الصغار حتى ينشأ عليها، ويتربى على اللسان العربي الفصيح والصحيح، وهذا ما عودهم عليه الإبراهيمي في سياسته الرشيدة لنشر العربية.

وينشأ ناشئ الفتيان منا *** على ما كان عوده أبوه[23]

فعودهم الإبراهيمي أن يسمعوا العربية الفصيحة، وعلمهم إياها، من معينها الأول ومصادرها الأولى، لأنه كان يعول عليهم في مشروع لبناء والتشييد لجزائر الاستقلال، لذلك كان احرص ما يكون على تعليمهم تعليما عربيا أصيلا، يقول الإبراهيمي عن ذلك ":فجهزت منهم كتائب لحرب الأمية، وجندتهم، فجندت أبطالا، ونصبتهم، فنصبت من أعلام هداية للجيل الجديد، وأقطاب تربية وتثقيف له .[24]

3- مؤلفاته التي خدمت العربية والأدب :ومن بين مجهوداته رحمه الله مؤلفاته الأدبية واللغوية، فعلى الرغم من انشغالاته واهتماماته الكثيرة، لم يكن الإبراهيمي رحمه الله أديبا متفرغا لشؤون الأدب متخصصا في الكتابة والتأليف، بل صرفه الجهاد من أجل الجزائر عن ذلك، فاختار تأليف الرجال دون تأليف الكتب يقول محمد رجب البيومي :"فقد ألف الرجل وكتب على وفرة أشغاله وعظيم نضاله وصرفه الجهد عن طبع ما كتب وألف، ...ولكن الرجل قد نذر نفسه للكفاح الخالص من كل غرض ذاتي فلم يلتفت إلى نفسه في شيء، وترك كتبه العلمية رهينة مخطوطاته" [25]غير مجموعة ومن بين تلك المؤلفات التي يتحدث عنها الإبراهيمي نفسه قائلا :

لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأني ألفت للشعب رجالا، وعملت التحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب ورضى الشعب، ومع ذلك فقد ساهمت بالكتابة في موضوعات مفيدة، ولكن لم يساعدني الفراغ ولا وجود للمطابع على طبعها، وقد بقيت كلها مسودات في مكتبي بالجزائر، فمن أجمل ما كتب:

- 1عيون البصائر وهي من المقالات التي كتبها بقلمي في جريدة "البصائر" في سلسلتها الثانية.

-2 كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر، والتزمت فيها اللهجة السائدة اليوم في مواطن هلال عامر.

- 3كتاب النقابات والنفايات في لغة العرب، جمعت فيه كل ما جاء على وزن فعالة "من مختار الشيء ومرذوله".

-4كتاب أسرار الضمائر العربية.

- 5كتاب الشمسية بالمصدر.

-6كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعل يفتح العين .

-7كتاب نظام العربية في موازين كلماتها .

-8كتاب الاطراد والشذوذ في العربية: رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.

-9كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة .

-10رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان .

- 11رواية كاهنة أوراس، بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال .

- 12رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.

- 13كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام .

- 14كتاب شعب الإيمان، جمعت فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية .

وهنالك محاضرات- يتابع الإبراهيمي الكلام -وأبحاث كتبها على التلامذة في حين إلقائها وهناك فتاوى متناثرة.[26]

ولو أعيدت العناية بها شرحا وتعليقا وتحقيقا، وبثها المهتمون في المناهج التربوية، والمجلات التعليمية، والكتب وغيرها، لكان لها أثر بالغ في تسديد اللسان العربي الجزائري على العربية الفصيحة، والبلاغة العالية.

وهناك محاضرات وابحاث كتبها عنه تلامذته في حين إلقائه، وهناك فتاوى متناثرة، و لكن أعظم ما دون رحمه الله ملحمة رجزية نظمها أيام كان مبعدا في المنفى "الصحراء الوهرانية"، وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، وقد ضمنها مواضيع وفنونا كثيرة منها :تاريخ الإسلام ووصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولأفانين من الهزل للمذاهب الاجتماعية والفكرية والسياسية المستجدة، والإنحناء على الابتداع في الدين، وتصوير الأولياء الشيطان ومحاورات أدبية رائعة بينهم وبين الشيطان ووصف الاستعمار ومكائده ودسائسه وحيلة وتحذيراته للشعوب للقضاء على مقوماتها.[27]

ناهيك عن أجزاء "البصائر" الأخرى التي جمعها نجله أحمد طالب الإبراهيمي في 5 مجلدات سمَّاها بـ :آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وذلك بمساعدة الأستاذين حمزة بوكوشة رحمه الله - ومحمد خمار، وقد صدر الجزء الأول سنة 1978 م، والجزء الثاني سنة 1981 م، والجزء الرابع سنة1985 م، والجزء الخامس "في قلب المعركة" سنة 1994 م، و عيون البصائر تمثل الجزء الثالث من طبعه سنة.[28] 1997

4- افتتاح جريدة البصائر: لقد أدرك الإبراهيمي رحمه الله أن الصحافة هي لسان حال الشعب، ومن خلالها تكون حلقة وصل بينه وبين العلماء وبينه وبين طلاب العلم، وبينه وبين الشعب الجزائري، فكانت منبرا يعلنون فيها آراءهم، ويبثون فيها أفكارهم، ولهذا سعت جمعية العلماء المسلمين إلى اعتماد مجموعة من الجرائد والمجلات، تكون لسان حالها في داخل الجزائر وخارجها.

وتعد جريدة" البصائر "الجريدة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء، كما تعتبر من أهم وأبرز الصحف العربية الجزائرية شهرة وانتشارا، وهذا لما تركته من آثار في الحياة الوطنية في شتى نواحيها.

وجريدة البصائر لم تكن كالمنتقد والشهاب ملكا لجمعية العلماء، ولم تظهر حتى كانت صحف ثلاث أخرى سبقتها هي السنة، الشريعة، الصراط، وظهرت أول ما ظهرت سنة 1935 م، وقد ظل الإبراهيمي رحمه مسئولا عن إدارتها إلى أن وتوقفت في سنة 1956 م، بعد أن تشرد المسؤولون عنها، وكانت تصدر أول أمرها يوم الجمعة كل أسبوع ولكنها لم تلبث إلا قليلا حتى أصبحت تصدر يوم الاثنين وظلت على هذا النحو .[29]

بث الإبراهيمي كل طاقاته وصرفها من أجل أن تكون هذه المجلة معدا للأجيال، وخادما فذا للأدب والعربية في تلك الفترة بالجزائر، إذ فتحت المجال للكتاب والأدباء وأطلقت لهم العنان للإبداع والكتابة، فكانت بحق مدرسة أدبية كبرى أخرجت مجموعة من الأدباء والشعراء الذين أسهموا بقدر كبير في دفع عجلة الأدب واللغة نحو الازدهار والرقي، وأبرز كتابها الإبراهيمي نفسه، يقول عبد الملك مرتاض :"ونجد الإبراهيمي في طليعة الكتاب البارعين، فكان يتناول مواضيع يكتب حولها مسلسلات تصل أحيانا إلى عشر مقالات، وكان ينشر فيها أحاديث أدبية بحتة".[30]

ومن أجود ما كتبه الإبراهيمي رحمه الله في" عيون البصائر "مقال يتكلم فيه عن الشباب الجزائري كما يتصوره شخصه الكريم، وكما تمثله له خواطره، فيقول واصفا له معبرا عنه " :أتمثله متساميًا إلى معالي الحياة، عربيدَ الشباب في طلبها، طاغيًا عن القيود العائقة دونها، جامحًا عن الأعنَّة الكابحة في ميدانها، متَّقد العزمات، تكاد تحتدم جوانبه من ذكاء القلب، وشهامة الفؤاد، ونشاط الجوارح.

أتمثله مقداما على العظائم في غير تهوّر، محجامًا عن الصغائر في غير جبن، مقدرًا موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل.

أتمثله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له، أخوة الدم، وكلَّ مسلم أخًا له، أخوة الدين، وكل بشر أخًا له، أخوة الإنسانية، ثم يُعطي لكل أخوة حقها فضلا أو عدلا.

أتمثله حلِفَ عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغَ أقوال، ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال."[31]

فهو رحمه الله يستنهض همة الشباب التي يعمل من أجل إيقاظها لمشروعه العظيم، والذي لن يستقيم أمره إلا بهم، ويحث فيهم نفس الشاب الجزائري الطموح والمقدام الذي لا تثنيه العقبات ولا الصعوبات، في إقامة مشروع التحرر من براثن الاستعمار حقيقة لا محظ وهم وخيال، ولولا هذه اللغة العالية التي تمثلها الإبراهيمي وعبر بها في خواطره عن الشباب، ما كانت لتصلنا هذه المقالات البليغة واللغة المعبرة .

ومن مقالاته الأدبية الفصيحة" سجع الكهان "والذي لاق إعجابا كبيرا، ونجاحا بالغا، وهي أحاديث قصيرة أدبية، كتبها على طريقة المقامات، وحسب منها أنها كتبت بلغة بارعة في البيان، موغلة في الإبداع، لما عرف به الإبراهيمي رحمه الله من بيان جزل، وأسلوب متين، يغذيه في ذلك محزونه الثقافي والأدبي مما حفظه من كتب ومصادر أدبية ولغوية قديمة.

وهذا بعض ما ذكره في مقال" سجع الكهان ":"هذه فصول، إلا تكنْ فيها روح الكاهن ففيها من الكاهن سجْعُه، وإن لا يَجُلْ في جوانبها صَدَى الكهانة، ففيها من ذلك الصدى رَجْعه؛ فيها الزمزمة المفصحة، والتعمية المبصرة، وفيها التقريع والتبكيت، وفيها السخرية والتنكيت، وفيها الإشارة اللّامحة، وفيها اللفظة الجامحة، وفيها العسل للأبرار، وما أقلَّهم، وفيها اللسع للفجار، وما أكثرهم، فلعلّها تهزُّ من أبناء العروبة جامدًا، أو تؤزّ منهم خامدًا، فنجني شيئًا من ثمرة النية، ونغيّر أواخر هذه الأسماء المبنيّة .وفي هذه الفصول من لبوس الألفاظ ما يَعُدُّه المتخلفون من كتّابنا غريبًا، وما غرابته في أذواقهم، إلا كغربة الأعلاق النفيسة في أسواقهم؛ ولو حفِظوه ووَعَوْا معانيه وأقروه في مواضعه من كلامهم، وأحسَنوا إجراءه في ألسنتهم وأقلامهم، لأحيَوْه فحيوا به، ولأصبح مأنوسًا لا غريبًا، وأصبحوا به من لغتهم قريبًا؛ ولكن أعياهم الإحسان، فعقّروا في وجوه الحسان، وعجزوا في جني الثمرة عن الهصر، فرضوا من اللغة بما يباع في" سوق العصر .[32]"وحسب الشباب أن يطالعوا مثل هذا البيان الساحر، واللغة البارعة، فيحفظوا من ألفاظها، ويستفيدوا من معانيها، ولذلك كان الإبراهيمي وغيره يرون في لغة البصائر مستوى عاليا في فن الكتابة الأدبية ، و كان يُهيب بالكتّاب الجزائريّين أن يَشْمَخِرّوا، ولو قليلاً، بلغتهم وأساليبهم، حتّى يكونوا في مستوى أسلوب" البصائر "ولغتها، أو قل على الأصحّ :في مستوى أسلوب محمد البشير الإبراهيمي ولغته.

ولذلك وضع أسُس الكتابة الأدبيّة الراقية التي كان يحض عليها الشباب المتعلم والمثقف، حتى يحملوا بهذه العربية هم الرسالة، ويذبوا عنها في كل ناد وواد عبر مقالاتهم وكتاباتهم في الصحف والجرائد، والتي من أهمّها:

1- رُقيّ الألفاظ والمعاني والأساليب .ولا يتأتّى هذا الرّقِيُّ في نسْج الكتابة الأدبيّة، لكاتب من الكتّاب، حتّى يكونَ ألَمَّ على محفوظٍ غزير من النّصوص الأدبيّة راقٍ؛ إذ لا يُعقل أن ينبُغَ كاتبٌ كبيرٌ وهو لا يحفَظ نصوصاً أدبيّة كبيرة .وجِمَاع الشّأن في هذه المسألة هو ما يُطلِق عليه الشيخ "معرِض العربيّة الراقية" وواضح أنّ بعض المتأدّبين اليوم قد لا يقتنعون بمصطلح" العربيّة الراقية "وهو مجرّد توهّم منهم ومُغالطة، وإقرار بالقصور؛ لأنّ كلّ اللّغات الإنسانيّة الكبيرة فيها مستوياتٌ متدرّجةٌ من التعبير .فلو أخذْنا اللّغة الفرنسيّة مثالاً في ذلك لألفينا لغةَ أناطول فرانس، وأندري جيد، وسَواهما من عمالقة الكتّاب الفرنسيّين غيرَ لغةِ أيّ كاتبٍ صَحَفيّ فرنسيّ بسيط، أو أيّ روائيّ مبتدئ محروم .وإذن، فلا سواءٌ لغةٌ عالية سائلة تُمتْحُ من ضِئْضِئِ المعين، ولغةٌ بَكِيئةٌ تُؤْخَذُ من نهاية الساقية .فأيّ كاتب كبير إنّما يسْتميز باصطناع ألفاظٍ من اللّغة لا يصطنعها سَواؤُهُ من وجهة، وتكون هذه الألفاظ نفسُها بديعةً قشيبة عالية من وجهة أخرى، قبل أن نتحدّث عن الأفكار التي هي مطروحة في الطّريق، على حدّ مذهب أبي عثمان الجاحظ الذي عرَض في بعض كتاب" البيان والتبيين " تحدّث فيه عن كَلَفِ العامّة بصنف من الألفاظ لا تصطنعها الصفوة الصافية، مثل " البُرْمة "مكان "القِدْر , "والحنطة مكان" البُرّ" ، و"الخِيار"مكان" القثّاء"، وهلمّ جرّاً...

2- اللّغةَ عند الإبراهيمي يتمثلها معرضاً قائماً في سُوق أنيقة تُعرض فيها كرائمُ الألفاظ؛ وهو بذلك يكون قد حدّد، تلقائيّاً، مواصفاتِ هذه السّوق الرّفيعةِ التي ليست كأيّ شيءٍ من الأسواق، تُعرَض فيها أيُّ بضاعة من البضائع ا زْملُجَاة؛ بل هي سوق تُجْلب إليها كرائمُ ألفاظِ العربيّة المؤتنقة، وعقائِلُ المفردات المؤتلقة.[33]

وتحديد هذه الخطة في الكتابة الأدبية الراقية، مما يرسخ روح التنافس بين الشباب آنذاك، خاصة أولئك الذين أشرف الإبراهيمي رحمه الله نفسه على تدريسهم، فتتسابق الأقلام في ميدان النشر، وتشحذ الهمم في مجال الكتابة، فما ترى من مقالات ولا كتابات، إلا وهي ذات لغة راقية ومتينة، تنبئ عن وعي ثقافي كبير وإحاطة كبيرة بالعربية وأصولها لدى أولئك الشباب الذين تخرجوا من مدرسة الإبراهيمي رحمه الله.

ناهيك عما هو منشور في آثاره رحمه الله من مثل :كتاب السعادة الأبدية، بين عالم وشاعر، العربية وفضلها على العلم والمدنية، افتراء مستشرق وهي قصيدة نشرت في الجزء الأول من الآثار"، رسالة الضب، مناجاة مبتورة الدواعي الضرورة، رواية الثلاثة، مقدمة كتاب مجالس التذكير، إلى الكتاب، نفحات من الشعر الجزائري الحديث، أما الجزء الثالث ففيه اللغة العربية في الجزائر، القضية ذات الذنب الطويل، عادت لعترتها لميس، في كل ناد أثر من ثعلبة، إبليس ينهي عن المنكر، إبليس يأمر بالمعروف، سكت وقلت، سجع الكهان ....إلخ وفي الرابع :إلى علماء ونجد "أرجوزة"، تعليم البنت "أرجوزة"، صوت من نجيب فهل من مجيب، منزلة الأدب في الحياة، حركاتنا حركات إحياء، دولة القرآن، إن أردت"قصيدة"، غار على أحسابه "قصيدة"، وفي الجزء الخامس، عبرة من ذكرى بدر، حرية الأديب وحمايتها، أحمد شوقي، ...إلخ، كل هذه المقالات وغيرها ساهم البشير الإبراهيمي في تحريرها وإضافتها إلى حركة التأليف والكتابة والإبداع آنذاك.

وكان الإبراهيمي رحمه الله قد سخر قلمه للدفاع عن اللغة العربية التي كانت تلقى التشويه، والتعتيم، والعمل لتهميشها والتشكيك فيها لغة للجزائريين حرصاً على التمكين للفرنسية، تحت جناح البربرية وغيرها من الشعارات التي تبناها الاستدمار، فكتب سنة1941م في جريدة "البصائر" مقالة بعنوان :اللغة العربية في الجزائر : عقيلة حرة ليس لها ضرّة، قال في مقدمتها: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة، ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيماً لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتنساغ في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه، يزيدها طيباً وعذوبة أن القرآن بها يتلى، وأن الصلوات بها تبدأ وتختم، فما مضى عليها جيل أو جيلان حتى اتسعت دائرتها وخالطت الحواس والشواعر، وجاوزت الإبانة عن الدين إلى الإبانة عن الدنيا، فأصبحت لغة دين ودنيا معاً، وجاء دور القلم والتدوين فدونّت بها علوم الإسلام وآدابه، وفلسفته وروحانيته، وعرف البربر على طريقها ما لم يكونوا يعرفون، وسعت إليها حكمة يونان تستجديها البيان وتستعديها على الزمان، فأجدت وأعدت، وطار إلى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغة الرومان .. وسلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واقتناع لا يد فيه للقهر، وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار وكذب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمارا، وإنما هو راحة من الهمّ الناصب، ورحمة من العذاب الواصب، وإنصاف للبربر من الجور الروماني البغيض".

ونحسب أن هذا المقال في طليعة المقالات التي دافع بها الإبراهيمي رحمه الله عن حياض العربية الأصيلة في بلد الجزائر، وللإشارة فإن الشعب الجزائري كان يتكلم العربية الفصيحة في محادثاته وكلامه، ولم يكن اللسان العربي غريبا عنه ولا بعيدا منه، فمن ذلك ما ذكره الأديب محمد السعيد الزاهري في رده على أحد الكتاب التونسيين لقب نفسه باسم "شهاب" في معركة دارت بينهما، حملتها صحيفة النهضة التونسية، يبين فيها الزاهري أن العربية أصيلة في ألسنة الجزائريين، وأن اللغة الفرنسية هي الدخيلة، وعزيز أن يسمع في بوادي الجزائر كلمات إفرنجية غريبة عن العربية يتخاطبون بها ويتحادثون قائلا ":ولكن أرد عليه ما قاله عن الجزائر بغير حق، ذلك أن حالة الجزائر في عوائدها وأخلاقها وديانتها ولغتها لا تزال إلى اليوم باقية، أما العواطف الدينية فقد قويت، ثم في نفوس القوم قوة لم تقوها من قبل لأنهم يرون كل ما يلاقونه من جفاء الاحتلال ناشئا عن عداوة دينية.[34]"

ويواصل الزاهري تفنيد تلك الشبهات فيقول ":لا تجد في الجزائر مكتبا فرنساويا لتعليم البنات المسلمات، فليس ولله الحمد من بين الفتيات الجزائريات فتاة مفرنسة، فهن وإن كن جاهلات فلم يزلن على فطرة الله التي فطرهن عليها، ولا تجد أيضا جزائرية في مسرح التمثيل، ولا في متفرج عام ... وحتى التراكيب اللغوية باقية في هذا العقب المبارك، وكذلك المفردات العربية عند كثير من الناس، وهي عند عامة الجزائر مبذولة تسمعهم يقولون" :رمح الفرس إذا تعسف الطريق، ونطف الجرح، وقرم فلان إذا اشتهى اللحم، وقضى إذا مات ... ورمضت الأرنب إذا لم تستطع الجري من شدة الحر، وغير ذلك من المفردات لا يكاد يحاط بها حصرا، وعزيز عليك أن تسمع بالبوادي الجزائري كلمة دخيلة فيما يتخاطبون، ويمنعنى ضيق المجال من ذكر جملة من أخلاقهم وعاداتهم صالحة لأن يحكم بها الحكم على القوم بأنهم مرآة تمثل فيها العرب الأولى، وإن كان شهاب .. قال ":أن لغتها أصبحت مالطية جديدة" فهذا القول ينم عن التشفي، ونحن لا يسعنا إلا أن نكل هذا القول إلى أرباب النظر وأصحاب العقول من التونسيين وغيرهم، يحكمون فيه بين الأمة الجزائرية وبين هذا المتكالب الكاذب فيما قال عنها .[35]"فالجزائريون لم يكونوا غريبين عن العربية الفصيحة، بل كانت من صميم كلامهم اليومي، ومحادثاتهم المتكررة، وإنما دب فيها الضعف لما خطط الاستعمار لاستئصالها من قلوب الجزائريين وإبدال العامية "الدارجة" واللغة الفرنسية مكانها.، فمن هنا كان من سياسة الإبراهيمي تعليم الشباب العربية من أجل إعدادهم لأمر عظيم وهو المشاركة في الثورة المباركة، وفي هذا يقول عثمان شبوب ":واللغة من صميم الثورة تؤيدها وتنشر مبادئها، ولا يمكن لثورة شعبية أن تنجح وتحقق أهدافها إلا إذا كانت اللغة الوطنية فيها تحتل مكانتها الطبيعية، كما أن المضمون الحقيقي للثورة هو تحقيق مقومات الشخصية الوطنية وفي طليعتها اللغة، لأن اللغة رمز القومية الرئيسي، ويستحيل على أي شعب ما أن يغير مصيره إلى الأفضل بواسطة لغة أجنبية عنه، والشعب الذي يفقد لغته يفقد حريته واستقلاله .[36]

وقد كان الإبراهيمي رحمه الله رئيس تحرير المجلة "البصائر" يسعى سعيا حثيثا، ويسهر الليالي والأيام يتفرد بنفسه ويختلي بها يحرر المقالات وينشئ الكتابات، حتى أذكى شعلة الإبداع والتأليف في الأدب الجزائري، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل نظم وكتب الكثير من المبدعين والذين من بينهم :الطيب العقبي مبارك الميلي، أحمد توفيق المدني، والأديب أحمد رضا حوحو :"الذي كانت كتاباته من النوع الأدبي البحت، وكان ينشر في البصائر بعض أقاصيصه الجميلة المرحة، وقد نشر فيها مع حمار الحكيم، وكثير مقالاته الأخرى كانت تتناول مواضيع نقدية بحتة".[37]

ثم يأتي بعد ذلك كتاب آخرون ساهموا بقدر كاف في تنشيط حركة الإبداع الأدبي ولعل أبرزهم :محمد بوزوزو، حمزة بوكوشة، أحمد بن ذياب، الشيخ العربي التبسي، إضافة إلى ما كانت تتلقاه من مقالات من طرف كتاب مغاربة يعتبرون اليوم أعلاما الفكر المغربي المعاصر.[38]

وتختم هذا العنصر بالحديث عما تميز به أسلوب البصائر من كتابه و صياغة، حيث لم يكن الإبراهيمي متساهلا مع كتاب البصائر، فقد كان يغريهم بالتجويد في الأسلوب، ويزجي بهم أن يرفعوا إلى المستوى العالي من فن القول، وها هي ذي البصائر تتحدث عن أسلوبها تقول :"للبصائر طرفان؛ أعلى وهو معرض العربية الراقية في الألفاظ والمعاني والأساليب، وهو السوق التي تجلب إليه كرائم اللغة من مأنوس صيره الاستعمال فصيحا، وغريب صيره الاستعمال مأنوسا، وهو مجلي الفصاحة والبلاغة في نمطها العالي، وهو أيضا النموذج الذي لو احتذاه الناشئون من أبنائنا الكتاب لفحلت أساليبهم، واستحكمت ملكاتهم، مع إتقان القواعد، ووفرة المحفوظ، ولهذا الطرف رجاله المعدودون وهو نمط إعجاب أدباء الشرق بهذه الجريدة وطرف أبني، وهو ما ينحط عن تلك المنزلة ولا يصل إلى درجة إسفاف، وبين الطرفين أوساط ورتب، تعلو وتنزل، وهي مضطرب واسع ينقلب فيه كتابنا، من سابق إلى الغاية، مستشرف لبلوغها، ومقصر عن ذلك".[39]

وكان له مذهب في الكتابة يتحرى فيه البيان العربي، ويتميز فيه أسلوبا ولغة وطريقة، بعيدا عن البتذل والتكلف، فكان يمضي عليها في زَخْرفَة القول، وتَحْلِيَةِ الكَلام، فلم يكن يكاد يتجَانَفُ عنها فتيلاً .ولعلّ ذلك أن يبدُوَ من خلال أسلوبه في الكتابة الذي لم يكن يتغيّر أو يتبدّل مهما تكن الموضوعاتُ المعالَجة، والقضايا المتناوَلة؛ فسواءٌ عليه أكان يكتب عن قضايا اجتماعيّةٍ، أم سياسيّة، أم أدبيّة، فإنّ مستوى اللّغة ظلّ لديه هو هو، كما أنّ طريقة النسج باللّغة الرّفيعة ظلّتْ هي هي؛ حتّى إنّ الخبير بالأسلوبيّات يدرك بسهولة إذا قرأ نصّا غير معْزُوٍّ إليه، أنّه لمحمد البشير الإبراهيمي، لا لِسَوائه من الكتّاب .وأكبر أَمَارةٍ على عظمة المنزلة الأدبيّة لكاتب من الكتّاب، أنّه حين يغتدي معروفاً بأسلوبه بين الناس فتراهم يقولون :هذا أسلوب فلان، أو شبيه بأسلوبه، إذا حاكاه مُحَاكٍ في الكتابة، كشأن أبي عثمان الجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وابن الخطيب الأندلسيّ، وسَوائِهم من عماليق البيان العربيّ الآسِر.[40]

ومما يوضح ذلك ما قاله الأستاذ فرحات دراجي "وهو من كتاب جريدة البصائر"، في مقال له بعنوان "البيان العربي شعار البصائر"":[41]أما أسلوب البصائر في حد ذاته فهو أقوى وأشرف الأساليب التي ظهرت في الجزائر منذ عرفت الصحافة في الجزائر".

وبالعموم فقد امتازت بالعناية بالبيان، وجيد العبارات، واختيار الألفاظ والكتابة في أرقى صورها .

5- ومن بين جهوده رحمه الله التي لا تنكر تقلده مناصب راقية خدمة العربية وآدابها في الجزائر وفي غيرها : فمن ذلك أن عرضت عليه مشيخة الأزهر من قبل الرئيسين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، ولكنه رفضها مرارا بسبب تعارضها مع أسباب وأهداف هجرته للمشرق العربي، وبسبب تعارضها مع خدمة قضية الجزائر وتوجهها العربي الإسلامي، ولكنه لما عرض عليه منصب العضوية في المجمع العلمي اللغوي بالقاهرة قبلها لتناسبها مع مكانته اللغوية والأدبية والعلمية، ثم انتخبه أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة كعضو مراسل للمجمع وذلك عام 1954 م، وقد قام بتقديم مذكرة ترشيحه عضوا مراسلا للجمع كل من السادة "الدكتور منصور فهمي، عبد

الوهاب عزام، وأحمد أمين، وأحمد حسين الزيات"، وذلك اعترافا بغزارة علمه وسعة حفظه، ودقة فهمه لآداب العرب، بجميع فنونها من شعر ونثر وأمثال وأيام وأنساب وخطب وتاريخ.[42]

واختيارهم للإبراهيمي لم يكن عبثا بل كان عن قناعة راسخة تؤمن بأن الرجل على اقتدار عظيم وعلى علم كبير بأن يكون رئيسا للمجمع العلمي اللغوي، ومن عجيب ما يذكر وما يدل على أن الإبراهيمي على قدر كبير من الإجلال من طرف أعضاء المجمع ما ذكره الأستاذ موسى الأحمدي نويوات "أنه لما مر بمصر في طريقه إلى الديار المقدسة سنة 1953 م، حضر إحدى الندوات للشيخ البشير الإبراهيمي، ولما انتهى الشيخ من إلقاء كلمته قام الفيلسوف الكبير "منصور فهمي "أستاذ طه حسين زكي مبارك وغيرهم ...ونزع حذاءه معلنا أن هذا المنبر الذي يقف فيه الشيخ ساحة مقدسة ينبغي أن يدخلها الناس كما يدخلون الحرم، وقال :بأنه لم يسمع أو ير في حياته من هو أفصح وأبلغ من الشيخ البشير، ودعا جميع العلماء والأدباء في الوطن العربي إلى أن يلقوا إليه بمقاليد اللغة العربية وبيانها الساحر إلى الإبراهيمي :قائلا :أنت ملك العربية لهذا العصر، ملكت نواصيها ونواصينا ثم انثنى المربي الكبير الأستاذ كامل الكيلاني فأعلن المبايعة[43]، وقد استمر رحمه الله عضوا مراسلا حتى عام1961 م، حيث تم تعيينه عضوا كامل العضوية في مجمع اللغة العربية ممثلا للجزائر بالمجمع المذكور ضمن أحد عشر عضوا عينوا من مختلف الأقطار العربية في مجمع اللغة العربية في ذلك العام1961- م -وقد ناب عن الأعضاء الجدد في الكلمة التي ألقاها في جلسة افتتاح الدورة الثامنة والعشرين من نفس العام للمجمع، وقد قابله أعضاء المجمع بالترحيب الكبير وصفقوا له طويلا عندما قام يلقي كلمة باسم هؤلاء الأعضاء[44]، وعضويته رحمه الله أعطته دافعا قويا للمضي قدما نحو بعث العربية وآدابها في الجزائر، والعودة بقوة نحو تطويرها وإحيائها، ولعل الخطاب الذي ألقاه في حضرة أعضاء المجمع خير دليل على اهتمامه بهذه اللغة الكريمة ومما جاء فيه قوله :"أيها الإخوة الكرام :حياكم الله وبياكم، وأدامكم وأحياكم، وأبقاكم للعروبة، وأبقاكم للعروبة، تصونون عرضها وتستردون قرضها، وللغة العرب تجتمعون شتاتها، وتحيون مواتها، ...إن هذه اللغة العربية الشريفة التي طرقنا خيالها المؤدب، هي الرحم الواصلة بيننا وهي اللحمة الجامعة لخصائصنا وآدابنا، فمن بعض حقها علينا أن نبلها ببلاها، وأن نرعى حقها علينا أن نخف لتجدها كلما مسها ضرا أو خربها أمر ....أيها الإخوة :لقد كانت العربية قبل اليوم وإن رباعها لمفجوة، وإن قصاعها المكفوة وإن رقاعها لغير ملتامة ولا مرفوة ولا عجب فأقوى جامع لكلمة العرب كلام العرب، ولئن تم ذلك لتكونن هذه الأسرة أعز رهط في العرب.[45]

خاتمة

أما عن الإبراهيمي فقد كان أسد العرين في النهوض بالعربية وآدابها في الجزائر بصورة كبيرة، وجهوده رحمه الله من أجل بعث مجدها نابع من إيمانه العميق بأنها اللغة الشريفة الكاملة لذلك سعي رحمه الله من أجل النهضة بها وقد نلخص جهوده في:

أ. تكوينه رحمه الله: وقد كان تكوينا خاصا حيث تشبع تشبعا كاملا من معين العربية وآدابها وسيرته خير شاهد ودليل على ذلك، فكان تكوينه الغد حافزا قويا من أجل همه الرجل في النهوض بالعربية وآدابها وبعث مجدها.

ب. رئاسته للجمعية: حيث حمل على عاتقه (رحمه الله) رسالة الجمعية الأولى النابعة من الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا، فحقق (رحمه الله) نجاحا باهرا ضمنه حسن التسيير وكفاءته وتفانيه في عمله.

ج. إشرافه رحمه الله على مشروع التعليم العربي بعد أن وقفت فرنسا بالمرصاد وأغلقت المدارس العربية وبمجيء البشير الإبراهيمي أعاد بعث تلك المدارس وأعد لها كل ما يلزم من أجل السير الحسن العملية التعليم من أموال وأساتذة وغير ذلك، حتى بلغ عدد الطلبات بالالتحاق نحو 800 طلب وعدد المدارس التي بنيت سنة 1943 م مثلا بلغت: 73 مدرسة، حتى قال عنه الإبراهيمي: "إنه موسم حمئ فائرة أعراضها تأسيس المدارس، وهذيان الحديث عن المدارس" وانتشار هذا القدر الكبير من بناء المدارس ساهم في رقي التعليم العربي (اللغة العربية).

د. إشرافه رحمه الله ومشاركته في التعليم حيث كان يفني وقته في تعليم النشء وتثقيف الشباب وتعليم الكبار أيضا، يعلمهم مبادئ العربية ويحببهم فيها وفي آدابها.

هـ. ومن بين جهوده رحمه الله تعالى في بعث أمجاد العربية آنذاك مؤلفاته الأصيلة على الرغم أنه لم يشتغل بالكتابة كثيرا، التي خدمت العربية وآدابها فبالرغم من قلتها إلا أنها أضافت إلى العربية ديوانا من خدمة للعربية، ومن مثلها كتب: أسرار الضمائر العربية، التسمية بالمصدر، والملحمة التاريخية الرجزية.

و. إعادة بعثه لمجلة (البصائر)، التي كانت ملاذ المبدعين والمؤلفين حيث فتحت المجال للطاقات الإبداعية الشابة، حتى غدت حاملة لواء العربية وآدابها فأخرجت لنا أدباء وشعراء ساهموا في نهضة الأدب العربية في الجزائر.

هكذا عمل الإبراهيمي على رفعة شأن العربية في الجزائر، وأنها لا تبتعد عن أخواتها من البلدان العربية، كتونس ومصر وغيرها، وكان رحمه الله من الذين نذروا أنفسهم تعليما للناشئة، وتوعيا للعشب الجزائري، كما سخر كل ما توفر له من إمكانيات مادية وبشرية، للعناية باللسان العربية، تدريسا وتمكينا وفقها وكتابة، فكانت أولى خطواته وصولا لهذا الهدف السامي هي نشر التعليم العربي الحر الأصيل، وضع له الإبراهيمي رحمه الله خطة محكمة، غيرت مجرى التعليم في الجزائر، فكانت ثمرته نشر الدين والفقه فيه، ونشر العربية والتحدث والكتابة بها على أروع ما يكون من اساليب البيان العربي، فنهض رحمه بهذه المهمة النبيلة "إحياء العربية وبعث نهضتها من جديد" فكانت نورا على الشعب الجزائري تضيء لهم حوالك الطريق، وكانت نارا متأججة في حلوق المستدمر الغاشم، فكان العلامة "محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله" حلقة من حلقات الجهاد الطويل في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وأحد الذين شكلوا وعي ووجدان الأمة العربية والإسلامية على امتداد أقطارها؛ حيث كان أحد رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، فرحمه الله وجزاه الله عن العربي والإسلام خير الجزاء.

الإحالات والهوامش:

1- سورة الأحزاب الآية 23.

2- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، جمع وتقديم مجلة أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1997، الجزء 5، ص 164.

3- مرجع نفسه، ص 164

4- عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، ط 1، 2009، ص 226

5- جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان: 2391م-7491م، بن بوزيان عبد الرحمن، مجلة القرطاس، العدد 4/جانفي 7102، ص 852.

6- محمود محمد الطناحي، صيحة في سبيل العربية، مقالات من أجل نهضة العربية وثقافتها، تعليق أحمد عبد الرحيم، أروقة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م، ص91.

7- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء 5، مرجع سابق، ص 168.

8- سليمة كبيرة الشيخ البشير الإبراهيمي، المكتبة الخضراء، ص 13.

9- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 137.

10-محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء 5، مرجع سابق، ص 217.

11- مرجع نفسه، ص 218.

12- مرجع نفسه، ص 221

13- مرجع نفسه، ص 251.

14- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، 1990، ص 123، 124.

15-مرجع نفسه، ص 125، 126.

16- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء الأول، ص75.

17- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء 5، ص 32.

18- جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان: 2391م-7491م، بن بوزيان عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 162.

19- مرجع نفسه، ص 259.

20- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، ج02، 431.

21- جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان: 1932م، 1947م، بن بوزيان عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 263.

22- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 135.

23- البيت لابي العلاء المعري.

24- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 265.

25- محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص 548.

26- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء 5، مرجع سابق، ص 289.

27- مرجع نفسه، ص 289

28- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء 5، ص 5

29- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب الجزائري المعاصر، (1925/1954"، ط 2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983 م، ص 108-109-110.

30- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب الجزائري المعاصر، الشركة الوطنية للنشر، ط 1، الجزائر، 1983، ص 111.

31- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، الجزء الثالث (عيون البصائر"، ص 509.

32- مرجع نفسه، ص 518.

33- عبد المالك مرتاض، مذهب الإبراهيمي في الكتابة، الأحد:21-فبراير-25:91/7102، ينظر موقع: https://binbadis.net/archives/1919

34- رابح فروجي، المقالة النزالية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية المجلد 8-العدد 14- ص139.

35- رابح فروجي، المقالة النزالية، مرجع سابق، ص 139-140.

36- عثمان شبوب، عثمان شبوب، من اللغة تبدأ ثورة التجديد، مجلة الاصالة، الافتتاحية، السنة الرابعة، العددان 71-71، شوال –ذو القعدة- ذو الحجة 3931هـ، محرم 4931هـ، نوفمبر-ديسمبر 1973م، جانفي، فيفري 1974م، ص 50.

37- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص 112.

38- مرجع نفسه، ص 112.

39- البصائر، عدد 86 / السنة الثانية، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1927، 2006. ص 5.

40- عبد المالك مرتاض، مذهب الإبراهيمي في الكتابة، الأحد:21-فبراير-25:91/7102، ينظر موقع: 1919/https://binbadis.net/archives

41- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب الجزائري المعاصر، ص 112.

42- جامعة الأمير عبد القادر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، لعلامة المصلح والداعية والأديب، بمناسبة تخرج الدفعة 22، رجب 1430، جويلية 2009، قسنطينة، ص 160.

43- مرجع نفسه، ص 171

44- مرجع نفسه، ص 171

45-مرجع نفسه، ص 392.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.
- الكتب
- البصائر، عدد 86 / السنة الثانية، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان، 1927، 2006. ص 5.
- جامعة الأمير عبد القادر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، لعلامة المصلح والداعية والأديب، بمناسبة تخرج الدفعة 22، رجب 1430، جويلية 2009، قسنطينة، ص 160

- جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في إحياء تدريس اللغة العربية بتلمسان: 2391م-7491م، بن بوزيان عبد الرحمن، مجلة القرطاس، العدد 4/جانفي 7102، ص 852.
- سليمة كبيرة الشيخ البشير الإبراهيمي، المكتبة الخضراء، ص 13.
- عبد المالك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، ط 1، 2009، ص 226
- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب الجزائري المعاصر، (1954/1925"، ط 2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1983 م، ص 110-109-108.
- محمد البشير الإبراهيمي، الآثار، جمع و تقديم مجلة أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1997،الجزء 5، ص 164.
- محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 137.
- محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، منشورات الكتب العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ص 548.
- محمود محمد الطناحي، صيحة في سبيل العربية، مقالات من أجل نهضة العربية وثقافتها، تعليق أحمد عبد الرحيم، أروقة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م، ص91.
- نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، 1990، ص 123، 124.

- المقالات

- رابح فروجي، المقالة النزالية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية المجلد 8-العدد 14- ص139.
- عثمان شبوب، عثمان شبوب، من اللغة تبدأ ثورة التجديد، مجلة الاصالة، الافتتاحية، السنة الرابعة، العددان 71-71، شوال –ذو القعدة- ذو الحجة 3931هـ، محرم 4931هـ، نوفمبر-ديسمبر 1973م، جانفي، فيفري 1974م، ص 50.

- المواقع الإلكترونية

- عبد المالك مرتاض، مذهب الإبراهيمي في الكتابة، الأحد:21-فبراير-25:91/7102، ينظر موقع: 1919/https://binbadis.net/archives

الصورة السينمائية: الإنتقال من الشكل التناظري إلى الشكل الافتراضي.

Cinematic image: Transition from analog to virtual format.

د. تبر الطرش[1] /المعهد العالي للفنون الجميلة – نابل.(تونس)، *bensalah.teber12@gmail.com*

تاريخ الاستلام: 10/ 06 / 2021 تاريخ القبول: 09 / 09/ 2021 تاريخ النشر: 31/ 12 / 2021

ملخص

الإشارة التناظرية والإشارة الرّقمية هما عمليتان لنقل البيانات وتخزينها. (صوت ، صورة ، فيديو ، إلخ). حيث نشأت التناظرية مع ظهور الكهرباء بينما ظهر مصطلح الرقمي مؤخرا مع عصر الكمبيوتر، إنّ مبدأ التناظرية هو إعادة إنتاج الإشارة المراد تسجيلها (صوت ، فيديو ، إلخ) في شكل مماثل على وسيط (مغناطيسي بشكل عام). أمّا في النظام الرقمي، يتم تحويل الإشارة التناظرية التي سيتم تسجيلها إلى رقمية باستخدام محوّل تناظري رقمي. بعد هذا التحويل، تكون الإشارة ليست أكثر من سلسلة من "0" و "1" ، أي إشارة ذات اتساعين بدلا من اللاّنهاية التناظرية. وعلى إثر هذا التطور أصبحنا نتحدّث على مفهوم الافتراضي.

فعند إدخال الشاشات الخضراء *"L'incrustation"* أو المؤثرات الرقمية الخاصة أو حتى ثلاثية الأبعاد يكون مفهوم الافتراضي هو الابتكار الذي أحدث ثورة في السينما. وهنا يمكننا أن نطرح سؤال "لماذا ؟" لأنها ببساطة تقنية يمكن استخدامها على جميع المستويات، سواء في مرحلة ما قبل الإنتاج أو الإنتاج أو خلال المرحلة الأخيرة، الترويج.

الكلمات المفتاحية: التناظري، الرّقمي، الصورة، الافتراضي، التكنولوجيا، السينما.

Abstract:

Analog and digital signals are processes for data transfer and storage. (voice, photo, video, etc.) Analog arose with the advent of electricity, while the term digital recently emerged with the computer age, the principle of analog is to reproduce the signal to be recorded (sound, video, in a similar form on a medium (generally magnetic). In the digital system, the analog signal to be recorded is digitized using a digital analog converter. After this transformation, the signal is no more than a series of "0" and "1". A two-amplitude signal rather than an analog infinity. And as a result of this development, we're talking about the concept of default. When green screens, special digital effects, or even 3D are introduced, the concept of default is the innovation that revolutionized cinema. And here we can ask the question, "Why?" Because it's simply a technique that can be used at all levels, whether in pre-production, production or during the last phase, promotion.

Keywords: *Analog, digital, image, virtual, technology, cinema.*

.

[1] **المؤلف المرسل:** د. تبر الطرش ، **الإيميل:** *bensalah.teber12@gmail.com*

مقدمة:

ألم نسمع دائما بأنّ الصّورة تساوي ألف كلمة، وهذا يعني بأن لنا القدرة على معالجة البيانات المرئية أكثر من الكلام. خاصّة وأنّ هذه البيانات تحمل في طياتها المعنى من حيث طريقة تكوينها من الألوان والأشكال، ولعلّ هذا ما يحيلنا إلى القول بأنّ الصّورة هي اللّغة الأكثر أهميّة في عصرنا الرّاهن. إنّ هذا الطّرح المتعلّق بالصّورة يأخذنا إلى إشكاليات جديدة تتعلق بالصّورة السّينمائية وخاصّة الافتراضية، وهي صورة مختلفة تماما عن باقي الصّور السّينمائية فهي تغمر المتفرج بتجربة مغايرة تماما وهذه هي نقطة قوتها. ومن المثير للاهتمام الأسلوب الذي تعتمده.

وهنا بحثنا، أولا في تحولات الصّورة السّينمائية من التناظري إلى الافتراضي وفي المكونات البصرية للصّورة السّينمائية الافتراضية والتّعرف إلى التقنيات الرّقميّة التي تساهم في صناعتها، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأنّ هذه التحولات تتميز بالغنى والثراء المتمثل في شكل فنّي وجمالي بإخراج معاصر للصّورة السّينمائية وبرؤية حديثة.

ولكلّ من الصّورة السّينمائية التناظرية أو الافتراضية خصائص تميزها، لكن من الملاحظ أنّ الكثير من التقنيات المتطورة حاضرة بقوّة في الصّورة السّينمائية الافتراضية وهذا ما يجعل منها نقطة تحوّل للصّورة السّينمائية بشكل عام. وعدم حضور هذه التقنيات لا ينقص شيئا من الصّورة السّينمائية التناظرية فلو لا وجود هذه الأخيرة لما تطوّرت السينما، فهي نقطة بداية اكتشاف هذا الفن.

إنّ هذه التحولات جاءت بشكل عام لصالح الصّورة السّينمائية من أجل رؤية معاصرة موظفة في ذلك كل التقنيات الحديثة. وفي هذا الإطار نستحضر " **جيل دلوز**"[1] وهو من الفلاسفة المهتمة بمجال الصّورة السّينمائية فوضع قواعد جمالية أساسها صورة سينمائية تقوم على الحداثة الفنّية.

إذن يمكن أن نطلق على تحولات الصّورة السّينمائية من الشكل التناظري إلى الشكل الافتراضي أنه بمثابة الانفجار لمنجم مليء بالإبداع، فمن صورة سينمائية عادية إلى صورة سينمائية تضيف تكوينا ثلاثيا للأبعاد وما بعده ممّا يعزّز حضور الصّورة السّينمائية الافتراضية.

يبدو اهتمام صنّاع الصّورة السّينمائية بدء يتسارع بشكل ملحوظ، نظرا للجاذبية التي تتمتع بها وللإيقاع السريع الذي تتميز به، وهذا ما يأخذنا إلى الحديث عن ميل لإنتاج أكثر ما يمكن من الصّور السّينمائية. حيث تقوم الصّورة السّينمائية بالأساس على الحداثة التقنية فكلما تقدّمت التّكنولوجيا تتقدّم على إثرها الصّورة السّينمائية لتصبح بذلك مواكبة للعصر الذي نعيشه، هذا الأمر الذي يجعل منها ميدانا زاخرا بتفاصيل شتّى. والتطور التكنولوجي كفيل لوحده بأن يصنّف شكل الصّورة السّينمائية سواء كانت صورة كلاسيكية أم صورة معاصرة. وفي هذا الإطار تكمن قوة صنّاع التّكنولوجيا وكأن بالصّورة السّينمائية تنصهر وتتشكّل وتنساق في منظومة ما هو متاح مع الوقت الرّاهن.

ومن هذا المنطلق يأتي دور الناقد السّينمائي وهو الكفيل بتقسيم التيارات السّينمائية ليحدّد لنا خصائص كل صورة سينمائية. وبعد دراستنا لتحوّلات الصّورة السّينمائية من التناظري إلى الافتراضي سنقوم بتحديد خصائص كل صورة منها استنادا إلى مراجع سينمائية، حيث سنقوم هنا ببحث شامل داخل تفاصيل كل صورة ومميزاتها وخصائصها.

وسواء كانت الصّورة السّينمائية تناظرية أو افتراضية فإن لهما أبعاد متعدّدة، فيشترك كلاهما في الحركة وفي أساسيات صناعة الصّورة السّينمائية. لكن لكل منهما طريقة طرح تختلف عن الأخرى من حيث زاوية التصوير والإخراج وحتى في كتابة السيناريو.

إن هذه الخصائص تؤكد أولا على التطوّر الذي حصل في الصّورة السّينمائية، وثانيا على ارتباط الصّورة السّينمائية بالتقدم التكنولوجي، وثالثا على البحث المستمر لإنتاج أكثر ما يمكن من الصّور السّينمائية لإثرائها وجعلها تتّسم بالحداثة.

تعدّدت الاتّجاهات والحركات والمدارس الفنّية التي أولت الصّورة مكانة متميّزة فجعلتها مركزها الأساسي ومكونها الرّئيسي، حيث تعدّدت مفاهيم الصّورة وتحديداتها وأنماطها وأشكالها عبر الاتجاهات المتعددة للصّورة من حيث مفاهيمها وأشكالها فـ **"توجد عدّة أنواع من الصّور موجّهة خاصّة إلى حواسّنا المختلفة (الصّور المرئية والسمعية واللّمسية والشمية...) وهذا يعني، في نهاية المطاف تلك التي لها صلة لبعض الإحساس المرافق بفكرة والمسمّاة في بعض الأحيان باسم "الصّورة الذهنية"**[2]، لذلك فإن مصطلح الصّورة يتجلّى من خلال إشاراته المتعددة والدّالة على تحديده في شكل مفهوم جامع لكل أنواع الصّور.

يعدّ مصطلح الصّورة من أكثر المفاهيم استعمالا في الأدب والنّقد نظرا لما تتميز به من دور استعمالي يحمل في طياته بعد حركي وترحالي بين الاتجاهات والحركات التشكيلية والسّينمائية والنقدية والأدبية، وهو ما يساهم في صعوبة تحديد مفهوم الصّورة باعتباره من المفاهيم الغير مستقرة في أغلب الأحيان، خصوصا وأن الصّورة تداخلت في أكثر من مجال فني كالفنون التشكيلية والشعر والأدب والموسيقى، والمسرح ، والسينما.

تّتسم عمليّة تعريف مصطلح الصّورة في الأغلب بالغموض وعدم الوضوح في آن واحد خصوصا وأن مفهوم الصّورة يتداخل مع مفاهيم أخرى تؤدّي إلى تعدّد المعنى المراد بالمصطلح. ومن هنا **"أضحى من الشائع في سياقي النظر والتّحليل النقديين استعمال مقولات:(الانعكاس) و(التمثيل)**

و(التعبير) و(التشخيص)المفضية كلها إلى إنتاج شتى الظلال المعنوية لمقولة الصّورة. لكن تبقى ولا شك مآرب جليلة في التأني مجددًا لحد(الصّورة)، ليس على جهة التدليل على رجحان دلالاتها النظرية، في فهم الجمالية الأدبية والفنّية، بل بوصفها معيارا ملتبسًا مستعصيًا على الضبط، ومولدا قدرا غير يسير من التعقيد"[3]. وبالبحث في مفهوم الصّورة بصفة عامّة فتعني في لسان العرب لابن منظور، **مادة (ص .و. ر) والجمع (صور)، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته وهيئته، والتّصاوير: التماثيل** [4].

وتحمل الصّورة دلالات متعدّدة، خاصّة الصّورة السّينمائية، والتي يمكن قراءتها بصريا عن طريق الغوص في تفاصيلها، وذلك نظرا لما يميّز النظام السّيميائي من خصوصيات **"فيمكن أن تنتج الصّورة عن طريق ظاهرة طبيعية (انعكاس، الظل الخلفي، الرؤية من خلال أجسام شفافة وما إلى ذلك) أو من خلال إيماءة إنسانية مقصودة. وهو ما يعني لديها وجود متعدد الأوجه (...)، فالصّورة السّينمائية مسطّحة، مؤطّرة. وواضحة لما في اللوحة والتصوير الفوتوغرافي. إن مثل هذه الصّور تمتلك حقيقة إدراكية مزدوجة والتي ينظر إليها على أنها ثنائية وثلاثية الأبعاد"**[5]، فهي عبارة عن خليط لغوي يكشف عن جوهر بصري، حيث أن العلامة البصريّة تتشكل من وحدة ثلاثية، وهي الدّال والمدلول والقصد، لذلك تشكّل الأنماط الصّورية علامات تتجلى عبر مضامينها خصوصا وأن الصّورة لا تجمّد اللحظة، بل إنها تنتج أكثر من معنى ضمن بنية تتشكل من عناصر منتقاة ومعالجة توظّف الصّورة بأنساقها عبر العلامات والإشارات والحركات والإيماءات.

ومن هنا يمكننا الحديث عن الصّورة السّينمائية الكلاسيكية، حيث تكون الصّورة فيها في شكل تردّدات مغناطيسية تخزّن على شريط، أي أنّ التعامل مع الصّورة السّينمائية كان بشكل تناظري أو تماثلي، بمعنى أنه تعامل طبيعي مع الصّورة لم تتمّ معالجته بأي برنامج على مستوى اللّون أو الشكل أو الصوت، إضافة إلى ذلك تعتبر الصّورة السّينمائية التناظرية صورة مادّية تحاكي الواقع المادّي دون إدخال أي مؤثرات عليها، وفي مستوى جودة الصّورة ليست بالجودة العالية فهي تتغير عبر الزمن إلى الأسوأ **"فإن الفيلم فيما سبق كان صورة متناظرة، كان نسخة طبق الأصل من شيء آخر"**[6] وهذا ما نجده حاضرا في هذا الرسم البياني الذي يبين "الإشارة التناظرية".

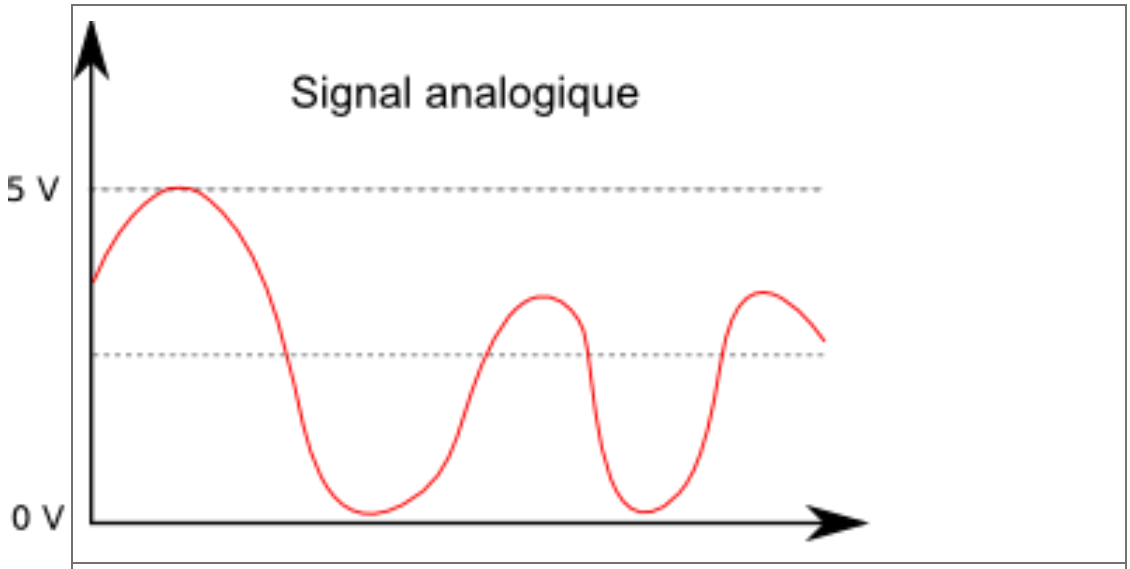

رسم بياني عدد1: الإشارة التناظرية[7]

وكما نشاهد في هذا الرسم البياني، بأن الإشارة التناظرية هي إشارة مستمرة ويمكن أن تأخذ عددا لانهائيا، ولتحويل الصّورة السّينمائية التناظرية إلى صورة رقميّة، يجب أن تمرّ الصّورة بمرحلة هامة وهي **"أنه يتم تجزئتها إلى أجزاء *samples* عدة مرات في الثانية، وكل جزء له مستويين ثابتين هما الـ 0،1 تبعا للنظام الثنائي الرّقمي،*Binary numbers* ومن هنا فإن كافة تفاصيل إشارة الصّورة الأصلية التي تم تجزئتها سوف تتحول وفق النظام الرّقمي إلى أرقام ثنائية مزدوجة أي كل جزء سيكون من رقمين هما 0،1. وهما يمثلان أصغر وحدة من تلك الإشارة المجزّأة *Individuel signal* والتي عندئذ يتم توصيلها بالإشارة الإلكترونية عن طريق دوائر كهربائية معقدة بواسطة مفتاح الرّقمنة *On/off switches* لكل جزء"**[8].

وبالتالي يتم هذا التحويل من التناظري إلى الرّقمي عن طريق التجزئة ويصل معدل تجزئة الصّورة التناظرية إلى مايقارب عن 12 مليون مرة في الثانية ويتم هذا عن طريق استخدام *bit-8-format*، وهذا المستوى من *(Bit)* يقارب جودة الصّورة المأخوذة بكاميرا رقميّة، والتي تصل فيها نسبة الاحتراف إلى *Leo 96 values* أي ما يعادل *12-Bit* وبالتالي للنظام الرّقمي دقّة عالية في نقل الصّورة السّينمائية. وفي مستوى الفرق بين الصّورة السّينمائية التناظرية والصّورة السّينمائية الرّقميّة، هو أن الأولى بمجرّد إرسالها أو استنساخها يمكنها أن تفقد الكثير من جودتها ودقتها، وأما الثانية فهي تحافظ على نفس الجودة، حتى لو استعملت تكرارا ومرارا، وهي قابلة للإرسال وللتسجيل والاستنساخ، وهذا ما يجعلها مميزة عن الصّورة السّينمائية التناظرية، وفي ما يلي رسم بياني يوضح الإشارة الرّقميّة.

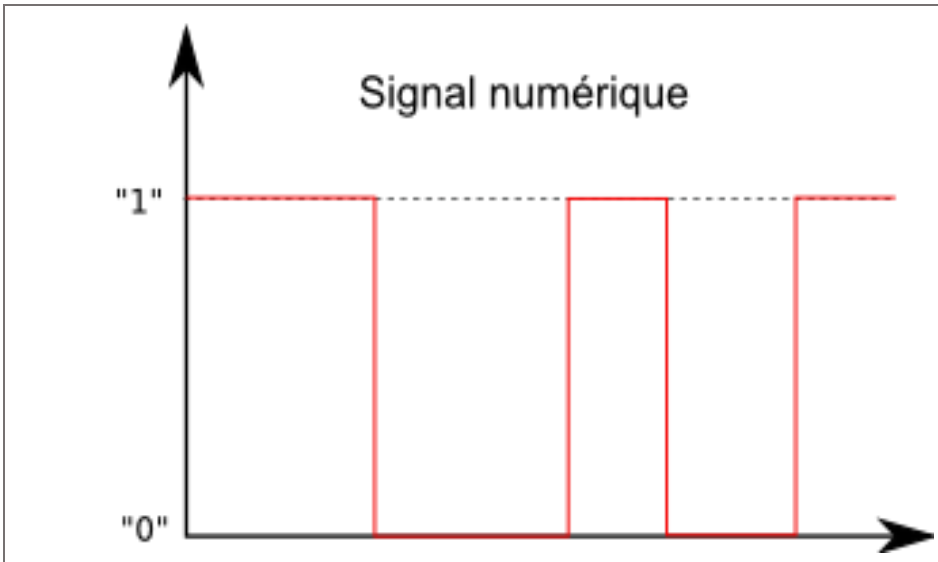

رسم بياني عدد 2: الإشارة الرّقميّة[9]

ونشاهد في هذا الرسم البياني الذي يبين لنا الإشارة الرّقميّة، بأنها إشارة منفصلة بمعنى أنها غير متّصلة، والتي يتم تلخيصها في سلسلة متتالية من "0" و "1". ومن خلال التطوّر التكنولوجي يمكن أن نحوّل الصّورة التناظرية إلى صورة رقميّة، والهدف من هذا هو الحفاظ على الثروات السّينمائية.

إن كلّ تغيير أو تطوّر تكنولوجي هو لصالح الإنسان، وبانتشار التّكنولوجيا الرّقميّة، استغلت السينما هذا التطور لإنتاج صورة حديثة من جهة تحاكي تطورات العصر الراهن ومن جهة أخرى تحقّق ما لايمكن تحقيقه سابقا، بمعنى الوصول بالصّورة السّينمائية إلى ما يسمّى بالافتراضي، هذه القدرة الهائلة التي تمتلكها الصّورة السّينمائية المعاصرة يعود سببها إلى العمل في بيئة رقميّة تكنولوجيّة في كل مراحل إعداد الفيلم، **"فإمكانيّة تحويل الإشارة التماثلية إلى إشارة رقميّة، وما تلاه من القدرة على تسجيل إشارة الصّورة رقميا. منذ بداية التصوير، وما تبع هذا الظهور للتعامل مع الصّورة والصوت رقميا، بدلا من التعامل معهما في شكل الإشارة التماثلية ... ذلك لسهولة التعامل مع الإشارة الرّقميّة في تخزين وتسجيل وإعادة تسجيل دون الفقد في جودة الإشارة".**[10]

لذلك حدثت تحولات تقنيّة كبيرة عبر الزّمان والمكان مما ساهم في خلق تغيرات جذرية تجلّت عبر مختلف ميادين الحياة وتجلت في عصر يعتمد فيه على فكرة المتغير، ليس في التقنيات وحدها بل شملت أيضا الأفكار والنظريات، مما ساهم في خلق تحوّلا في تاريخ السينما وهو ما خلق أبعاد جديدة في الرؤية والتلقي عن طريق الحاسوب والإنسان، وذلك عبر التزاوج بين الفن والتّكنولوجيا الذي يتجلى عبر مجموع المفاهيم الافتراضية التي تستخدم البرامج الرقمية، مثل **"فوتوشوب"** و**"فوتو مونتاج"** وغيرها ممّا يساهم في صنع فن افتراضي يرتكز على اللّغة البصرية التي تصنع لغة الصّورة الافتراضية، حيث عكس هذا الفن الجمع بينه وبين العلوم الحديثة الواسعة الانتشار في عصرنا الحديث.

بالتالي أصبحت الصّورة السّينمائية المعاصرة تتجلى عبر مفهوم الافتراضي، وذلك من خلال التطوّر التكنولوجي المتسارع، وعبر استخدام كل مقومات التّكنولوجيا مما يخلق تغييرا في الرّؤية للصّورة والعمل الفني في ذات الوقت. فالصّورة تنمو من البسيطة إلى المركّبة بواسطة أحدث التقنيات، فتقترب منّا إلى ما هو أقرب من الحسّ وتتجرّد فتبتعد عنّا إلى ما هو افتراضي وتقني وتكنولوجي، حيث بدأت تتشكّل الصّورة الافتراضية عبر الأدوات والمساحات والتقنيات المستعملة لخلق عمل فني معاصر، وهي بالتالي وسيلة تعبير عن فن أرقى.

لذلك فإن الوسائل والأدوات التقنية المعاصرة تتضمن دعوة بشكل واضح لتساهم في فتح حقل فكري يتجلى عبر الصّورة الافتراضية، التي تتجلى كمفهوم مساهم في خلق تجليات خيالية، حيث يعني مفهوم الافتراضي، محاكاة يولّدها الحاسوب لمناظر ثلاثيّة الأبعاد ويتفاعل معها المتلقي بطريقة تبدو فعليّة. وهي مصدر مأخوذ من افترض، أي افتراضا على نحو افتراضي، إنه عالم بديل يتجسّد عبر رؤية افتراضية تتحوّل في المواقع والفضاءات وتصوّر واقعا افتراضيا ينشأ عبر تشكيل الفن السّينمائي، واستنطاق دلالاتها ومعانيها التي تحملنا إلى عوالم ذات أبعاد ثلاثية فنية وعميقة تغوص في عالم افتراضي ينفتح على المتقبل، ويكشف عن صور تقرأ من حيث مقاصدها الفنّية ووفق مقومات تعبيرية جمالية معاصرة، تضعنا أمام ماهية الصّورة الافتراضية والتي تكشف عن "**تفاعلية تتيح التواصل لمستخدميها وتمكنهم أيضا من التواصل المرئي والصوتي وغيرها من الإمكانات**"[11].

ولقد حملت الصّورة الافتراضية في طياتها اتجاهات فكرية حديثة ومضامين معاصرة تحدّت قدرات الفنان العادية ليخرج بفنه إلى مستوى خيالي، ويشمل الصّورة بمختلف هيئاتها المرئية بصريا والمدركة دلاليّا، مما يزيح الستار عن حضور البعد الثالث عبر الصّور المجسّمة في المكان والزمان الافتراضي ضمن حيز يتّسع بصريا وواقعيا لتلك الأبعاد الثلاثية، حيث تكون الصّورة افتراضية ومركّبة وبنائية في المشهد السّينمائي كما أنها تتّسم بتركيب أعقد وأشمل، وبالتالي تعتبر الصّورة الافتراضية التي نبصرها جزءا ومكونا للعالم الذي نعيشه، "**فالصّور الافتراضية مصنوعة من صور وفترات فاصلة وألوان متصلة الحدود المتنقلة والحواجز المتحركة والاستمرارية والانقطاع جميعها ترسم الصّور المتحركة. ولكن لا يجب التأثر بهذه الحركة. لا يجب أن نعتبر الصّورة مجرد ما نراه فقط. لا يجب أن يتجاوز انتشار الصّورة فهم النماذج الغير مرئية. يجب استنتاج المرئي الذي لا شك فيه من المنطقي الخفي لأنها نماذج تحتية تعطي للصّور خاصيتها الظاهرة. النموذج هو مصدر الصّور. تعدّ معقولية النموذج شرط وجود الصّورة. وكذلك كل صورة افتراضية تتضمن وجوبا معقولية أولية تتجسد في نموذج. وكذلك الصّور بصفاتها وفئاتها لا توجد إلا بسبب معقوليتها الفعالة سواء كانت مفترضة أو مستحدثة أو مبنية. كل صورة افتراضية ليست في الحقيقة سوى صورة المعقولية الماضية أو القادمة المأخوذة من نموذج رفيع وسابق**"[12]. فهي صورة ندركها، مسؤولة بشكل كبير عن كل فعل أو ردّ فعل يمكن أن يصدر منّا فشكّلت صورة الفن السّينمائي المعاصر حالة فكرية اتسمت فيها الصّورة بتوجهاتها البصرية المنفتحة على المستقبل، فلامست فيها الواقع الإنساني بتناقضاته وقضاياه المختلفة خصوصا وأنها فتحت الجانب التقني والفكري، من خلال اعتماد المعالجات الإلكترونية وتفعيل دورها في إثراء الصّورة السّينمائية، وذلك

من خلال حضورها عبر الصّورة والصوت، لبناء طفرة افتراضية تكشف عن التقدم التكنولوجي ضمن وسائط تفاعليه.

فهي تكتسب أهمّية كبيرة في حياتنا المعاصرة، خصوصا وأنها تحتل مكانة استثنائية في فن السينما الذي يرتكز على الصّورة، من حيث كونها تواترا مشهديا انسيابيا ومتميزا بالتصميم والإخراج لعناصرها البصرية المتنوعة، كما أنها في ذات الوقت مأخوذة بجملة الإستفهامات والتطوّرات المرتبطة بالصّورة المجردة، فالصّورة الافتراضية ذات بعد تأثيري يرتبط في فعل اتصالي مباشر بالعالم الآخر الذي يغوص في حياة المتذوّق لهذا النّشاط الصّوري، والذي يجعل المشاهد وسيطا يوصله إلى الاستهلاك اللاّوعي، مما يحتّم على الفنان أو المخرج بالضرورة الكشف عن هذا العالم الآخر والافتراضي الذي يبدع عالما لا واقعيا.

فالصّورة باتت تمثل وسيلة بصريّة تصافح وتحاور الحواس ضمن ملمس بصري بالأساس يكشف عن قدرات وإمكانات تحاوريه تتفاعل مع المواد التقنية والتكنولوجية، والتي تجعل من الإنسان يكتشفها ويتبين الأبعاد الوظيفة والتأثيرية التي تحتوي عليها الصّورة الافتراضية ذات البعد العلاماتي والسّيميائي.

لقد أصبحت الصّورة الافتراضية اليوم تكتسح حياة الإنسان وتأخذ دورا توجيهيا في حياته ضمن واقع يقيّده ويجعله رهين التّكنولوجيا المتطورة، وكما عرّف لنا **"إتيان سوريو"**[13] مفهوم الافتراضي على هذا النّحو **" يعد أصل مفهوم الوجود الافتراضي أو الوجود القوي "أرسطوقراطيا" وهاما جدا في الجمالية. الوجود الافتراضي هو وجود خفي لا يظهر ولكن لديه إمكانيات تحقيقات ومفعول، حيث يعارض الوجود بالفعل. ويمكن تمييز نوعين من الوجود الافتراضي: أولا، الوجود الافتراضي للإمكانيات دون الحاجة، وفي هذه الحالة، يمكن أن يتعايش الافتراضي في نفس الشخص وحتى الافتراضي لا يتماشى تحقيقها معها، مرورا للوجود الفعلي الذي يختار إذن واحدة من افتراضاته المختلفة. ثانيا، الوجود الافتراضي للإمكانيات المحدّدة مسبقا بما تحتوي عليه وتتضمنه، بما يعني أن استنتاج خلاصة تم طرحه افتراضيا بمجرد طرح المقدّمات. ترمز كلمة الافتراضي إلى كل خاصيات الافتراضي أي ما وجد افتراضيا. ولهذا المفهوم مجالات تطبيق عديدة في الجمالية. وطرح أرسطو بنفسه هذا المفهوم بتعريفه الوجود القوي"**[14].

ومن هذا المنطلق أحدثت الصّورة الافتراضية غزارة في المعاني والدّلالات وحضورا كثيفا في العالم السّينمائي الذي توظف فيه إمكانيات التكنولوجيّة الرّقميّة، وذلك من خلال حضورها في السينما كلغة متفردة تتجلى عبر الخيال والصّورة والصّوت والحركة والإيقاع، فهي مفردات لغوية وتشكيلية نلاحظ حضورها في فيلم "**حرب النجوم**" الذي وقع تصوير أول جزء منه في سنة 1977 وتتالت بعده عدّة أجزاء، فهو فيلم من الخيال العلمي وأوبرا الفضاء، وما يتميز به من حضور افتراضي شكّله و جسّده **"جورج لوكاس"**[15] من خلال قصة ألفها وأخرجا وفيما يلي صورة تمثل لقطة مأخوذة من الفيلم.

صورة عدد 1: لقطة مأخوذة من فيلم "حرب النجوم"

نشاهد في هذه الصّورة السّينمائيّة حضور رجل واقف يحمل في يده سيف مضيء وتقابله القمر في شكل ناري ذات لون أحمر وتجري في أسفلها براكين نارية، وهذا البطل يحمل اسم **"دارث فيدر"** فهو شخصيّة ترتدي الزّي والقناع الأسود، شخصيّة جمعت بين الجانب والإنساني والآلي أما خلفية الصّورة فهي من خيال المخرج وقع تصميمها بالكمبيوتر، فهي تمثل قوّة التّكنولوجيا في الصّورة السّينمائية المعاصرة، وذلك عبر مجموع صياغة تراكيب منفتحة على الرّموز والشّفرات التي تحمل الكثير من الدّلالات على مستوى الشّكل والمحتوى .

فالصّورة الافتراضية تتجلّى عبر الحركة لإعادة التشكيل للفيلم كرؤية متفرّدة بين بقية اللّغات الفنّية عبر عالم إيقاعي واسع الحدود، فهو مزيج من الصّور الافتراضية التي تشكلت عبر الإنشائية في بناء هذه الصّورة الحركية وتطورها ضمن طرق وأساليب بنائيّة تعمل في سياق صياغة إبداعية لمحتوى ومكونات فضاء اللّقطة طولا وعرضا وعمقا.

بالتالي تطوّر بناء هذا المفهوم الافتراضي بتطور الفهم العام للعناصر السمعية والمرئية سواء على مستوى التقنية الجمالية أو الفنّية أو الفكريّة، فهنا تتجلى جماليات بناء اللقطة عبر تلاقح مزدوج وفاعل بين عناصر الفيلم الفاعلة في بناء الصّورة الحركية للفيلم السّينمائي، عبر تنظيم الأفق الفلسفي للقطة كخطة إخراجية وبنية تشكيلية كونها أدوات لتركيب الصّور بالغة الأهمية في نسيجها وبنائها وألوانها الخاصة، حيث أنها تزخر بمكونات افتراضية واسعة المدى. وهذا الإنتقال من الشكل التناظري إلى الشكل الافتراضي للصورة السينمائية أضاف العديد من المميزات لهذا الفن، وبالتالي نستطيع القول بأنّ هذا الانتقال جاء لصالح ولخدمة الصورة السينمائية بشكل عام.

الإحالات والهوامش:

[1] جيل دلوز: (18 يناير 1925 – 4نوفمبر 1995) هو فيلسوف فرنسي، اهتمّ بالفلسفة والأدب والسينما والفنون الجميلة. ومن أهمّ كتاباته "الإختلاف والتكرار 1968"، "فلسفة كانط النقدية 1963"،"الصّورة_الحركة أو فلسفة الصّورة 1997" و"البرغسونية 1966"،(إلخ...).

[2]. *Jacque Aumont / Michel Marie , dictionnaire théorique et critique du cinéma , © NATHAN, Paris , 2004, p 104.*

« Il existe des images de plusieurs sortes, s'adressant notamment à nos divers sens (images visuelles, auditives, tactiles, olfactives...) c'est –à-dire en fin de compte correspondant à une certaine sensation accompagnée d'idée _ ce qu'on a parfois désigné comme « image Montale ».

[3] شرف الدين ماجدولين: الصورة والنوع والمتخيل الثقافي قراءة في نموذجين نقديين ، مجلة نزوى، العدد 32 أكتوبر 2003، ص1.

[4] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، مادة صور ،دار صادر، بيروت، المجلد الرابع، 1997، ص 85-87.

[5]. *Jacque Aumont / Michel Marie , dictionnaire théorique et critique du cinéma , © NATHAN, Paris , 2004 , p 105.*

« L'image peut être produite soit par un phénomène naturel (reflet, ombre portée, vision à travers un corps transparent, etc.), soit par un geste humain intentionnel. C'est dire qu'elle a une existence multiforme.(...) ; l'image cinématographique est plane, cadrée. Ce qui l'apparente à celle de la peinture et de la photographique . comme ces images, elle possède une « double réalité perceptive » elle est perçue à la fois comme bidimensionnelle et tridimensionnelle ».

[6]. حصاد القرن العشرين: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2008، ص408.

[7] http://culturesciencesphysique.ens-lyon.fr/ressource/principe-numerisation.xml

[8] هشام جمال، التكنولوجيا الرقمية في التصوير السينمائي الحديث، مطابع الأهرامات التجارية، مصر 2006، ص45.

[9] http://culturesciencesphysique.ens-lyon.fr/ressource/principe-numerisation.xml

[10]. رباب عبد اللطيف، فنيات المونتاج الرقمي في الفيلم السينمائي، أكاديمية الفنون 2005، ص 158.

[11] عبد الرزاق محمد الدليمي، الإعلام الجديد و الصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر، ط1،الأردن،2011، ص 183 .

[12]. *Phillipe Quéau , Le virtuel :Vertus et vertiges, Collection Milieux 1993 , p 179.*

« Les images virtuelles sont faites de figures et d'intervalles, de couleurs en contacte. Des limites mobiles, des frontières mouvantes, des continuités et des coupures zèbrent et strient les images « animées ». Mais il ne faut point se laisser prendre à cette agitation. On ne doit point considérer dans l'image seulement ce qu'elle donne à voir. La prégnance du visible ne doit pas prendre le pas sur la compréhension des modèles invisible. Il faut déduire du visible évident l'intelligible latent. Car ce sont les modèles sous-jacents qui confèrent aux images leur caractéristique apparentes. Le modèle est la source des images. L'intelligibilité du modèle est la condition de l'existence de l'image. Réciproquement, toute image virtuelle implique nécessairement une intelligibilité originelle, incarnée par un modèle. Aussi les images, avec leurs attributs et leurs partis, n'existent qu'en raison de leur intelligibilité effective. Qu'elle soit présuppose, induite ou construite. Toute image virtuelle n'est réellement l'image que de cette intelligibilité passe, ou à venir, tirée d'un modèle prééminent, et préalable ».

[13]إتيان سوريو،(26 أفريل–19 نوفمبر1979)، فيلسوف فرنسي، اشتهر بكتاباته في علم الجمال، درّس في جامعة "إيكس إن بروفنس وليون"، وأستاذا في جامعة "السّربون"، وشغل منصب رئيس تحرير بمجلّة *Revue d'esthétique*.

[14] . *Etienne Souriau , Vocabulaire d'esthétique , © Presses Universitaires de France, 1990, p 1393.*

« le concept d'existence virtuelle ou existence en puissance est d'origine aristotélicienne, et fort important en esthétique. Une existence virtuelle est une existante latente , que ne se manifeste pas, mais détient des possibilités de réalisations et d'effets, elle s'oppose à l'existence en acte. On distingue deux sortes d'existences virtuelles : 1, celle des possibilités sans nécessité, en ce cas, des virtualités différentes

peuvent coexister dans un même être , et même des virtualités dont les réalisations seraient incompatibles entre elles, un passage à l'existence en acte sélectionnerait donc une de ces multiples virtualités et : 2, celle des possibilités déjà déterminées par ce qui les contient et les implique ; ainsi, la conclusion d'une déduction est déjà virtuellement posée dès qu'on pose les prémisses. Le mot de virtualité désigne, soit le caractère de ce qui est virtuel , soit ce qui existe virtuellement . cette notion a plusieurs champs d'application en esthétique . Aristote a lui-même posé cette notion en définissant l'existence en puissance ».

[15]. جورج لوكاس:(14ماي1944)، وهو منتج ومخرج أفلام أمريكي وكاتب سيناريو، اشتهر بإنتاجه لسلسلة "حرب النجوم" ، وهو عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ونقابة الكتاب الأمريكية الغربية.

المراجع

المراجع باللغة العربية:

1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن المنظور، لسان العرب، مادة صور ،دار صادر، بيروت، المجلد الرابع، 1997.
2) شرف الدين ماجدولين: الصورة والنوع والمتخيل الثقافي قراءة في نموذجين نقديين ، مجلة نزوى، العدد 32 أكتوبر 2003.
3) حصاد القرن العشرين: المنجزات العلمية والإنسانية في القرن العشرين، الجزء الثاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2008.
4) هشام جمال، التكنولوجيا الرقمية في التصوير السينمائي الحديث، مطابع الأهرامات التجارية، مصر 2006.
5) رباب عبد اللطيف، فنيات المونتاج الرقمي في الفيلم السينمائي، أكاديمية الفنون 2005.
6) عبد الرزاق محمد الدليمي، الإعلام الجديد والصحافة الالكترونية، دار وائل للنشر، ط1،الأردن،2011.

المراجع باللغة الفرنسية:

1) *Jacque Aumont / Michel Marie, dictionnaire théorique et critique du cinéma, © NATHAN, Paris, 2004.*
2) *Jacque Aumont / Michel Marie, dictionnaire théorique et critique du cinéma, © NATHAN, Paris, 2004.*
3) *Phillipe Quéau, Le virtuel : Vertus et vertiges, Collection Milieux 1993.*
4) *Etienne Souriau, Vocabulaire d'esthétique, © Presses Universitaires de France, 1990.*

الروابط:

1) http://culturesciencesphysique.ens-lyon.fr/ressource/principe-numerisation.xml
2) http://culturesciencesphysique.ens-lyon.fr/ressource/principe-numerisation.xml

التأويل وتوالد المعنى في الخطابات الغنوصيّة

(نماذج مختارة من الأدب الصوفي)

Interpretation and the generation of meaning in gnosis discourses
(Selected Examples of Sufi Literature)

د. وهيبة جراح[1] / المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة (الجزائر)، *Wahibadjerrah6@gmail.com*

تاريخ الاستلام: 12 / 05 / 2021 تاريخ القبول: 10 / 06/ 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص:

يقارب نص هذه المداخلة موضوع التأويل وعلاقته بإنتاج المعنى في الخطابات العرفانية، وقد اخترنا الأدب الصوفي ليكون نموذجا لهذه الخطابات، باعتباره من أبرز النماذج التي يتحكّم الفعل التأويلي في تشكّلها.

إنّ ما يميّز الممارسة التأويلية في الخطاب الصوفي هو استنادها على مجموعة من المعطيات؛ منها ما ينبع من البنية المحايثة للخطاب ومنها ما هو متعلّق بمنتج الخطاب، في حين تتفرّع جهود التلقي إلى عدّة اتجاهات تساهم تارة في انفتاح عملية التأويل وبالتالي سيرورة إنتاج المعنى، وتارة أخرى في انغلاقها لتشهد بعض الخطابات الصوفية عقما دلاليا، من هذا المنطلق تساءلنا: ما دور الممارسة التأويلية في إنتاجيّة المعنى في الخطاب الصوفيّ؟ ما هي المقوّمات التي يتمّ تفعيلها من أجل توالد وتناسل المعنى ؟ وفي المقابل ما الذي يعرقل عملية إنتاج المعنى في أحايين أخرى؟

الكلمات المفتاحية: التوالد، الممارسة التأويليّة، الغنوصيّة، الدلالة، الخطاب.

Abstract:

The text of this intervention approaches the topic of interpretation and its relationship to the production of meaning in secular discourses, and we have chosen Sufi literature to be a model for these discourses, as it is one of the most prominent models that the interpretive act controls their formation.

What distinguishes the hermeneutical practice in Sufi discourse is its reliance on a set of data. Some of them stem from the immanent structure of the discourse, and some of them are related to the product of the discourse, while the reception efforts are divided into several directions that sometimes contribute to the openness of the interpretation process and thus the process of producing meaning, And at another time when it is closed to witness some mystical discourses as a semantic sterility, from this point of view we asked: What is the role of interpretive practice in the production of meaning in Sufi discourse? What are the components that are activated for the generation of meaning? On the other hand, what hinders the production of meaning at other times?

Keywords: *Reproduction, hermeneutical practice, gnosticism, connotation, discourse.*

[1] **المؤلف المرسل**: د. وهيبة جراح ، **الإيميل**: Wahibadjerrah6@gmail.com

مقدمة:

مصطلح "التوالد" " lengendrement" جادت به السيميائيات التحليليّة التي نظرت إلى النص في لا اكتماليته، استعانت به "جوليا كريستفا" في حديثها عن الاشتغال النصي، حيث كانت ترى أن دلالة النصّ لا يمكن أن تكون معطا جاهزا، بل هي شيء يتمّ بناؤه بشكل تدريجي عبر تضافر مجموعة من المقوّمات أبرزها عامل "التأويل" الذي يضمن الانتقال من النصّ المولِّد le géno-texte باعتباره: " عمليّة تركيبيّة تتضمّن توليد النسيج اللساني يضاف إليه توليد الأنا التي تتكفّل بتقديم التدليل"[1]، فالتدليل في هذه الحالة يُقصد به عمليّة بناء الدلالة النصيّة، هذه الأخيرة التي لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون تدخّل الفعل التأويلي الذي يصدر من الأنا التي تواجه النصّ.

أمّا النص الظاهر le phéno-texte فهو" النسيج الجاهز الذي يتمظهر على الورق وتحكمه قوانين تركيبيّة وصوتيّة وبنيويّة"[2]، وهكذا يتبّن لنا أنّ عملية الاشتغال النصّي لا يمكن لها أن تحدث بمعزل عن الممارسة التأويليّة التي تسمح بالانتقال من النصّ الظاهر إلى النصّ المولّد، فهي " ترجمة لتوليديّة النصّ في ظاهريّة النصّ"[3]، أي هي في نهاية الأمر؛ ترجمة لمقولات اللّسان الرمزيّة والإيديولوجيّة إلى بنيات صوتيّة ومعجميّة وتركيبيّة وفق ما هو موضّح في هذه الخطاطة:

النـــص المولِّـــد	**الرّمـــزي – الـــرياضي**	**الإيديولوجـي – الأسطـوري**
	المستـــوى اللّســـاني/ اللّغـــــوي	
النص الظاهر	**الصيغـــــــــة**	

سيسعفنا مفهوم "التوالد" في هذا الموضوع لأنّه الأنسب لتتبّع عملية النموّ الدلالي داخل الخطاب الصوفي، هذا النموّ الذي لا يمكن أن يتمّ بمعزل عن الممارسة التأويلية كما سيتّضح فيما سيأتي.

1-انفتاح الممارسة التأويلية وتشكّلات المعنى: الواجهة الفينومينولوجيّة/النص الظاهر لخطاب الغزل الصوفي:

تعتبر الصيغة الرّمزية في الخطاب الغزلي الصوفي الوجه الظاهر أو القشرة السطحيّة التي تسمح لنا بتكوين فكرة حول الغرض الذي ينتمي إليه النصّ، إنّ القارئ لمثل هذه الأبيات الشعرية:

ولما تلاقينا عشاء وضمّنـــــا سواء سبيلي ودارها خيامـــي
وملنا كذا شيئا عن الحيّ حيث لا رقيب ولا واشٍ بزور كـــــلام
فرشت لها خدي وطاءً على الثرى فقالت لك البشرى بلثم لثامـي
فما سمحت نفسي بذلك غيـــرة على صونها منّي لعزّ مرامـي
وبتنا كما شاء اقتراحي على المنى أرى الملك ملكي والزمان غلامي

لا يمكنه في أيّ حال من الأحوال أن يشكّ في هويّة القصيدة، فهي غزليّة بدون منازع، خاصة إذا كان المتلقي خالي الذهن من الخلفيات والحيثيات التي أوجدتها، لهذا أمكننا القول بأنّ الغزل وكلّ البنية اللّسانية التي تتمتّع بها القصيدة عبارة عن واجهة فينومينولوجيّة لبنية أعمق يتكفّل خطاب آخر بتوليدها، وهو خطاب جدير بالتحليل، لأنّه المسؤول عن توالد الصيغة الرمزيّة التي نعثر عليها على السّطح عامة، وخطاب الغزل خاصة، وما يجعلنا نلحّ أكثر على خطاب الغزل كونه من أهدأ الخطابات التي استعان بها الصوفيّة من أجل تمرير أفكارهم وتجسيد مذهبهم في الحبّ الإلهي دون إثارة أي مشاكل تواصليّة، كما أثارها مَن قبلهم من الصوفيّة.

بالنّسبة للأبيات الشّعريّة أعلاه، لا يبدو أيّ اختلاف بين الشعراء العذريين وبين " ابن الفارض " فمضمونها روتيني عهدناه لدى الشّعراء الغزليين، إذ تجعلنا الأبيات مضطرين لفهمها فهما إنسانيا أو ماديا يجعل من الحبّ الذي يتغنى به الشاعر شيئا حسيّا، ومن المحبوب الذي يذكره مخلوقا آدميا[4]، فإذا أخذنا هذه الأبيات على ظاهرها وجدنا الشاعر يتغنّى ويصف موعدا حصل بينه وبين محبوبه، هذا الوصف لا يختلف عما وصفه العذريون العرب والماديون، فهو " يصف جلسةً بلغت فيها نفسه مستوى عاليا من الروحانيّة والصفاء والتنزّه عن الشّهوات، والدليل على ذلك أنّه حظي بقبلة من الحبيب فلم يُبح لنفسه أن يظفر بها، بل هو قد قنع أن يقضي هو ومحبوبته ليلتهما على المُنى، فذلك عنده خير وأبقى"[5]، وهذا الأمر يجعلنا نتساءل: ما الفرق بين محتوى هذه الأبيات وبين ما قاله أحد الشعراء العذريين؟

وبتنا خلاف الحيّ، لا نحن منهم ولا نحن بالأعداء مختلطـان
نذود بذكر الله عنا من الصّبـا إذا كان قلبانا بنا يجفـان
ونصدر عن ريّ العفاف وربّمـا نقعنا غليل النّفس بالرشفان[6]

إذ أنّه وحتى في هذه الأبيات نلتمس مستوى عالي من الروحانيّة والنزاهة، رغم أنّها لا تمتّ بأيّ صلة للنّزعة الصوفيّة، فهي أبيات من الغزل العذري بامتياز، فحواها التغنّي باللّقاء الذي جمع الحبيب خلسة وبعيدا عن أهل الحيّ (الأعداء)، ومكمن التنزّه عن الشهوات والعفّة هو الالتزام بذكر اللّه والخوف منه.

وبالتالي فظاهريا لا نجد أيّ حدود فاصلة بين المحتوى الغزلي الصوفي وبين نظيره الوارد في خطاب الغزل العادي، إذ تكاد القوانين نفسها تتحكّم في كلا الخطابين، إذ كلّ منهما يشتمل على قواسم مشتركة يمكن أن نجملها فيما يلي:

خطـاب الغـــزل العـــادي	خطـــاب الغـزل الصوفـــي
1- وجود شخصين: المُحِبّ والمحبوب	1- وجود ذاتين: الصوفيّ والذات الإلهية
2- علاقة جامعة بينهما	2- علاقة جامعة بينهما
3- العفّة والعذريّة	3- التنزّه عن الشّهوات

لا يقف الأمر عند حدّ تقاسم بعض المقوّمات، وإنّما هناك دائما قرائن معنويّة تمنع خطاب الغزل في بعض المقاطع الشعريّة لدى "ابن الفارض " من إرادة المعنى الحقيقي وهو هنا المعنى الصوفي، فهذه القرائن تعمل دائما على تضليل المتلقي بشكل يجعله يغفل عن المحتوى الصوفي فعبارة مثل التي جاءت في قوله: " فقالت لك البشرى في لثم لثامي " تضلّل المتلقي وتجعله يشكّك في هويّة الخطاب، ويدفع به الأمر إلى الاعتقاد

بكون الأبيات من الغزل العادي، فمن الناحية الظاهريّة لا يمكن أبدا أن يكون المحبوب المقصود هنا هو الله، فلثم اللّثام يعني الكشف عن الوجه وما يليه من تصرفات غراميّة لا يمكن أن يحظى بها إلا رواد الحب المادي.

2-توالد الصيغة الرّمزية وتقنيات الاشتغال النصي:

إنّ التساؤل عن قوانين اشتغال النص الظاهر/خطاب الغزل، يفرض علينا ربطه بالذات والتاريخ والمجتمع، صحيح أنّه مرتبط باللّغة كما رأينا في النصّ الظاهر، لكن لا ينبغي علينا تغييب حقيقة مفادها أنّ: هذا النصّ الظاهر إنّما يرتبط كذلك بالواقع، إذ لا يكفيه أن يدلّ على هذا الواقع وِفق قوانين نحويّة وتركيبية وصرفيّة وإنّما " يشارك أيضا في حركيّة الواقع وتحوّله، فالنصّ يتوجّه نحو الصيرورة الاجتماعيّة ويشارك فيها باعتباره خطابا"[7]، ونحن إذ ننبش في خطاب الغزل الصوفي لا ننظر إليه باعتباره بنية جاهزة، وإنّما باعتباره عمليّة بنينة، وبالتالي فنحن نتعامل معه من منطلق أنّه يمثّل جملة من الصراعات الاجتماعيّة والغرائز النّفسيّة والمواقف الإيديولوجيّة، وذلك وفقا لنظرة "كريستيفا" إلى عمليّة الاشتغال النصّي في الجدول التالي:

النـــص المولِّـــد	**الرّمـــزي – الـــرياضي**	**الإيديولوجـي – الأسطـوري**
	المستـــوى اللّســـاني/ اللّغـــــوي	
النص الظاهر	**الصيغـــــــــة**	

إنّ النصّ الظاهر مُمَثّلا في خطاب الغزل المباشر الذي لمسناه في لغة المتصوّفة لا يمكنه أن ينبثق من العدم وإنّما هناك بنية داخليّة مكوّنة من تضافر سلسلة من الأنسجة الاجتماعيّة، النفسيّة وحتى التاريخيّة التي من شأنها أن أنتجت لنا خطابا بعيد المرامي والغايات وسترته بخطاب مباشر وبسيط، إنّ هذا الخطاب الداخلي هو ما اصطلحت عليه "كريستيفا" بالنصّ المولِّد الذي تعتبره " عمليّة تركيبيّة تتضمّن توليد النسيج اللساني يضاف إليه توليد الأنا التي تتكفّل بتقديم التدليل "[8] ونحن نتساءل: ما هي خصائص هذا النصّ المولِّد في حال الخطاب الغزلي الصوفي ؟

إنّ الهدوء الذي لمسناه في خطاب الغزل لدى "ابن الفارض" يجعلنا نصوغ العديد من الفرضيات وبعدها نقوم باختبارها لكي نتوصّل إلى ظاهرة التوالد التي تتمتّع بها الصيغة الرمزيّة.

ممّا تقتضيه نواميس الكون أنّ كل هدوء يرافقه خوف، وكلّ خوف يكون وراءه حظر، وفي حالة الغزل الصوفي ما الذي كان يخيف الشاعر الصوفي، وماذا كان محظورا عنه ؟

الإجابة على هذا السؤال تفرض علينا ربط الإيقاع المركزي للحركة الشّعريّة الرمزيّة بالإيقاع المركزي لحركة التاريخ والمجتمع الذي من أجله أُنتج الخطاب.

في مثل الحبّ والعشق الصوفيّ نعثر على روحين متحكّمتين فيه: روح التاريخ والروح الذاتيّة/الإنسانيّة، وهما في العمق روحين متناحرتين كلٌّ تحاول تمييل كفّة الميزان لصالحها، فروح التاريخ - كما رأينا ذلك مع مأساة "الحلاج" ومن اتّبع طريقه – كانت تنزع إلى صناعة مجد من نوع آخر يصلح أن تُبنى على أسسه إمبراطوريّة سياسيّة عُظمى تبتلع في جوفها كلّ من يحاول المساس بأمنها وزعزعة استقرارها، هي إمبراطوريّة قِوامها العقل

والمنطق لا العاطفة والوجدان، هي إمبراطوريّة ترفض الانصياع لهذا المذهب أو ذاك، هي إمبراطورية لم تكن سوى " انعكاس لميل حركة التاريخ الموضوعيّة نحو استنفار الطاقات الفرديّة وتوظيفها في معركة التوسّع الإمبراطوري (...)، ومن طبيعة هذا الروح التاريخي أن لا يعبأ بأرواح أفراده وأن لا يأبه للثّمن الذي سيدفعونه طلباته المتسّمة بمطلق الضرورة"[9]، فما كان يهمّ صنّاع القرار آنذاك أن يندرجوا في التاريخ كمشروع، ولا حاجة لنا أن نستدلّ على هذا القول أمام ما سجّلناه من تناحر السلطات السياسيّة في عصر "الحلاّج"، بل يجب علينا في هذا الموقف أن ننبش في تابعات هذه الظروف.

وأمام ما يبديه التاريخ من سيطرة، فإنّ الذات الفرديّة عانت من القسر الذي كانت ترفضه وتخضع له في نفس الوقت، ترفضه باستمرار في مشروعها المعرفي، وتخضع له بتستّرها وراء قناع الغزل العذري العادي.

وبهذا تغدو مقولة القهر أوّل معيار لفهم التقنيّة التي تتوالد بها الصيغة الرمزيّة في خطاب الغزل الصوفي.

وأمام هذا الانشطار العميق القائم بين الروح الفردي (ذات الشاعر الصوفي) وبين حركة التاريخ الموضوعيّة نجد الشاعر الصوفي قد دفع كمًّا هائلا من الوجع العشقي، وهذه الأبيات تؤكّد لنا ذلك:

وما كان يدري ما أجنّ وما الــذي حشاي من السرّ المصون أكنّتِ
وكشف حجاب الجسم أبرز سرّ ما به كان مستورا له من سريرتي
فكنتُ بسرّي عنه في خفية، وقــد خفته لوهنٍ من نحولي أنّتــي
فأظهرني سقم به كنتُ خافــيا له والهوى يأتي بكلّ غريبــة
وأفرط بي ضرٌّ تلاشت لمسِّــه أحاديث نفس بالمدامع نمّـت
فلو همّ مكروه الرّدى بي لما درى مكاني ومن إخفاء حبّك خفيتي

ترسم لنا الأبيات جملة من مشاعر الألم، وما كثرةُ الألفاظ التي تنتمي إلى حقل الصّمت إلاّ خير دليل على ذلك الوجع الذي كان يختلج ذات الشاعر الصوفيّ (السرّ المصون، الخفية، أنّتي..) وهذا يؤكّد لنا كم كان القسر قاهرا لأنّ الجانب التاريخي من الروح كان يضغط على الجانب الذاتي الطبيعي الأصيل، فالتعبير عن مشاعر الكبت والضّرر الناجم عنها يشير إلى خضوع الشاعر إلى جملة من الإرغامات الاجتماعيّة، ويعطي لنا فكرة حول المحيط الذي كان يعيش فيه، ومثل هذه الحيثيات من شأنها أن تسمح لمفاهيم الكتم والسّتر والإخفاء من الاشتغال على أوسع نطاق.

ونفس المعطيات دائما تجعلنا نطرق باب مقولة أخرى يمكننا اعتبارها المعيار الثاني الذي يسهم في توالد الصيغة الصيغة الرمزيّة واشتغالها في الخطاب الصوفي، حيث إنّه من الضروريّ أن يولّد الضغط انفجارا، فضغط التاريخ والمجتمع على روح الصوفيّ وعلى رغبتها الذاتيّة من شأنه أن يولّد انفجارا داخل نفسيّته، ممّا يجعله يواجه الأمر بمزيد من الصّبر والتجلّد وفي نفس الوقت الحذر من أجهزة التاريخ أن تترصّده، وبالتالي فالمقولة الثانية بعد القهر هي الصّمود والتجلّد، ويظهر ذلك جليّا في عدّ مقاطع من نِتاج " ابن الفارض" الشّعري، إذ يقول في أحدها:

وكلّ أذى في الحبّ منك إذا بـدا جعلتُ له شكري مكان شكيّتـي
فلاح وواشٍ: ذاك يهدي لــعزّة ضلالا، وذا بي ظلّ يهذي لغرَّة
أخالف ذا في لومه عن تقى، كما أخالف ذا عن لومه عن تقيّــة
وما ردّ وجهي في سبيلك هول ما لقيت، ولا ضراء في ذاك مسّتي

ترتبط فكرة الصّمود والتجلّد في هذه الأبيات بمفهوم الأذى، لكن ليس كما يبدو من ظاهر الأبيات فالظاهر أنّ الأذى مرتبط بالوُشاة والأعداء وما يمكن أن يحدثوه من تشويش على العلاقة الرابطة بين المُحبّ ومحبوبه، وهذا شأن أيّ علاقة حبّ إنساني/مادي، لكن الأذى هنا يتجاوز المفهوم المادي إلى مفاهيم معنويّة، أساسها الأذى التاريخي الذي يمارس التغريب على الروح الصوفي فحسب الذّهنيّة الصوفيّة كلّ ما يبعدها عن مسعاها في الظّفر بالله ويقرّبها من المراتب الدنيويّة عبارة عن أذى، وهو بذلك معنوي لا مادي، فكيف يطلب التاريخ وصُنّاع الإمبراطوريات السياسيّة والاجتماعيّة من الصوفي الاندماج فيها، وهو يسعى لبناء إمبراطوريّة خاصّة به تخالف تماما تلك في المنطلقات والأهداف ؟

والأكيد، أنّ هذا أذى ما وراءه أذى، ومن أجل تجنّبه ينبغي التجلّد والصّمود، وهذا في صميمه تحرُّكٌ عكس اتّجاه التاريخ الموضوعي والمجتمع، وفي المقابل يحافظ على ضعفه أمام المحبوب وبطبيعة الحال لا يمكن تحصيل هذه المعاني من ظاهر الخطاب، وإنّما من البنية التحتيّة المتحكّمة في توالد المعنى، يضيف "ابن الفارض" في أحد المواضع من " التائيّة الكبرى":

فلو كشف العوّاد بي، وتحقّقوا ... من اللّوح ما منّي الصبابة أبقتِ
لما شاهدتْ منّي بصائرهم سوى ... تخلُّلِ روح بين أثواب ميّت
ويحسن إظهار التجلّد للعدى ... ويقبح غير العجز عند الأحبّة
ويمنعني شكواي حسن تبصري ... ولو أشكُ للأعداء ما بي أشكتِ

وبالتالي فما يشكّل مفاهيم الخصومة والعداوة والوشاية التي يكثر تداولها في خطاب الغزل الصوفي هو تلك الحركيّة العكسيّة التي أبداها الفرد الصوفيّ كردّة فعل على القهر والقسر الذي مارسه التاريخ والمجتمع في حقّه، وقد عبّر "ابن الفارض" عن هذه الحركيّة بقوله:

وليسوا بقومي ما استعابوا تهتّكي ... فأبدوا قلًى واستحسنوا فيك جفوتي
فمن شاء فليغضب سواكّ، ولا أذى ... إذا رضيتْ عنّي كرام عشيرتي

فالنّفي هنا متعلّق بنزعة اللاّخضوع التي كان يبديها الصوفيّ دائما لواقعه الاجتماعي والتاريخي فقد قرّر السّير عكس التيار، وهذا سيتطلّب منه مجهودا أو لنقل جهادا أكبر من أجل نيل المبتغى.

وفقا لهذا سيكون المعيار الثالث لتوالد الصيغة الرّمزية في خطاب الغزل الصوفي هو الجهاد فالإمبراطوريّة التي كانت تُلزِم الصوفيّ الانخراط فيها هي ملك لجلاّديه ومستغليه، وبالتالي فهي لم تعد تعنيه في شيء، لهذا وضع الجهاد صوب عينيه، ليصبح وسيلة وغاية في ذاته، يقول "ابن الفارض":

تقرّبتُ بالنّفس احتسابا لها ولم ... أكن راجيا عنها ثوابا، فأدنتِ
وقدّمتُ مالي في مآلي عاجلا ... وما عساها أن تكون منيلتي
وخلّفت خلفي رؤيتي ذاك مخلصا ... ولست براضٍ أن تكون مطيّتي
ويمّمتها بالفقر لكن بوصفه ... غنيتُ فألقيتُ افتقاري وثروتي
فلاح فلاحي في اطراحي، فأصبحتْ ... ثوابي لا شيئا سواها مثبتي

تتمحور الأبيات حول مفهوم الجهاد وما يدور في فلكه من معاني، وهو جهاد معنوي فحواه الزّهد والتقشّف، والفقر، وهنا نجد أنّ المسعى الصوفي يخالف تماما ما جاء ضمن حركة التاريخ ومطالب المجتمع، فالمطالب هنا أصبحت مكبوتة، وذلك خدمةً للضرورة التاريخيّة المُلحّة، وهذا التّضاد بدأت تتّضح معالمه منذ أن قامت الإمبراطوريّة (السياسيّة خاصة) بفصل الفرد الصوفي عن جسدها وهذا ما يدّعم أكثر النّزعة الوجعيّة التي رافقت الشّعر الغزلي الصوفيّ، أين كان "ابن الفارض" وأمثاله يضمر احتجاجا على سياسة عصره خلف تغزّله

الصّرف، وهذه هي خصائص النصّ المولّد المسؤول عن توالد الصيغة الرّمزيّة واشتغالها في خطاب الغزل الصوفي، فهو الجذر المُضمَر لكلّ فكر احتجاجي في التراث الصوفي.

ويمكن تلخيص ما ذهبنا إليه في الجدول التالي:

الصيغة الرمزيّة	تقنية التوالد	المعيار
السرّ، الخفية، الأنين	الانشطار، الحظر	القهر
الأذى، التغريب	الوجع والتضرّر	الصّمود والتجلّد
الزّهد والفقر	السّير في الاتجاه المعاكس لحركة التاريخ	الجهاد

لقد اتّضح ممّا سبق أنّ تشكّل المعنى في النصّ الصوفيّ رهين مقوّمين أساسيين:

الأوّل هو طبيعة الفكر الذي أنتج تلك النصوص، هذا الأخير الذي تميّز بنظرة خاصة للوجود والإنسان هذه النظرة التي سمحت له بمساءلة جملة من الأيقونات الكونية، الأمر الذي ساعد على تشكّل نص وجودي يستمدّ نصيّته من بنية الوجود ذاته.

الثاني: التأويل، فقد كان للممارسة التأويلية دور فعال في تشكّل الدلالة داخل النص الصوفي، وقد استند في الكثير من الأحيان على العنصر الثقافي والاجتماعي لجمهور المؤوّلين.

الإحالات والهوامش:

[1] - Julia kréstiva, pour une recherche sémanalyse, p248

[2] -ibid, p09

[3] - La révolution de la langue poétique,ed seuil, paris, 1974

[4]-محمد أحمد حلمي، ابن الفارض والحبّ الإلهيّ، ط2، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص153 .

[5]- م ن. ص154.

[6]-أم ضيغم البلويّة، نقلا عن يوسف زيدان، الغزل العذري، ص34.

[7] - Julia kréstiva, pour une recherche séanalyse, p09.

[8] - Ibid,p284.

[9]- يوسف اليوسف، الغزل العذرين ص11.

لغة التدريس في الجامعات وتأثيراتها

The language of instruction in universities and its effects

د/موهوب أحمد[1]/جامعة جيجل ،(الجزائر) /ahmedmouhoub@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 13 /03/ 2021 تاريخ القبول: 10 / 06/ 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص:

لغة التعليم في المؤسسات أو الأطوار التعليمية المختلفة مرآة الأمة والمجتمع،وهي المسألة التي سال عليها الحبر كثيرا في الأونة الأخيرة،نظر لأهميته من ناحية الحفاظ على مقومات الأمة ودينها،والتمسَك بالطريقة الأمثل لاستيعاب الدروس والمحاضرات،وهي القضية التي شغلت الكثير من أساتذة الجامعات والمهتمين بتطوير التعليم العالي،وعلى الرغم من اتفاق الأكثرية على ضرورة التدريس باللغة الفرنسية أو الانجليزية ،فلا يزال عدد من أساتذة الجامعات يعارض هذا الإجماع،لأهمية استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي،ورغبة نسبة كبيرة من الأساتذة والطلاب في ذلك،مع تفاوت ملحوظ في نسب المؤيَدين لاستخدامها من دراسة لأخرى ،ومن فترة زمنية لأخرى أيضا .

الكلمات المفتاحية: اللغة ،التعليم، تطوير، استخدام ، استيعاب .

Abstract:

The instruction language in the various educational institutions or the multiple learning stages is the mirror of the nation and society, and it is a highlighted issue recently, due to its importance in terms of preserving the nations foundation and religion, and adhering to the best way to absorb lessons and lectures, an issues that has occupied many university professors and those interested to develop higher education, and despite the majorities agreement on the necessity of teaching in fresh or English, a number of university professors still insist of using the Arabic language in university education.

Key words: *the language, education , development, use ,absorb.*

[1]المؤلف المرسل: موهوب أحمد : ahmedmouhoub@yahoo.fr

مقدمة:

تعدَ لغة التدريس من أهم الوسائل التي يجب أن يتسلح بها المعلم والمتعلم في العملية التعلَمية التعليمية،انطلاقا من المراحل الأولى إلى مرحلة التعليم العالي والبحث العلمي ثم الدَراسات العليا ،لكن من مخلفات الاستعمار في البلدان العربية عموما التدريس بلغة المستعمر في جامعاتها ،خاصة المجالات العلمية منها، فنجد الانجليزية في المشرق والفرنسية في المغرب العربي،فبعد أن تلقى الطالب مختلف العلوم في بداياته الأولى بلغة الأم،يجد نفسه أمام لغة أجنبية في الجامعة ،مما يسبب عائقا للمعلم والمتعلم على حدَ سواء في عملية التحصيل العلمي والمعرفي ،المعلم يواجه طلبة لا يفهمون لغة التعلم،فيسعى إلى الاستنجاد بالعامية في شرح المحاضرات ،والمتعلم يجد صعوبة الاستيعاب والفهم من تلك اللغة التعليمية الغريبة المستعملة من المعلم خاصة إن تلقى تعليمه في البلدان الغربية،كيف لا وهو لا يستطيع تكوين جملة مفيدة بتلك اللغة،ممَا يسبب رسوبا كارثيا في السنوات الجامعية الأولى بسببها الرئيسي اللغة وصعوبة مواصلة الدَراسات العليا ،والإحصائيات الحديثة تؤكد ذلك.

وما يلاحظ ايضا في الجامعات العربية عموما والجزائرية خصوصا، عدم التنوع اللغوي في اغلب التخصصات مما يصعَب على المعلم تأدية مهامه العلمية على أكمل وجه،أو المتعلَم الذي يكتفي على لغة واحدة ما ينتج عن ذلك جمودا لغويا وفكريا ،كما يسهم في عرقلة عملية توسيع المعارف ،وهذا ينطبق على جميع التخصَصات،فالطالب يجد نفسه أمام الاكتفاء بلغة الأم ،وهي ضرورة حتمية، أو الذهاب نحو التنوَع اللغوي لاكتساب أفكار ومعارف أكثر،لكن للأسف الشديد جامعتنا لا تسير على هذا الشكل بل تتَجه نحو المجهول،فكيف نفكَر ؟ وبأية لغة يجب أن نفكَر،وهل نحن مع الانفتاح لكي نكسب أكثر، أو مع الانغلاق لتحقيق معرفة اقل والإكتفاء بما هو إقليمي؟ وهل نفكَر بلغة ونعبَر بلغة أخرى نراها أحسن ؟

التعليم له أهمية كبرى في حياة الإنسان، ييسَر حياته من الصَعاب، ويزرع القيم الثقافية والاجتماعية والأخلاقية، فهو يؤثَر على جميع نواحي الحياة، من اكتساب الاحترام بين الأفراد، وتوفير الاحتياجات الأساسية وتحسين مستوى المعيشة، واتَخاذ القرارات الصائبة، والمساعدة ،يقابله العلم كاشف الظلام وسلاح الفرد في المجتمع ، وأساس السعادة والرفاهية لجميع البشر، وعمود الحضارة والتقدَم في كل الأزمنة ،والسبيل الوحيد للقضاء على الجهل والتخلَف.

تعد اللغة وسيلة من وسائل الاتصال ،"وظاهرة اجتماعية تتوفَر فيها جميع خصائص الظواهر الاجتماعية ،كما تؤثَر بدورها في هذه الظواهر[1]، فهي كائن حي تموت إن لم تلق الاعتناء من قبل أبنائها، وتحيى وتزدهر إن حدث العكس ،فهي ليست مجرَد أداة للتواصل ،لكنها تشكَل رابطا روحيا يجمع أفراد الأمة الواحدة ،فان انقطع ذلك الرابط زالت وحدتها ،"كما أنها تحافظ على التراث الثقافي جيلا بعد جيل ،وتجعل المعارف والأفكار البشرية قيمها الاجتماعية ،بسبب استخدام المجتمع للغة الدالة على معارفه وأفكاره، وباعتبار اللغة هي من أقوى الوسائل التعليمية فإنَها تساعد على تكييف سلوكه وضبطه حتى يتناسب وتقاليد المجتمع الذي يعيش فيه،ومن هنا تظهر القيمة الإنسانية للغة ،باعتبارها صلة وصل بين الماضي والحاضر ،وجسرا واصلا بين الحاضر والمستقبل.

يعد البحث العلمي المجال البارز الذي يقيم حياة الإنسان ويحفظ له قيمة وجوده وأهمية خلافته الأرض وتعميرها ،فلا يمكن أن تستقيم الحياة دون وجود أفق علمي ينهل منه الفرد ليغذَي نهمه العلمي ويشبع

تطلعاته ورغباته المعرفية فلا يمكن الحديث عن حياة متوازنة دون ربط هذا التوازن بحضور الجانب العلمي في حياة الفرد معينا معرفيا .

يرتبط لإنتاج العلمي باللغة التي يتم نقل المعرفة بها لتكون هده وسيلة لدلك، فلا يمكن الحديث عن البحث العلمي دون التعرَض للغة التي بها نقل هذا العلم وتداوله واستعماله بين الأفراد، لتكون اللغة بهذا الوسيط المخبر عن أهمية التعلم والقناة الحافظة لمحتواه والأداة المؤثَرة في متلقيه عبر العصور المختلفة.

1التعليم بلغة الأم في الجامعات :

التعليم بلغة الأم يعد الحافز الأول عن الإبداع والمعين الجوهري والسند المتين في اكتساب العلوم والمعارف،حيث أوصت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة –اليونسكو-أثناء تخليدها لليوم العالمي للغة الأم في 21 فبراير2016م بضرورة التدريس باللغة الأم كاشفة في تقاريرها حول الموضوع أن أفضل الدول الرائدة عالميا تدرس بلغاتها الأصلية، كما أكدت دراسات أممية أخرى أن 19 دولة تتصدر العالم تكنولوجيا يرتكز تعليمها على اللغة الأم وعليها يرتكز البحث العلمي، وفي دراسة حديثة أجريت حول أفضل 500جامعة عالمية في 35 دولة تبين أنها جميعها تدرس بلغاتها الام[13]، هذا يعني أن اللغات الثانية أو الأجنبية ليست بذات الأهمية ، وإنما يؤكد على أهمية ومحورية اللغة الأم بوصفها مكمن قوة وعامل أساسي في صنع مستقبل زاهر وآمن ،تقول المديرة العامة لليونيسكو سابقا(ايرينا بوكوفا) في هذا السياق " يجب علينا الإقرار بهذه القوة الكامنة في اللغات الأم وتعزيزها كي لا يتخلف احد عن الركب ،ومن اجل صنع مستقبل أكثر عدلا واستدامة للجميع ،إن اللغات هي الأقوى التي تحفظ وتطور تراثنا الملموس وغير الملموس،لن تساعد فقط كل التحركات الرامية إلى تعزيز نشر الألسن الأم .على تشجيع التعدد اللغوي وثقافة تعدد اللغات،وإنما تشجع أيضا على تطوير وعي أكمل للتقاليد اللغوية والثقافية في كل أنحاء العالم ،كما ستلهم في تحقيق التضامن المبني على التفاهم والتسامح والحوار ،وتحظى اللغات بثقل استراتيجي مهم في حياة البشر والكوكب بوصفها من المقومات الجوهرية اللغوية وركيزة أساسية في الاتصال والاندماج الاجتماعي والتعليم والتنمية ،ومع دلك فهي تتعرض جراء العولمة إلى تهديد متزايد والى الاندثار كليا"[24]بعيدا عن الانفتاح على لغات أجنبية،وما يحمله من فوائد علمية وتكنولوجية،يجب الاعتماد أساسا على لغة الأم في المراحل العمرية الأولى، والتحصيل العلمي يأتي في تلك المراحل كون المتعلم صفحة بيضاء،يسعى لإشباع رصيده الفكري والمعرفي بالمعلومات القاعدية،كأساس للتحليل والربط والتعبير والاختراع،فلغة الأم تساهم في :

- كسب الوقت والإسراع في اكتساب المعارف.
-سرعة التحليل والربط والتعبير.
-التمكن من اللغة في المراحل الأولى من التعلم.
-التمكن السليم من تعلم اللغة.
- المحافظة على الهوية والتراث والدين

وخير مثال على دلك اغلب الأمم والحضارات أثبتت نجاعة اعتمادها على اللغة الأم،وهي الأن في ريادة الترتيب كالألمان واليبانيون، وفي بلاد الصين والسويد مثلا ،التي لم تترك اللغة الأم لصالح الانجليزية رغم قلة عددهم وهيمنة لغة خصمهم ،بل حافظوا عليها وافتخروا بدلك ،فتمتعوا في بلدهم بدرجات رفيعة من الرقي والتحضر.

لكن يبقى تعلم لغة إضافية أخرى له فوائد كثيرة، كاكتساب قدرات على التحليل والربط والقياس والاستنتاج والتفكير والتعبير عن المفاهيم بطريقة مختلفة يتقنها نتيجة تعلمه لغتين ،وهدا ما لا يتوفر للطالب الذي

يتعلم لغة واحدة[5] ،كما يسهم دلك في اكتشاف ثقافة الأخرين ومعارفهم ،في مجال العلوم والتكنولوجيا والمصطلحات.

2- التعليم باللغة الأجنبية في الجامعات :

تعتبر لغة التدريس وبخاصة في الكليات العلمية من المسائل التي شغلت الكثير من أساتذة الجامعات والمهتمين بتطوير التعليم العالي ،وعلى الرغم من اتفاق الأكثرية على ضرورة التدريس باللغة الفرنسية أو الانجليزية ،فلا يزال عدد من أساتذة الجامعات يعارض هذا الإجماع ،وعليه نؤكد على أهمية استخدام اللغة العربية في التعليم الجامعي ،ورغبة نسبة من الأساتذة والطلاب في استخدامها،مع تفاوت ملحوظ في نسب المؤيدين لاستخدامها من دراسة لأخرى ومن فترة زمنية لاخرى[36]، والواضح أن زيادة فهم الطلبة للمواضيع التي تدرس باللغة العربية ،مقارنة بتلك التي تدرس باللغة الأجنبية،يعود إلى ضعف الطلاب في اللغة الأجنبية ، بل مرده ضعف النظام التعليمي الجامعي والنظام الذي يسبقه بمراحله في تعليم اللغات ،ولابد أيضا من التأكيد على إن تخلفنا العلمي والتكنولوجي يتكافأ مع تخلفنا في اللغات الأجنبية.

اكتساب اللغات الأجنبية من جهة أخرى ضرورة ملحة في عصرنا الحالي ،وتزداد أكثر فأكثر بالنسبة للطالب الجامعي ،نظرا لمتطلبات الدراسة في التخصصات العلمية خاصة ،وضرورة مواكبة ما استحدث من معارف ،حتى يكون تكوينه متكاملا ،ويؤدي الدور المنوط به في الداخل والخارج.

اللغة الثانية أو الأجنبية تنمي قدرات الطالب من خلال توسيع مدركاته العقلية بالقراءة والاطلاع والبحث، والتواصل مع الطلبة الأجانب لتبادل الخبرات والمعارف والمعلومات، والاطلاع على ما يتدارسه أقرانه في هدا العالم الفسيح الذي أصبح عبارة عن قرية، بفعل تطور وسائل التكنولوجيا والاتصال.

إتقان لغة أخرى على الأقل ضرورة ملحة في الدراسات العليا، والدخول في ميدان العلم والمعرفة والبحث، والسير قدما في مشوار الطالب العلمي، وهو دليل على نضجه العقلي ونموه الفكري، لأن تقوقعه في لغته الأم قد يحجب عنه أسرارا من الممكن إلا يحصلها من خلال الكتب المترجمة .

متعة تعلم اللغة الأجنبية كفيلة بترسيخ قيمة العلم والمعرفة لدى الطالب، وستحثه حثا على الاجتهاد في دراسته، لذا يجب مراعاة هده القيمة، فهي تحسس الطالب بأنه على علاقة وطيدة باللغة، التي هي مرتبطة بقريحة الإنسان كما تعلمه كيفية ضبط برنامجه ،فطريق اكتسابها ليس سهلا ،وقد يكون شاقا،ويتطلب تمرينا يوميا،وهدا ما يساعده في ترتيب تفاصيل يومه ،فينعكس دلك إيجابا على تحصيله العلمي ،وبالتالي ربط تعلم هده اللغة بما يدرسه،سيكون أفضل حل يحقق النتائج المرجوة.[74]

يسهم اكتساب اللغة الأجنبية في تعزيز ثقة الطالب بنفسه، فيصبح خطيبا مفوها، لأنه خاض معترك لغة غريبة عنه وحفظ مفرداتها وطرائق التعبير بها ،هدا ما سينمي ملكته الخطابية ،ويصبح لسانه أكثر طلاقة ،فجميع اللغات متكاملة فيما بينها ،حيث تجعل الفرد في ارتقاء فكري دائم ،ما جعل البعض يتقن حتى تسع لغات وهدا رائع ومشجع.

في ظل العولمة فان أي دولة لن تستطيع العيش في عزلة من هده التطورات، الأمر الذي يؤكد الحاجة لتعلم لغة أجنبية، خاصة اللغة كثيرة الانتقال والمرتبطة بهذا التقدم،مثل الانجليزية،تيسر للفرد سبل التفاهم مع العالم وتساعده على الاندماج فيه والاستفادة من انجازاته وكذلك المساهمة في زيادة مبتكراته ،ودلك إلى جانب تعلم أداة الاتصال الأساسية الممثلة في اللغة الأم.[8]

كثير من دول العالم بدأ يتجاذبها اتجاهان بينهما تعارض إلى حد كبير:

- يتمثل الاتجاه الأول في ضرورة الأخذ بمظاهر التقدم الحضاري وما يشتمل عليه من تعليم أفراد المجتمع لغة أجنبية أو أكثر لاقتناعها بان الانغلاق عن العالم غير مجد في ظل العولمة، وان تعلم الفرد لغة أخرى بجانب لغته الأصلية هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه.

-أما الاتجاه الثاني فانه يرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام،سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية والمتمثلة باللغة الأم ، ويؤكد هدا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ فهي ليست مفردات و تراكيب فحسب ، وإنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها ،وما يترتب عن دلك من تأثير على وجدان المتعلم.[95] اللغة العربية من اللغات الحيوية التي تواجه تحديات خطيرة تعمل على وقف انتشارها باعتبارها اللغة التي ساهمت في العلوم والفن والمعرفة،منها الوضع السياسي السيء في العالم العربي ،وتهميشها من أهلها ،واثر العولمة في نشر الثقافة الغربية والأفكار والسلوك والعادات ،ومستواها الضعيف في الانترنيت،وعدم استعمالها لفترة أطول في المنازل والمدارس وأماكن العمل وفي الشوارع....

كل هده العوامل وغيرها ساهمت في عرقلة سيرورة النمو اللغوي لولا القران الكريم والدين الإسلامي الذي كان العامل الأساسي في المحافظة عليها.

3- لغة التعليم في الجامعات الجزائرية وتأثيراتها:

اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات الجزائرية بالنسبة للتخصصات الإنسانية والاجتماعية،أما اللغة الثانية التي احتلت مكانتها في التخصصات العلمية هي لغة المستعمر، فاللغة العربية في الجزائر بصفة عامة تعاني الكثير من التهميش-في ظل العولمة- والمنافسة الشرسة من اللغات الأجنبية،وحتى اللغة العامية،بعد ما كانت اللغة العربية لغة العلوم،وذاع سيطها في كل أصقاع العالم،وكان طلاب العلم يقصدون منابر العلم في الدول الإسلامية كالأندلس لتعلمها،لأنها لم تعد لغة دينية فقط ،بل تغير الحال" لتأخذ فيما بعد أبعادا علمية وبيانية وتتطور بها وضمنها الحضارة العربية الإسلامية ،إبان العصور الذهبية لها فاستقطبت اهتمام كثير من الثقافات الأجنبية التي أخذت منها بفعل حركة الترجمة انداك[10] ،ويوم أن همشت العربية تغير الحال وانقلبت الأدوار وسقطت الأمة إلى الحضيض،لان اللغة ليست مجرد أداة للتخاطب ،او وسيلة لتلقي العلوم،بل هي هوية أمة قبل أي شيء، والانسلاخ عنها انسلاخ عن الذات.[11]

إن إقصاء اللغة العربية معناه فقدان الهوية، وإذا فقدت الهوية قضي على الأمة، وواجب على المختصين إعادة الاعتبار لهذه اللغة، وأول محطة هي (الجامعة) إذ أصابها هي الأخرى فيروس (العامية) ،واستخدام اللغات المختلطة التي تعرقل اللغة الام في حد ذاتها كازدواجية اللغات فيما بينها وتكوين تركيب مزدوج اللغات

الأجنبية دون وعي، مما نتج عنه " ظهور هجين لغوي أضر باللغة الأم، وطرائق استخدامها فصرنا نعبر عن العربية بتراكيب وأنماط لغوية غريبة[612] "، فأصبحت العربية ثقيلة على الألسنة، زد على دلك ظهور دعوات التدريس بالعامية، فأصبحت اللغة العربية ينظر إليها بـ:

-الخجل من اللغة العربية (نطقا وكتابتا) .

-اعتبار اللغة العربية لغة الماضي البعيد.

-هيمنة لغة المستعمر على البحوث العلمية والإدارة.

استبدال العربية بمزيج عامي وأجنبي.

*أسباب تراجع العربية في الأوساط الجامعية :

- العولمة والمنافسة من اللغات الأجنبية.

- تشجيع اللهجات على حساب العربية الفصحى وأحيانا من أهل الاختصاص .

عدم الاهتمام بها بجدية من أهل اللغة.

**لمواجهة التحديات التي تعيشها اللغة العربية يجب :

نشر الوعي بين الطلاب الجامعيين.

تحسين طرائق التدريس في الجامعة.

حماية اللغة العربية بإصدار مراسيم صارمة.

البحث العلمي والوثائق الإدارية باللغة العربية.

التعليم يتم بواسطة اللغة التي تضطلع بوظيفة جوهرية في هذا المجال لأنها الوسيلة التي تنقل بها المعرفة، والأداة التي تتم بها عملية التواصل الفعال في التعليم وفي غيره من مجالات الحياة اليومية، حيث أن اللغة شكل من أشكال الوجود، وكل معرفة بهذا الوجود إنما تؤدّي إلى إعادة فهمنا للغة نفسها.

اللغة العربية ليست مجرد أداة يتواصل بها الأفراد بينهم، بل هي هوية يجب الحفاظ عليها، انطلاقا من الجامعة لإخراج جيل واعي بشؤون أمته، وهذا بعد التركيز على اللغة الأم، ووضع دراسات مركزة من قبل مختصين تواجه هدا الوضع المتأزم التي آلت إليه اللغة بفعل العولمة والتكنولوجيا، بحيث أصبحت اللغة العربية ليست لغة علمية وصناعية.

إعادة الاعتبار للغة العربية في المدارس والجامعات، هو زرع لمبادئ الهوية في نفوس الطلبة والمجتمع، وجعل اللغة لغة إدارية، ولغة البحوث العلمية، فضلا عن كونها لغة التواصل في الهيئات الرسمية للبلاد بما فيها المدارس والجامعات والمستشفيات والإدارات.

ان لغتنا العربية تواجه قضايا مهمة في العصر الذي يتصف بتفجير المعرفة في جميع مجالاتها، ويتميز بهذا التسارع الضخم في تطور العلوم على جميع الأصعدة، وفي الفضاء الخارجي، وهذه القضايا أهمها يتعلق بتيسير تعليم العربية، ولا تمس إطلاقا إعرابها ونحوها وصرفها ونظم التراكيب، لأن هذه الثوابت التي بدونها تفقد اللغة مقوماتها الأصلية ، فالعربية ثابتة من حيث نطقها ونحوها وصرفها ، ولكنها نامية من حيث أساليبها ومفرداتها ودلالات ألفاظها.

مستقبل الوطن العربي اللغوي والثقافي والعلمي مرتبط بقضية تعريب العلم والتعليم، فلا يعقل أن تخوض مجالات العلم الحديث وتواكب أو تنعم بمنجزاته بلغة غريبة عن أجواء العلم وتقنياته وإبداعه .

لقد حان الوقت لكي تصبح اللغة العلمية جزءا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع والجامعات. ومستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها الجاد والمتزايد في شبكات المعلومات العالمية .

الإهمال الكبير للغة العربية طرف ابنائها ،وتقلص قاعدتها الديموغرافية ،وطغيان اللهجات العامية على الفصحى، وشيوع الإزدواجية من اللغوية في العالم العربي كله ،وفساد اللغة العربية من جراء كثرة استخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية ،وتفشي الركاكة في لغة الأم ،وشيوع الأخطاء النحوية والصرفية بسبب قلة اعتناء كتابها بقواعد اللغة ،هي تحدَيات تواجهها اللغة العربية الآن ،واعتماد الإنجليزية على نطاق واسع في الكليات والجامعات العربية لتعليم المواد كلها باستثناء مادتي اللغة العربية والدَراسات الإسلامية ،نتج عنها ضعف الملكة اللغوية لدى الطلبة وانصرافهم عنها ،على عكس الماضي حيث كانت العربية وسيلة لتعليم المواد كلها ،فكانت الملكة اللغوية تنشأ عند الطلبة تدريجيا وطبيعيا ،أما الآن فثمة شبه انعدام للوعي الاجتماعي بأهمية اللغة العربية ،كما أن سيطرة اللغة الإنجليزية على جميع مناحي الحياة ،ولا سيما عند جيل الشباب المدمن على الأنترنيت ووسائل التواصل الاجتماعي زادت الوضع خطورة.

خاتمة:

إن اللغة العربية تكتسي أهمية كبيرة في التعليم الجامعي، ويرجع هدا لمكانتها الدينية في المجتمع وكدا دور الجانب التاريخي في تمجيد اللغة العربية وجعلها عنصرا فعالا يعبر عن حضارة الشعوب، كما ترتبط أهميتها بكونها من أهم مكونات الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري عموما ،وعليه فلا يمكن أن يستقيم التعليم الجامعي دون استعمالها وتوظيفها فيه.

إن الواقع الذي تشهده اللغة العربية في مجال البحث العلمي يؤكد على وجود بعض الخروق في توظيفها، ويحيل إلى وجود نوع من الثغرات في استعمالها في البحوث العلمية الأكاديمية ،ويتجلى هذا من خلال كثرة الأخطاء الموجودة في البحوث وضعف الكتابة والأداء لدى الطلبة ،وغيرها من المظاهر التي تعكس واقع استعمال اللغة العربية في البحث العلمي بالجامعة وتقع اللغة العربية اليوم في مواجهة الكثير من التحديات التي تمليها طبيعة العصر الراهن في ظل العولمة والتطور التكنولوجي والصراع بين الأنا والأخر ،وهو ما وضع اللغة العربية في البحث العلمي مقابل تحديات عديدة لعل من أبرزها الازدواجية اللغوية ومزاحمة العامية لها،وكذا السبق التكنولوجي الذي أحرزته اللغات الأخرى، والنظرة الدونية التي يعمل أعداء العربية على ترسيخها،الحل يكمن في نشر الوعي ،وتحسين طرائق التدريس وحماية اللغة بقوانين وتعميم استعمال العربية الفصحى.

الإحالات والهوامش:

1-نخبة من الاساتذة:معجم علم الاجتماع،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،د ط،1975م،ص.96

2-احمد بن نعمان :التعريب بين المبدأ والتطبيق،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،د ط،ص95

3-التعلم باللغة الام ومكامن الابداع: https//:islamweb/net/ar/article224635...19/05/2021..21:30

4- المرجع نفسه :ص ن.

5 -المرجع السابق نفسه : ص ن .

6- أسامة طبش :أهمية اكتساب اللغة الاجنبية للطالب الجامعي،.https://alukah.net/sharia/0/124280/19.05.2021..22:15

7 -المرجع نفسه :ص ن

8 - د.نجاة عبد العزيز المطبوع: تأثير اللغات الاجنبية على اللغة الام :https://khutabaa.com/ar/article..19/05/2021..23:0

9-باديس لهويمل :اللغة العربية في عصر العولمة والعلمانية الواقع والتحديات ،أبحاث في اللغة والادب الجزائري،جامعة بسكرة،2013م .ص03.

قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر.

2-باديس لهويمل: اللغة العربية في عصر العولمة والعلمانية، الواقع والتحديات، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة2013م.

3-نخبة من الأساتذة: معجم علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1975م

4-آسامة طبش: اهمية اكتساب اللغة الاجنبية للطالب الجامعي.https://alukah.net/sharia/0/124280/19-05-2021

5-نجاة عبد العزيز المطبوع : تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الأم : https://khutabaa.com/ar/article/19-05-2021.

6-التعلم باللغة الأم ومكان الإبداع:.https://islamweb/net/ar/article224635/19-05-2021

How less is more" in the American Minimalist Style: the Short Fiction of Ernest Hemingway and Raymond Carver

Boudjerida Messaouda [1/] University: University of Abdelhafid Boussouf -Mila, Algeria,
messaouda.boudjerida@centre-univ-mila

Received: 09/09/2021 **Accepted: 09/12/2021** **Published:31/12/2021**

Abstract:

The Minimalist style has long been disregarded by critics and scholars because it is believed to have minimal meaning or it is meaningless. In reality, writers of this new kind of style including Ernest Hemingway, its originator in American fiction, and Raymond Carver, his follower and a leader of the Minimalist Movement, rely on the laconic style to express "more" while they treat very important themes in their short stories. The current paper is an attempt to show how these two genius writers express their deep meaning through their minimalist styles by explaining the ideologies behind their adaptation of this kind of style and how they manipulate different literary techniques including understatement, figures of speech, omission, implication, dialogue, and epiphany to convey their themes and worldview. By so doing, the paper aims to disclose one of the most important styles in literary history, which is still unknown amongst Algerian teachers and students, with the aim of encouraging teachers to adopt it in their classrooms due to its simplicity and literariness which make learning literature more profitable and enjoyable.

Keywords: *Ernest Hemingway, Raymond Carver, "Iceberg Theory," the minimalist style, influence, short story.*

ملخص:

لطالما تجاهل النقاد والعلماء أسلوب الأسلوب التبسيطي لأنه يعتقد أنه يحتوي على حد أدنى من المعنى أو أنه لا معنى له. في الواقع ، يعتمد كتاب هذا النوع الجديد من الأسلوب ، بما في ذلك إرنست همنغواي ، مبتكره في الرواية الأمريكية ، وريموند كارفر ، قائد حركة لأسلوب التبسيطي ، على الأسلوب المقتضب للتعبير عن "المزيد" أثناء تعاملهم مع موضوعات مهمة جدًا في قصصهم القصيرة. الدراسة الحالية هي محاولة لإظهار كيف يعبر هذان الكاتبان العبقريان عن معانيهما العميقة من خلال أساليبهما المبسطة بشرح الأيديولوجيات الكامنة وراء تكيفهم مع هذا النوع من الأسلوب وكيف يتلاعبون بالتقنيات الأدبية المختلفة كالإغفال والتضمين والحوار ولحظة الالهام للتعبير عن موضوعاتهم ورؤيتهم للعالم. من خلال القيام بذلك، يهدف المقال

إلى الكشف عن أحد أهم الأساليب في التاريخ الأدبي ، والتي لا تزال غير معروفة بين المعلمين والطلاب الجزائريين ، وذلك بهدف تشجيع المعلمين على تبنيها في فصولهم الدراسية نظرًا لبساطتها وأدبيتها التي تجعل تعلم الأدب أكثر فائدة و متعة.

الكلمات المفتاحية: إرنست همنغواي ، ريموند كارفر ، "نظرية الجبل الجليدي" ، الأسلوب البسيط ، التأثير ، القصة القصيرة.

1. **Corresponding author:** Boudjerida Messaouda, **e-mail address: messaouda.boudjerida@centre-univ-**

1. Introduction:

People design things as "small" depending on physical size, duration, intensity, significance, quantity of the element composing it, and the simplicity of the structure. These different registers of perception share the notion of reduction. An art, which is principally based on the notion of reduction, is termed minimalist by critics and scholars. In other words, in its broadest sense, minimalism is used to describe any form of human experience whose elements have been reduced and simplified[1]. More precisely, the term is used to denote, especially American movements in painting, sculpture, architecture and music which have emerged and flourished during the 1960s and 1970s, and have remained influential till the present day. These movements have provided basic elements for the development of the Minimalist Movement in literature in the late 1970s.

Although the minimalist literary style was understood differently by several critics and has received huge criticism from scholars and critics, it was able to hold a specific position in American literature due to the works of many minimalist writers. Despite the fact that the minimalist style has become well-known in the late 1970s and 1980s in American literature due to specific socio-historical reasons, its origins can be traced back to the writing of Ernest Hemingway. In this paper I intend to show how these two genius writers express their deep meaning through their minimalist styles by explaining the ideologies behind their adaptation of this kind of style and how they manipulate different literary techniques. By so doing, we hope to disclose one of the most important styles in literary history, which is still unknown amongst Algerian teachers and students, with the aim of encouraging teachers to adopt it in their classrooms dues to its simplicity and literariness which make learning literature more profitable and enjoyable.

1.Ernest Hemingway's Aesthetic : the "Iceberg Theory":

Although the minimalist short story as a distinct type was developed in the late 1970s and 1980s at the hands of the writers of the Minimalist Movement, the modernist writer, Ernest Hemingway is considered an innovator of the genre and an originator the minimalist short story. He was one of the earliest practitioners of the modernist short story along with his contemporaries of the "Lost Generation" writers. He emerged in the 1920s during which the First World War (1914-1918) hastened the process of change and unsettled the American society. Although, obviously, American life appeared to have improved, prosperity, technology, consumption, and mass culture seriously affected American people by disrupting their traditional values, beliefs, customs, and behaviors. It also led to the widespread of disorder, internal struggles, and fights. These changes led to the widespread of the alienation from a once-continuous historical past[2]. In short, it is assumed that the 1920s became "the age of wonderful nonsense, and a time

of social hopelessness."[3]

Undeniably, his aesthetic emerged as a result of his interplay, interpretation, and transformation of the adapted techniques during his apprenticeship, especially his experience in journalism and his literary influences. By the time his collection In Our Time (1925) was published, Hemingway developed salient features of his minimalist writing. In the short story, the technique of omission plays a significant role in creating a complete narrative within a small space. In fact, Ernest Hemingway's aesthetic is, principally, based on his "Theory of Omission" in which he thinks that the writer can omit anything if he knows that the omitted part will strengthen the story and make people feel more than they understand, since they will involve their imagination to interpret and solve the ambiguities of the text. He first articulated his aesthetic theory in Death in the Afternoon (1932), employing the metaphor of the iceberg to carry the weight of his argument after stating that "Prose is architecture, not interior decoration, and the Baroque is over" (Death in the Afternoon 191)[4]. Ernest Hemingway developed an art in which he concentrated on the intention of losing. This art, which focuses on omitting information to strengthen the text instead of depriving it, becomes known as "the art of losing"[5]. While attempting to master this art, Hemingway explains how his fiction works while considering the acquired knowledge of a writer's life experience is the hard earned fuel of his fiction:

> If a writer of prose knows enough about what he is writing about he may omit things that he knows and the reader, if the writer is writing truly enough, will have a feeling of those things as strongly as though the writer had stated them. The dignity of movement of an ice-berg is due to only one-eighth of it being above water. A writer who omits things because
>
> he does not know them only makes hollow places in his writing. A writer who appreciates the seriousness of writing so little that he is anxious to make people see he is formally educated, cultured or well-bred is merely a popinjay.[6]

Hemingway's "Iceberg Theory" deals with the basic principle that "less is more." In other words, instead of stating things obviously, he relies on the technique of implications, symbolism, dialogue, and repetition to convey his themes. Critics, like Paul Smith in "Hemingway's Early Manuscripts: The Theory and Practice of Omission" and Susan Beegel in "Hemingway's Craft of Omission: Four Manuscript Examples," demonstrate that, as a highly conscious writer, Hemingway developed the "Iceberg Theory" in order to justify and ground his revolutionary minimalist style[7]. Beegel's little book is the most interesting and comprehensive work which details Hemingway's "Theory of Omission" by showing how he

transmuted the material of his life and literary experiences into art. In clarifying his process of revision, she notes that it "was principally a business of omission, of discovering the story in the stream of consciousness, and eliminating the personal material leading to and sometimes from it.[8]

In concluding her study, Beegel points out to the five categories of material "left out". The first category is material from his personal experience which includes not only his biography, but also material from his real or imagined fabula. The second category is represented by those experiences that may affect the author's emotions, feelings and mind, but they are never mentioned. Feelings are the third category of the omitted knowledge. In Hemingway's stories there is always a description of the actions and objects which represent the "tip of the iceberg," while characters' emotions are left beneath the surface of things. On this last point, Beegel writes: "The underwater part of the iceberg is the emotion, deeply felt by reader and writer alike, but represented in the text solely by its 'tip'—[what Eliot termed] the objective correlative"[9]. Hence, the reader is assigned an active role to discover the omitted emotions by interpreting the actions. Hemingway learned this technique from the poetry of Ezra Pound and T.S Eliot. The fourth category of Hemingway's omission Beegel cites are moments that emerge from his use of irony. Hemingway employs irony which is based on omission since it is "dependent on the reader's recognition that the experience expressed in the text is at odds with other, omitted experience"[10]. These categories are common in fiction. Nevertheless, Hemingway's uniqueness is crystal clear in the final category which is the relationships between his technique of omission and his thematic interest in "nothingness." Harold Bloom refers to this kind of omission as 'the Real Absence' in Hemingway's" fiction. Being distinct and important, this "thematic omission" is considered by Beegel the "significant omission at the heart of the universe." She observes Hemingway's special interest in the theme of "nothing" by writing: "When everything is left out, nothing remains, and like 'A Clean, Well-Lighted Place,' Hemingway's archetypal story of 'nada,' much of his writing is ultimately about nothing" or about nothingness."[11] On the basis of Beegel's idea, Lamb believes that omission in Hemingway's story can be classified into three types: "a minor form" which is related to his inclination towards concision, a form in which the writer mentions only a piece of knowledge and implies the other, and "a major form" which is linked to and derives from his method of 'objectivity' or 'impressionism.' [12]

In 1958 interview with George Plimpton, Hemingway restated his "Iceberg Theory" and explained the basics of its tenets: "I always try to write on the principle of the iceberg. There is seven-eighths of it underwater for every part that shows. Anything you know you can eliminate and it only strengthens your iceberg. It is the part that doesn't show. If a writer omits something because he does not know it then there is a hole in the story"[13]. Though the process is performed in different steps, the writers have the same goal and express the same thing. To put it otherwise, "the raked fire" and the "iceberg" are equivalent metaphors,

in that the shortness of the story is emphasized and was treated as "positive"; the fact of omitting and eliminating information strengthens the narrative[14]. To put it otherwise, Hemingway's truth is primarily related to his recreation of the emotional experience of facts in his readers and this 'truth' is considered valuable only in the terms created in his fiction.[15]

Ernest Hemingway is one of the most famous writers who were associated with writing about war in the early 20th century. Indeed, the writer himself experienced several wars during his lifetime both as a direct participant and as a journalist covering wars, and in other capacities. Thus, he wrote dispatches from innumerable frontlines and used war as a backdrop for many of his most memorable works. Consequently, he produced a fiction with highly- crafted literary techniques which highlight the complexity of his themes.[16] Thomas Putnam, director of the John F. Kennedy Presidential Library, maintained that, being affected by their war experience, American modernist writers lost faith in the central institutions of Western civilization including the institution of literature itself. As a reaction to Victorian literature, which was prone to elaborate style, Hemingway wrote the American sentence by creating a new and distinct style "in which meaning is established through dialogue, through action, and silences—a fiction in which nothing crucial—or at least very little—is stated explicitly."[17] Though he is not considered a minimalist writer himself, his fiction pave the way for the emergence of a generation of writers including Raymond Carver, the leader of the Minimalist Movement in American literary history.

2. Raymond Carver's Literary Minimalism:

Raymond Carver (1938-1988) was born in Oregon logging town. His personal background is often reflected in his characters. Living in the Pacific Northwest, where many of his stories are set, he married and fathered two children before he reached twenty. He and his first wife worked at a series of unskilled jobs and moved frequently between small towns. He "picked tulips, pumped gas, swept hospital corridors, swabbed toilets, [and] managed an apartment complex." His first wife also "worked for the phone company, waited tables, [and] sold a series of book digests door-to-door." Ray Anello observes that "of all the writers at work today, Carver may have [had] the most distinct vision of the working class."[18] In his essay "Fires" (1982), Carver described how the limitations placed on him by fatherhood influenced the tone and format of his writing. In justifying his choice of the short story and poetry genre, he claimed that his social conditions forced him concentrate on them in order to gain time and money. Like his characters, he experienced failing marriages, poverty, and alcoholism. Interestingly, Raymond Carver gained great success through the publication of three major collections– Will You Please Be Quiet, Please?(1967), What We Talk About When We Talk About Love (1981), and Cathedral (1983)—and the volume of selected stories, Where I'm Calling From (1988). Adam Meyer claims that through these works Carver "places himself firmly 'in the realist tradition'."[19] His stories are in the tradition of Leo Tolstoy (1828-1910), Gustave Flaubert

(1821-1880), and Anton Chekhov (1860-1904) who is "the father of minimalist writing."[20]

Being problematic when applied to literary texts, it is not astonishing that the term "minimalism" has received no universal or consensus definition by critics and scholars[21]. Nevertheless, it is commonly known as the "aesthetic of exclusion"(Boswell "Minimalism"). Ann Beattie confirms that "minimalism resides in certain omissions."[22] The glossary in the anthology The Story and Its Writer defines it as "A literary style exemplifying economy and restraint."[23] Given the fact that the term itself is difficult to define, scholars, who are interested to write about minimalist stories encounter many difficulties and choose to deal with certain aspects common to all minimalist stories. To exemplify, Linsey Abrams points out to the ambiguous and complicated nature of minimalist literature when she writes, "Minimalist fiction, at its best, draws resonance from simple understandings, accumulated into structures where the whole is greater than the sum of the parts. At its worst, those same simple understandings are presented linearly, rendering them simplistic, if not inauthentic."[24] According to her, minimalist literature simplifies their styles in order to make them more complicated and difficult to be understood.

The term "minimalism" is used not only to denote an understated style, but also it refers to an assembly of aspects and characteristic that are attributed to the short story since both minimalism and the short story are governed by "an aesthetic of exclusion"(Hallett, "Minimalism")[25]. In comparing the minimalist short story and the genre of the short story itself, Hallett insists that both of them rely on figurative language and symbolic association to convey their meaning by noting: "as a literary style minimalism is as the short story does—at the most basic level and in a leaner format. Both are compact, condensed, and contracted in design; both are especially dependent on figurative language and symbolic associations as channels for expanded meaning."[26] Moreover, in delineating the important role of the reader in the construction of text's meaning and in finding the "rich" and the lasting meaning by interpreting the figurative and the symbolic language of the text, Hallett clarifies: "At first reading, many minimal narratives can seem internally disconnected, the sentences detached from one another, the ending as much a beginning as the first line; but when the stories are read closely, oblique references and dim designs combine into a rich texture of trope—exposing a pattern of meaning within the symbolic structure" (Minimalism and the Short Story 12)[27] . In other words, she advocates that the reader must make a close reading of the text in order to discover patterns of meaning exposed in " the oblique references and dim designs" in their attempt to understand what the author is suggesting in his story. After discovering the unique patters, the reader has to combine them with his real life experiences and his background knowledge including the literary one so as to find out a "rich" meaning of the text.[28]

Interestingly, in this style, what is unstated is more important than what is stated. Amy Hempel, an original short story writer to whom the term "minimalist" was conferred, describes it as follows: "A lot of

times what's not reported in your work is more important than what actually appears on the page. Frequently, the emotional focus of the story is some underlying event that may not be described or even referred to in the story.[29]" Accordingly, the reader is, actively, engaged in the interpretation of the text by using his imagination and personal experience to fill in the empty spaces and infer from the clues given by the writers to make the story meaningful. What is presented for him resembles external reality, but the method of presentation suggests that there is more to say than the narrated details.[30] Moreover, Kim Herzinger, the editor of the Mississippi Review, focuses on the challenges the readers face while attempting to interpret and understand the minimalist text in his introduction to the 1985 Winter edition: "The reader of minimalist fiction is being asked to face the characters in the story the way we face people in the world, people who do not—in my experience at least—ordinarily declare their personal histories, political and moral attitudes, or psychological conditions for my profit and understanding.[31]" In other words, the characters of the minimalist stories emerge fully developed and without histories. Readers get to know them through their actions and words without being explicitly described by the writers.

Being interested in literary minimalism, Kim Herzinger sheds some light on what is called the "new fiction" in American literary history and tried to provide answers to some important questions such as what links these minimalist writers together, what separated them from the postmodernist writers of the sixties, if they were witnessing a realist revival, and what makes the work "minimalist" on the first place[32]. He asserts that there is a stable critical consensus in how minimalism in the American short story can be defined. Hence, he tried to make clear this consensus by outlining a brief and decisive definition of literary minimalism by stating: "Still, most critics, here and elsewhere, can generally agree as to the salient characteristics of "minimalist" fiction [...] "equanimity of surface, 'ordinary' subjects, recalcitrant narrators and deadpan narratives, slightness of story, and characters who don't think out loud.[33]" A few pages later, Herzinger adds other traits to the list: compression, "aggressive lucidity," "spareness and cleanness, above all the obvious `craftedness,'" and a "profound uneasiness with irony as a mode of presentation"[34].

In spite of the fact that minimalist writers have experienced with a variety of voices and method, their minimalist writing share certain characteristics. Critics have translated Herzinger's "salient characteristics" into several more precise elements in order to help readers specify whether a work of fiction is considered minimalist or not. The following list highlights what may be considered to be the most common and important elements of contemporary minimalist fiction: formally, writers avoid the use of elaborate rhetoric, but instead they rely on realistic dialogue and the behavior of the characters[35]. They tend to use simple and unadorned language with the rejection of hyperbole; shorter sentence with few adjectives and when used not extravagant; repetition of words, phrases or ideas; stylistically sparse (punctuation, speaker tags, personal identifiers,... etc.) are often limited or omitted); heavy reliance on textual omissions (gaps),

so that the important action may take place outside the story or just at the beginning of the story; the use of abundant dialogue; a detached and even an absent narrator; showing not telling as a mode of narration; preference of the present tense; very few characters who are, generally, simple and middle class people; reticence towards the expression of the characters' thoughts and feelings; minimal action and slight plot which reveal more they resolve; open-ended conclusions; the tone is, generally, informal and familiar; the setting is domestic and "safe"); characters' silence, which is used as a form of communication, creates the ambiguity of the story.

Thematically, there is an accurate and realistic depiction of the everyday with an emphasis on contemporary common place subject matter such as love, failing marriages, disillusionment, unemployment and poverty[36]. The late seventies was a time of realism as well. But this realism was not unaffected by the spirit of stylistic experimentation. The emergence of different labels, such as "ironic realism," "fantastic realism," "modern surrealism," and "experimental realism," demonstrated, as Raymond Carver commented, that writers were searching for new forms of realism to depict the essence of a world that "seemed to change gears and directions, along with its rules, everyday."[37]

The minimalist writers were the leaders of the so called "dirty realist" school which focused on depicting the lives of American working- class (Marshal "20th-century")[38]. Being realists, they were, certainly, in contradiction with most postmodern writers such as Kurt Vonnegut, John Barth, and Thomas Pynchon. Raymond Carver thinks that the experiment of postmodernism" was crowned by so little success" since he believes that both content and technique should be given a credit[39]. So, minimalist writers like Raymond Carver and Ann Beattie did not stick to the traditional double form-content, instead they created a new single format which enabled them to express reality at the surface. In other words, for them reality is a code and surface is reality (Stevenson 87)[40] .

Hence, these writers pay attention to the external and leave out the rest to the reader. The minimalist writers are, generally, interested in writing as an act of communication in order to convey reality. Tobias Wolff, a minimalist writer, comments on this aesthetic mode of communication: "A good writer should make you feel as if he lived the story he is telling.... It is an artistic achievement to make someone feel they have had an encounter with reality, when what they have had an encounter with is a writer's imagination."[41] The minimalist writers attempt to best achieve an authentic communication between the reader and the writer through their use of plain language; common language and the language of the real man and women.[42]

Conclusion:

Hemingway's style which is based on the "Theory of the Iceberg" primarily deals with the basic principle that "less is more." In other words, he relies on the technique of implications, symbolism, dialogue,

and repetition to convey his themes and express his characters' emotional reality. Though he is not considered a "minimalist" writer, he is credited to have established the basic principles of literary minimalism which was developed by the Minimalist Movement in the late 1970s and early 1980s. Raymond Carver, the godfather of this movement also is based his style on the same principle which give the opportunity for the reader to contribute in the construction of the text's meaning. Finally, this minimalist style is worth of teaching in Algerian universities because it will contribute in increasing leaners' critical thinking and imagination and develop their love for literary texts, thus imporving their English language.

Works Cited:

[1] - Web 15 April, 2016 https<://www.questia.com/library/journal/1G1-114861529/toussaint-s-small->world.

[2] - "The 1920s: Prosperity and Cultural Tensions," World War I and the Jazz Age, American Journey Online(Woodbridge, CT.: Microfilm, 1999)Student Resource Center – Gold, Web. 6 Mar. 2010 <http://find.galegroup.com>.
[3] - N.G, Meshram, The Fiction of Ernest Hemingway(New Delhi: Atlantic, 2002) 2-5 .
[4] - Hemingway also articulated his "Theory of Omission" in his unpublished 1959 essay "The Art of the Short Story," and in his posthumously published memoir A Moveable Feast (1964).
[5] - Naomi, Wood, Mrs Hemingway: A Novel. What Was Lost: Manuscripts and the Meaning of Loss in the Work of Ernest Hemingway, Critical Thesis, Doctoral Dissertation (University of East Anglia, Doctorat Thesis, October, 2013)6.
[6] - Ernest, Hemingway, Death in the Afternoon (New York: Scribner's, 1932) 192.
[7] - Kim, Moreland, "Just the Tip of the Iceberg Theory: Hemingway and Sherwood Anderson's 'Loneliness'," (The Hemingway Review 19.2 (2000): 47)Literature Resource Center , Web. 24 Apr. 2015<http://go.galegroup.com>.
[8] - Beegel, Susan F. ed.. Hemingway's Craft of Omission: Four Manuscript Examples. Ann Arbor, MI: UM I Research Press, 1988)11.
[9] - Beegel 91.
[10] - Beegel 91.
[11] - Beegel 91-92.
[12] - Robert Paul, Lamb, Art Matters: Hemingway, Craft, and the Creation of the Modern Short Story (Baton Rouge: Louisiana State UP, 2010) 45.
[13] - Ernest, Hemingway, "Interview by George Plimpton, 1958," George Plimpton, ed., Writers at Work: The Paris Review Interview ((2nd ser., New York: Penguin, 1963) 217-39) 235.
[14] - Adrian, Hunter, The Cambridge Introduction to the Short Story in English(New York: Cambridge UP, 2007) 123; Lamb 42.

[15] - Philip John, Greaney, Less is More: American Short Story Minimalism in Ernest Hemingway, Raymond Carver and Frederick Barthelme, Doctoral Dissertation (Open University September 2005) 53.
[16] - Steven J, Florczyk, , Ernest Hemingway: The American Red Cross, and the Great War, Doctoral Dissertation, The Graduate Faculty of the University of Georgia (Athens, Georgia, 2011)378.
[17] - Putnam, Thomas. Hemingway on War and Its Aftermath. Spring 2006, Vol. 38, No. 1 <http://www.archives.gov/publications/prologue/2006/spring /hemingway.html>
[18] - Poetry Foundation, "Raymond Carver: Biography," 14 Aug. 2015<http://www.poetryfoundation.org/bio/raymond-carver>
[19] - Raymond Carver, Fires: Essays, Poems, Stories (New York: Vintage, 1984)27.
[20] - Laurie, Champion, "What We Talk About When We Talk 'About Love': Carver and

Chekhov," Journal of the Short Story in English(28 Spring 1997) Online since 15 July 2008, Web. 4 Aug. 2009 <http: //jsse.revues.org/index83.html>.

[21] - Jeremy Robert, Bailey, Mining for Meaning: A study of Minimalism in American Literature, A Doctoral Dissertation (Texas Tech University, December, 2010)8.

[22] - Robert C, Clark, "Keeping the Reader in the House: American Minimalism, Literary Impressionism, and Raymond Carver's 'Cathedral'," Journal of Modern Literature 36.1 (2012): 104+, Literature Resource Center. Web. 3 Sept. 2015. <http://go.galegroup.com >

[23] - Charters, Ann, ed, The Story and Its Writer (3rd ed. Boston: Bedford, 1991) 1595(qtd. in Hallet, "Minimalism").

[24] - Abrams, Linsey. " A Maximalist Novelist Looks at Some Minimalist Fiction." Mississippi Review 40/41 (Winter 1985): 24-29) 24.

[25] - Hallett, Cynthia J. "Minimalism and the short story." Studies in Short Fiction 33.4 (1996): 487+. Literature Resource Center. Web. 29 Aug. 2015. <http://go.galegroup.com>

[26] - Hallett 4.

[27] - Hallet 12.

[28] - Bailey 13-14

[29] - Jo, Sapp, "Interview with Amy Hempel"(Missouri Review 16 (1993): 75-95). 82-83

[30] - Hallett, Cynthia J. "Minimalism and the short story"(Studies in Short Fiction 33.4 (1996): 487+) Literature Resource Center, Web. 29 Aug. 2015<http://go.galegroup.com>

[31] - Kim A, Herzinger, "Introduction: On the New Fiction" (Mississippi Review, Vol. 14, No. 1/2 (Winter 1985): 7-22) 17. U of Southern Mississippi. JSTOR. Web. 2 Aug. 2009 <http://www.jstor.org/stable/20115378>.

[32] - Herzinger 7.

[33] - Herzinger 7.

[34] - Herzinger 14.

[35] - George, Hovis, "Minimalism," The Companion to Southern Literature: Themes, Genres, Places, People, Movements, and Motifs. Ed, Joseph M. Flora et. al(Taylor. Baton Rouge: Louisianan State UP, 2002. 492-49) 493.

[36] - Bailey 3, Greaney 9.

[37] - Raymond Carver, Fires: Essays, Poems, Stories (New York: Vintage, 1984) 35.

[38] - Todd, Marshall, "20th-century American Short Story," Eds. Marshall Boswell, and Carl Rollyson, Encyclopedia of American Literature: The Contemporary World, 1946 to the Present, vol. 4, Revised Edition(New York: Facts On File, 2008)Bloom's Literary Reference Online. Web. 9 Dec. 2008 <http://fofweb.com >.

[39] - Raymond, Carver, No Heroics, Please: Uncollected Writings (New York: Vintage, 1992)184, (qtd. in Meyer, Carver 27).

[40] - Diane , Stevenson, "Minimalist Fiction and Critical Doctrine," (Mississippi Review, Vol. 14, No. 1/2 (Winter, 1985), pp. 83-89) University of Southern Mississippi, Web 2 December, 2015 <http://www.jstor.org/stable/20115388>.

[41] - Sam, Halpert, Raymond Carver: An Oral Biography (Iowa City: U of Iowa P, 1995)8.

[42] - G.P, Lainsbury, The Carver Chronotope: Inside the Life-World of Raymond Carver's Fiction(New York: Routledge, 2004)12.

References:

1- Abrams, Linsey. " A Maximalist Novelist Looks at Some Minimalist Fiction."
2- Mississippi Review 40/41 (Winter 1985): 24-29. Print.
3- Bailey, Jeremy Robert. Mining for Meaning: A study of Minimalism in American
4- Literature. A Doctoral Dissertation. Texas Tech University, December, 2010.
5- Beegel, Susan F. ed.. Hemingway's Craft of Omission: Four Manuscript Examples. Ann Arbor, MI: UM I Research Press, 1988.
6- Carver, Raymond. Fires: Essays, Poems, Stories. New York: Vintage, 1984. Print.
7- ---. No Heroics, Please: Uncollected Writings (New York: Vintage, 1992)
8- ---. What We Talk About When We Talk About Love. New York: Knopf, 1981. New York: Vintage, 1982. Print.
9- ---"Where I'm Calling From: New and Selected Stories. New York: The Atlantic, 1988. New York: Vintage, 1989. Print
10- --- Will You Please Be Quiet, Please? New York: McGraw-Hill, 1976. New York:

Vintage, 1992. Print.
11- Champion, Laurie."What We Talk About When We Talk 'About Love': Carver and Chekhov." Journal of the Short Story in English, 28 Spring 1997. Online since 15 July 2008. Web. 4 Aug. 2009 <http: //jsse.revues.org/index83.html>.
12- Charters Ann. ed, The Story and Its Writer . 3rd ed. Boston: Bedford, 1991.
13-Clark, Robert C. "Keeping the Reader in the House: American Minimalism, Literary Impressionism, and Raymond Carver's 'Cathedral'." Journal of Modern Literature 36.1 (2012): 104+.
14-Literature Resource Center. Web. 3 Sept. 2015. <http://go.galegroup.com >
15-Florczyk, Steven J. Ernest Hemingway: The American Red Cross, and the Great War.
16-Doctoral Dissertation. The Graduate Faculty of the University of Georgia. Athens, Georgia, 2011. Print.
17Greaney, Philip John. Less is More: American Short Story Minimalism in Ernest Hemingway, Raymond Carver and Frederick Barthelme. Doctoral Dissertation. Open University September 2005. Print.
18-Hallett, Cynthia J. "Minimalism and the short story." Studies in Short Fiction 33.4 (1996): 487+. Literature Resource Center. Web. 29 Aug. 2015. <http://go.galegroup.com>
19-Hemingway, Ernest. Death in the Afternoon. New York: Scribner's, 1932. Print.
20----. "Interview by George Plimpton, 1958." George Plimpton, ed., Writers at Work: The Paris Review Interview (2nd ser., New York: Penguin, 1963)
217-39. Print.
21-Hallett, Cynthia Whitney. Minimalism and the Short Story--Raymond Carver, Amy Hempel, and Mary Robison. Lewiston, New York: Edwin Mellen P, 1999. Print.
22-Hallett, Cynthia J. "Minimalism and the short story." Studies in Short Fiction 33.4 (1996): 487+. Literature Resource Center. Web. 29 Aug. 2015.
23-<http://go.galegroup.com>
24-Halpert, Sam. Raymond Carver: An Oral Biography. Iowa City: U of Iowa P, 1995. Print.
25-Herzinger, Kim A. "Introduction: On the New Fiction." Mississippi Review, Vol. 14, No. 1/2 (Winter 1985): 7-22. U of Southern Mississippi. JSTOR. Web. 2 Aug. 2009 <http://www.jstor.org/stable/20115378>.
26-Hovis, George, "Minimalism". The Companion to Southern Literature: Themes, Genres, Places, People, Movements, and Motifs. Ed, Joseph M. Flora et. al. Taylor. Baton Rouge: Louisianan State UP, 2002. 492-494. Print.
27-Hunter, Adrian. The Cambridge Introduction to the Short Story in English. New York: Cambridge UP, 2007. Print.
28-Lainsbury, G.P. The Carver Chronotope: Inside the Life-World of Raymond Carver's Fiction. New York: Routledge, 2004. Print.
29-Marshall, Todd. . "20th-century American Short Story." Eds. Marshall Boswell, and Carl Rollyson. Encyclopedia of American Literature: The Contemporary World, 1946 to the Present, vol. 4, Revised Edition. New York: Facts On File, 2008. Bloom's Literary Reference Online. Web. 9 Dec. 2008 <http://fofweb.com>.
30-Meshram, N.G. The Fiction of Ernest Hemingway. New Delhi: Atlantic, 2002. Print.
31-Meyer, Adam. Raymond Carver. New York: Twayne, 1995. Print.
32-Moreland, Kim. "Just the Tip of the Iceberg Theory: Hemingway and Sherwood Anderson's 'Loneliness'." The Hemingway Review 19.2 (2000): 47. Literature Resource Center. Web. 24 Apr. 2015<http://go.galegroup.com>.
33-Motte, Warren. Small Worlds: Minimalism in Contemporary French Literature. Lincoln: U of Nebraska P, 1999. Print.
34Lamb, Robert Paul. Art Matters: Hemingway, Craft, and the Creation of the Modern Short Story. Baton Rouge: Louisiana State UP, 2010. Print.
35-Poetry Foundation. "Raymond Carver: Biography," 14 Aug. 2015<http://www.poetryfoundation.org/bio/raymond-carver>
36-Putnam, Tomas. Hemingway on War and Its Aftermath. Spring 2006, Vol. 38, No. 1
37-<http://www.archives.gov/publications/prologue/2006/spring /hemingway.html>.
38-Sapp, Jo. "Interview with Amy Hempel." Missouri Review 16 (1993): 75-95. Print

40-Schumacher, Michael. "After the fire, into the Fire: An Interview with Raymond Carver." Conversations with Raymond Carver (Literary Conversations Series). Ed. Raymond Carver, et al. Mississippi: UP of Mississippi, 1990. 214-237. Print
41-Stevenson, Diane "Minimalist Fiction and Critical Doctrine." Mississippi Review, Vol. 14, No. 1/2 (Winter, 1985), pp. 83-89. University of Southern Mississippi Web 2 December, 2015
42-<http://www.jstor.org/stable/20115388> .
43-"The 1920s: Prosperity and Cultural Tensions." World War I and the Jazz Age. American Journey Online. Woodbridge, CT.: Microfilm, 1999. Student Resource Center - Gold. Web. 6 Mar. 2010 <http://find.galegroup.com>.
44-Wood, Naomi. Mrs Hemingway: A Novel. What Was Lost: Manuscripts and the Meaning of Loss in the Work of Ernest Hemingway. Critical Thesis. Doctoral Dissertation. University of East Anglia, Doctorat Thesis. October, 2013. Print.

Applications and Websites for Writing the Literature Review

BENNACER Fouzia
Department of Foreign Languages, Mila University Center/ Algeria
f.bennacer@centre-univ-mila.dz

LOUNIS Maha
Department of Foreign Languages, Mila University Center/ Algeria
m.lounis@centre-univ-mila.dz

Received: 12/09/2021 **Accepted: 12/12/2021** **Published:31/12/2021**

Abstract:

The present research aims to familiarize EFL learners and researchers with some beneficial applications and websites that can be used in the different steps of writing the literature review of dissertations. The selection of the applications and websites described hereby is based upon a survey distributed to EFL learners/researchers and through which they distinguished the ones they are familiar with from those they do not use. Consequently, the researchers decided to portray the ones that learners ignore to arouse their awareness and academic benefit.

Keywords*: Applications, Websites, Literature Review, EFL researchers, Dissertation writing.*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تعريف متعلمي اللغة الانجليزية كلغة أجنبية والباحثين في نفس المجال على بعض التطبيقات المفيدة والمواقع الالكترونية التي يمكن استخدامها في الخطوات المختلفة لكتابة الجانب النظري من رسائل البحث. ويستند اختيار التطبيقات والمواقع الالكترونية المذكورة في هذا البحث إلى دراسة استقصائية وزعت على متعلمي اللغة الانجليزية كلغة أجنبية والباحثين في نفس المجال، ميزوا من خلالها بين التطبيقات والمواقع التي يعرفونها عن تلك التي لا يستخدمونها.ونتيجة لذلك ، قرر الباحثون التركيز على تلك التي يتجاهلها المتعلمون لتوعيتهم وزيادة منفعتهم الأكاديمية.

الكلمات الرئيسية: التطبيقات ، مواقع الإنترنت ، الجانب النظري، باحثي اللغة الانجليزية كلغة اجنبية ،كتابة الأطروحة.

1. Introduction

Writing the literature review is a crucial step in writing dissertations; it reflects the researchers' background knowledge related to the topic of study together with the significance of the topic itself, it does not only present previous studies in the field but it also helps researchers develop their own arguments, their sense of reflection with the ability to think critically. However, despite its paramount importance, researchers should not waste much time writing the literature review, instead they should focus on the study itself. Thus, researchers need to find suitable related information to back up their research without committing plagiarism, and without wasting much time and energy. This can be reached through resorting to the use of the rapidly developing technologies, in general, and computer applications and websites, in particular.

2. Background to the Study

In research methodology, the phrase 'Literature Review' or 'Review of Literature' refers to the act of synthesizing and organizing the knowledge available in a particular area or field of investigation to back up the study in hand, to well define the research problem, and to be critical, creative and original. Henceforth, a failure in reporting previous literature would result in shallowly work which is unsignificant. In this sense, the significance of the literature review lies in directing researchers in their study, updating their information about the existing literature, helping them to avoid replication yet to benefit from others' experiences to set both the problem and the rationale of study (Dawson, 2002; Singh, 2006). Multiple sources may be used to write the literature review, they include: books and text-books material, periodicals, abstracts, Encyclopedias, Handbooks, specialized dictionaries, ERIC (Educational, Research Information Centre), dissertations and theses, newspapers… (Singh, 2006 pp. 40- 43). The literature review most of the time appears as a separate section at the beginning of the thesis, yet, it could be integrated throughout the paper (McKay, 2006).

Steps or phases of the literature review include gathering data, combining resources, and polishing.

1. *Gathering Data*; this phase includes searching, finding and identifying material that is relevant to the field of investigation, then reading it with more focus on the parts with which the researcher is not familiar. This phase could be further described in terms of specific procedures. First, researchers have to develop a deep understanding of the field of investigation, in general, and the variables of the study, in particular, through looking for the meaning and the

nature of the concepts and variables in general sources (Singh, 2006). Second, empirical research of the area should be reviewed through consulting "handbook of research, Encyclopedia of Educational Research, the Review of Educational Research and International Abstracts for more up to-date findings" (Singh, 2006 p. 38).

However, researchers should be aware of the fact that some information available over the internet can be incorrect and misleading, and therefore, should test its reliability through using trustful websites, checking the section 'about us' to find about the creator of the website, and use original and other sources to check the information (Dawson, 2002; Booth et al. 1995). By this stage, researchers would gain specific details and form a clear vision in the field. However, researchers should develop skills of skimming and scanning to be able to read at high speed.

2. *Combining Resources*; this phase comprises the actual writing of a report that is beneficial for both the researcher and the reader; the former establishes a background for his research work, and the latter benefits from a summary of the findings in a particular area of research. Similar to the previous phase, specific procedures can be tracked in this phase. First, researchers should take notes systematically using cards; each entry should be recorded separately, content on one side of the card, and the reference with complete bibliographic data on the other side of the card. Details about quoted passages, instances of paraphrasing and summarizing should be carefully and clearly noted (Booth et al., 1995; Singh, 2006). Then, they should select only useful and necessary notes to be reported precisely. The latter is a creative and difficult task, and to accomplish it successfully, researchers need to develop a criterion to organize and classify the notes, for example, on the basis of variables of the study, studies with similar findings… The last procedure in this phase requires researchers to summarize in brief the whole knowledge to give a global picture of the available studies in the field, and relate them to their own studies (Singh, 2006).

3. *Polishing*; as a concluding phase, the literature review should be evaluated. In this vein, Mackey & Gass (2005 pp. 310-311) suggested a number of questions that can be used for such an evaluation:

- Are all relevant studies surveyed?
- Does the review provide an accurate and objective summary of the current state of the art and the theoretical framework of the study?
- Does the review present readers with enough background to understand how the study fits in with other research?

- (…) are any organizational changes or new inclusions to the literature review necessary to better contextualize the discussion of the results?
- Is the literature review relevant; that is, are studies that are peripheral to or irrelevant to the research question excluded?

Besides evaluating the content, the language used should be likewise reconsidered and reviewed. The latter can be done through self-evaluation, computer-assisted or peer-reviewing. It includes scrutinizing possible redundancy, sentence structure, verb tense, etc. in addition to verifying the inclusion of the used references and sources and citing them appropriately to avoid falling in plagiarism.

3. The Study

3.1. Description of the Survey

Data for the present study were collected through the use of a survey that was designed to investigate the websites and the applications with which master students and researchers are familiar, and to distinguish them from those they do not use. The survey is divided into three sections: section one addresses the participants' personal information, the second section investigates the participants' perceptions on computer use in research and academic writing. The last section presents a list of useful websites and applications that can be used in each step of writing the literature review; participants were required to select the ones they usually use among the list.

The survey was distributed to students and teachers through google forms via the link: https://docs.google.com/forms/d/e/1FAIpQLScaOQMe1Ed360V7iPKHJbHWk-Wn8NliH6bFLIRPvOmVRcGNRw/viewform?usp=pp_url

A number of 100 researchers responded and their answers are analysed in the following section.

3.2. Analysis of the Survey

The participants were all familiar with doing research. 54% of them are teachers and 46 % are students. They either affiliate to a university or a research laboratory.

Asking the participants whether they use computers in research or not (Q1), the overwhelming majority responded positively (91%). The rest, however, responded negatively (09%). Querying about the extent to which computers help in facilitation research (Q2), all participants who responded positively agreed that they help to a great extent. Question three asks about the participants' reliance on applications and websites in writing literature reviews, 81% of the respondents reported that they use them whereas 19% reported the opposite. The last question

of section two inquiries about the phase of writing the literature review in which the participants would like to receive applications and website tutorials. Participants could choose more than one option from the suggested list. Answers varied according to the following table:

Table 1. Participants' need for tutorials on applications and websites

Phase of literature review	**percentage**
Referencing/ citation	76.2%
Gathering information	66.7%
Combining Resources/ Actual writing	66.7%
Checking grammar and plagiarism	66.7%
Writing bibliographies	42.9%

Accordingly, referencing and citation scored the highest percentage indicating that it is the phase where researchers face much difficulty. Gathering information, combining resources and writing in addition to checking grammar and plagiarism were equally chosen by 66.7% of the participants. This indicates that these phases are no less difficult than the former as they also require training and corresponding tutorials. Writing bibliographies was the least opted for option, yet, with a significant percentage itself (42.9%).

Hence, participants' answers showed that they face difficulties with all the steps of writing the literature review in approximate percentages although referencing and citation stand out at the top reflecting the participants' need for tutorials on computer applications and websites related to all steps of writing reviews of literature.

The last section of the survey shed light on some applications and websites and participants' familiarity with them. The respondents' answers are manifested in the following table:

Table 2. Participants' familiarity with some applications and websites

Phase of research	Applications/ websites	Percentage
Gathering data	Google Chrome	100%
	Mozila firefox	68.2%
	Internet explorer	59.1%
	Opera	59.1%
	Google Scholar	54.5%
	Academia.edu	59.1%
	Research Gate	50%
	JSTOR	22.7%
	Project MUSE	4.5%
Combining resources	Calibre	4.5%
	Adobe Acrobat Reader	68.2%
	Ref me	9.1%
	Cite this for me	27.3%
	Microsoft word reference	45.5%
	Mendeley	9.1%
Polishing	Microsoft word grammar correcting tools	50%
	Grammarly	36.4%
	Plagiarism checker X	45.5%

Thus, it can be claimed that the applications and websites that are common to researchers are: the browsers Google Chrome, Mozilla Firefox, Internet explorer, Opera and websites Academia.edu, google scholar, and Adobe Acrobat Reader.

Participants reported less familiarity with Plagiarism checker X, Microsoft word grammar correcting tools, Microsoft word reference, Research Gate.

The least familiar applications and websites to the participants are: Project MUSE, JSTOR, Calibre, Ref me, Cite this for me, Mendeley, Grammarly.

3.3. Presenting the Least Common Applications and Websites

3.3.1. Project MUSE

It is an online non-profit database of peer-reviewed academic journals and electronic books for humanities and social sciences. For 25 years, Project MUSE has been a trusted and reliable source of complete, full-text versions from over 250 university presses and scholarly societies around the world. Currently,

Project MUSE has over 700 journals from 125 publishers and offers nearly 70,000 books from more than 140 presses. MUSE's online journal collections are available on a subscription basis to academic, public, special, and school libraries. It is a website which you can browse by authors, titles, journals…
To get access to Project Muse, connect to the website https://muse.jhu.edu/ , and subscribe.

3.3.2. JSTOR:

It is a digital library founded in 1995 in United States, it encompasses books and other primary sources as well as current issues of almost 2,000 journals in the humanities and social sciences. Most access is by subscription but some of the site is public, content is available free of charge.
To benefit from it, connect to www.jstor.org and subscribe to have an account and password. You can read online as you can download content.

3.3.3. Calibre

Calibre is a free downloadable application that serves as an e-book manager. It can be used easily to browse books using covers, titles, tags, authors, publishers, etc. It can display, edit, create and convert e-books to dozens of file types with the ability of detecting the format that best suits the device on its own, besides giving readers or users the opportunity of editing or creating metadata in existing or new fields, for instance, adding comments about the book, changing the book's style, creating a table of contents or improving punctuation and margins. Moreover, Calibre can be used to store and organize available e-books into virtual libraries with the possibility of coordinating them a variety of e-readers.

The use of such an application is not complicated, just type 'Calibre' onto Google and click on the 'Download' hyperlink. Then, click on "download Calibre desktop". Next, follow the instructions and the application will eventually be installed. For more practical utility, Calibre can be taken on a USB to be used everywhere (https://calibre-ebook.com/about).

3.3.4. Cite This For Me (formerly Ref me)

Besides giving credibility to the information mentioned in the literature review, crediting the originator of the information, and helping others follow up in case they need further detailed information, formal citation of sources provides evidence of research progress and helps researchers-mainly novices- avoid plagiarism as well. For citing in an easy and appropriate manner, researchers may help themselves with Cite This For Me. The latter is a Google Extension found in the Chrome Store that helps researchers with all types of citation be they citing a website, book, video, online image, or something totally different. It automatically creates website citations in the APA, MLA, Chicago, or Harvard referencing styles.

To use it, type Cite This For Me on google, then click on the "add extension" hyperlink which sits in the task bar. When researchers find a website they want to use for research, they simply click on Cite This For Me, and it creates a citation in the format they select be it APA, MLA, Harvard or Chicago format, then all what they have to do is copying it on the reference list (https://www.citethisforme.com/fr).

3.3.5. Mendeley

Mendeley Reference Manager is a free web and desktop reference management application. Instead of wasting time to write the reference list, Mendeley helps researchers simplify their reference management workflow. When clicking on the create refence option, Mendeley gives alternatives to choose the citation style, then it will automatically connect to the net to creates the citation, as it can add some important information (author name, year, volume, issue….). Furthermore, Mendeley can save the used citations, to insert them later on in the bibliography.

There are two ways to insert citations with Mendeley, either through working within Word document or initiating a Mendeley library. In other words, Mendeley Reference Manager allows the user to store, organize and search all references from just one library. Henceforth, the researchers can read, highlight and annotate PDFs, and keep all thoughts across multiple documents in one place besides collaborating with others through sharing references and ideas.

To benefit from the services that this application provides, the user has to type "Mendeley" onto google and click on the "download" hyperlink. Then, click

on "download Mendeley desktop". After following the instructions, the application will be eventually installed.

3.3.6. Grammarly

Grammarly is an easily used grammar checker and proofreading tool, it does not only check spelling, punctuation, grammar, and sentence structure, however, it offers real-time assistance to improve content's clarity, cohesiveness, fluency, as well as vocabulary. Once downloaded, it automatically analyzes writing and flags the words, phrases, or sentences that need correction or improvement; incorrect words or phrases are underlined with the red while those which need improvements are underlined with the yellow. In this vein, it proposes suggestions for better word choice, sentence construction, etc. Thus, users can refine the content's quality and improve their writing skills simultaneously.

Moreover, Grammarly imbeds a Plagiarism Checker, Human Proofreader and a Handbook. The first compares content through academic databases and more than 16 million web pages to make sure that what has been written is original. For further work polishing, the second tool affords human intervention through which Grammarly's professional proofreaders can check the work. Last, Grammarly's handbook manifests the basics of sentence constructions helping its users deal with more complex elements and mechanics of composition as it can be used as a reference (https://financesonline.com/how-does-grammarly-work-a-comprehensive-guide/).

3.3.7. Plagiarism checker X

Plagiarism Checker X helps researchers check duplication issues in their papers. They can easily check for content similarity, find the original sources and correct citations. To use such an application, first researchers have to download the application for free and install it on the desktop. Then, upload the file in the library and test the similarity index against the other texts available online. After few seconds, the final results come out with highlighted plagiarized contents. Along with the duplicated content, the users can view the sources which have similar parts and texts. Consequently, the researchers may remedy their writings and come up with a new non-plagiarized paper.

Conclusion

This paper manifested few applications and websites linked to each step of writing the literature review, so that researchers can move through their dissertation writing fast and spend less efforts, yet with satisfying results. However, the list of applications and websites provided hereby is not an exclusive one, rather others can be very helpful since technology is continuously and rapidly expanding.

References

Booth,W.C., Colomb,G.G., Williams, J.M. (1995). *The craft of research* (2nd ed). University of Chicago.

Dawson,C. (2002). *Practical research methods: A user-friendly guide to mastering research*. How To Books.

Mackey,A & Gass,S.M. (2005). *Second language research: Methodology and design*. Lawrence Erlbaum Associates, Publishers.

McKay, S.L. (2006). *Researching second language classrooms.* Lawrence Erlbaum Associates, Inc., Publishers.

Singh, Y. K. (2006). *Fundamental of research methodology and statistics.* New Age International Publishers.

https://www.citethisforme.com/fr

https://calibre-ebook.com/about

www.jstor.org

https://muse.jhu.edu/

https://financesonline.com/how-does-grammarly-work-a-comprehensive-guide/

https://www.elsevier.com/solutions/mendeley

https://plagiarismcheckerx.com

البعد التّداولي في البلاغة الجديدة عند محمد العُمَري
من خلال كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي"

The pragmatic dimension in the new rhetoric of Muhammad al-Omari Through his book "The Rhetoric of Persuasive Discourse"

ط.د.أحلام سعيدي 1 / **جامعة الجزائر**2 .(**الجزائر**)، ***ahla30699@gmail.com***

تاريخ الاستلام: 06 / 05 / 2021 تاريخ القبول: 09 / 09/ 2021 تاريخ النشر: 31 / 12 / 2021

ملخص

رغم أن الدرس البلاغي القديم وصف بالثري في مجمله، واعتُبِر منبعا خصبا للدارسين إلى يومنا ؛إلا أنه كانت هناك دعوات لتجديده وربطه بما استجد في الدراسات الحديثة، من بينها التداولية التي ترتبط ارتباطا مباشرا بالبلاغة مما يحتم استفادة كل مجال من الآخر. هذا التقاطع بين كل من البلاغة والتداولية والعلوم الأخرى كاللسانيات والسيمياء قد اصطلح عليه البلاغة الجديدة، وقد اختص به كثير من الباحثين الغرب والعرب كذلك، من بينهم محمد العمري وعليه تتطرق هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن الأبعاد التداولية في كتابه " بلاغة الخطاب الإقناعي"في محاولة لإبراز هذا التقاطع بين العلمين.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، البعد التداولي، الخطاب، الإقناع

Abstract:

Althouth the old rethorical lesson was described as rich in its entirery and considered a fertile souece for scholars to this day, there were calls to renew it and lin kit to what has been new in recent studies, including deliberative, wich are directly related to rhetoric, wich necessitates the benefit of each field from the other and this intersection between both rhetoric and deliberative even with other sciences such as linguistics and semiotics have been termed new rhetoric, and many researchers have specialized in the west and arabs as well, among them Mohammed Al- omari and on this study deals with trying to reveal the paragmatics dimensions in his book the rhetoric of persuasive speech in an attempt to highlight this meeting the two scienses.

Keywords: *rhetoric,speech, paragmatics dimensions,persuasion*

.

[1] **المؤلف المرسل:** ط.د.أحلام سعيدي ، **الإيميل:** ***ahla30699@gmail.com***

مقدمة:

لطالما شكلت البلاغة دعامةً أساسيةً للتّراث العربيّ القديم ومرجعًا يعود إليه الدّارسون للبحث عن قراءة جديدة لهذا العلم وجعله يتماشى مع المنابع الفكرية المعاصرة كاللسانيات والسيمياء والتّداولية وغيرها، «ونظرًا لارتباطها باستعمال اللغة وما ينتج عنها من صور وأساليب متباينة الأغراض، فقد وجدت البلاغة طريقها في التّداولية لإبراز العلاقة بين المتخاطبين وكيفية تشكيل السياق الخطابي استنادا إلى جميع الأوضاع المؤثرة في توجيهه وجعله في مستوى المقام المحيط به»[1]، وإننا نحاول في هذا المقال عقد صلة بين التّداولية والبلاغة العربية من خلال البحث عن تجليات الأبعاد التّداولية في كتاب "بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العُمَري والذي يعتبر أحد أهم رواد البلاغة الجديدة في المغرب والعالم العربي ككلّ، وأحد الذين صرفوا جهودهم في تجديد الدّرس البلاغي العربي مُسترشدًا في ذلك بالتّجربة الأوروبية في هذا المجال.

تمكن الدكتور محمد العمري من بناء مشروع جديد في البلاغة العربية تتبع من خلاله الموروث البلاغي القديم في مختلف مستويات تشكله ومراحل تطوره وعمل على إعادة صياغته من منظور حديث يرمي إلى وصف الخطابات والأجناس الأدبية وكل الاستخدامات اللغوية في ضوء الاتجاهات المعاصرة، «وقد أكد من خلال هذه المقاربة النسقية أنّ فهم السابق رهين باستيعاب اللاحق، فلم تعد البلاغة عنده ضربا من التنميق الجمالي للخطاب فقط، ولا مستوى من التحليل الأسلوبي والتركيبي للنصوص الشعرية والنثرية، ولا هي ذلك التصور المعياري المختزل الذي اقترحه السكاكي ومن تبعه من حيث هي مجموعة من الصور البيانية وقواعد علم المعاني وعلم البديع، بل هي أوسع من ذلك، ولا يمكن تقنينها في أبواب أو نماذج مختزلة فهي تتسع لكل الطاقات التعبيرية والمناهج المستحدثة»[2].

و قد تشكلت أسس هذا المشروع وقامت لبناته عبر البحث في مستويات متعددة، فبعد اطلاع معمق في التراث البلاغي اتجه العمري إلى إغناء هذا الاطلاع برؤى جديدة وتصورات تنفتح على النظريات الحديثة التي اتجهت إلى ربط البلاغة باللسانيات والسيمياء لتنتهي عنده في دروب نظريات التداولية والحجاج، ويظهر ذلك من خلال أعماله الكثيرة التي نذكر منها:« "البلاغة والأسلوبية"، " البلاغة أصولها وامتداداتها"، "البلاغة بين التخييل والتداول"، إضافة إلى كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي"»[3] الذي هو محور دراستنا هذه، وكان هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الاحتكاك التي ربطت البلاغة بالبعد الإقناعي الذي كان مغيبا في البلاغة الكلاسيكية، والكتاب يستند في متنه الخطابي على آراء أرسطو وما جاء في كتابه الخطابة وقد عمل العمري على تطبيق هذا التصور البلاغي على الخطابة العربية في القرن الأول للهجري مجتهدا في كشف آلياتها التداولية التي تميزها عن الشعر كما أورد العديد من الأمثلة التي سيقت في هذا المجال، فما هي أهم الأبعاد التداولية في هذا الكتاب؟

أولا:عناصر التداولية:

سنحاول فيما يلي الكشف عن دور كلّ من المتكلّم والسامع والخطاب والمقام من منظور العمري وذلك في إطار الكشف عن الأبعاد التداولية عنده.

1- المتكلّم:

للمتكلم دور بارز في البلاغة العربية بوصفه منتج الخطاب وباعثه، وهو الذي يحدد دلالاته ومقاصده ويسميه العمري بالخطيب، حيث جاء في كتابه:« فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيرا بالدراسة

النفسية والأخلاقية للمرسل والمتلقي، فإنّهم حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان المقام والحال ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه وأن يراعيه من أحوال المستمعين»[4]،ويشير العمري هنا إلى أهمية طرفي الخطاب، المرسل والمتلقي في البلاغة العربية ويؤكد على دور المرسل أو ما يسمى عنده بالخطيب، فهو ليس مجرد متكلم عادي، وعليه التحلي بعدة مواصفات في مراعاة أحوال المستمعين، والتي يحددها قائلا أنّه « ينبغي عليه أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[5]، وهنا يبين العمري أنّ على المتكلم أن يكون عارفا بأحوال المستمعين وأقدارهم من أعمار وطبقات وغيره، وأن يكون خطابه ملائما لظروف التخاطب ومقامه، كما يضيف مسترسلا أنّ الخطيب يجب أن تتوفر فيه الفضيلة والفطنة والتلطف وأن يعرف الأحوال النفسية والعاطفية لمستمعيه حتى يوحي بالثقة إلى من يسمعه فيقول في ذلك:« ولما كان الحكم هو موضوع الخطابة فليس من الضروري فقط أن تجعل الخطبة نفسها برهانية ومقتنعة بل يجب أن يظهر الخطيب نفسه على أنّه على خلق معين وأن يبدو مالكا لبعض الخصال المعينة وأن يظن السامعون أنّه متهيئ على نحو ما اتجاههم، وأيضا أن يكونوا هم متهيئين على نحو معين»[6].

2- المستمع:

وله أهمية لا تقل عن أهمية المتكلم، وإن كان هذا الأخير هو منشئ الخطاب ومنتجه ويسمه بكثير مما يميزه، فإنّ السامع هو من ينشأ من أجله الخطاب ومن خلاله تتضح المقاصد والمعاني، وكثيرا ما تحدث العمري عن هذا الطرف عندما تعرض لخطابات الفلاسفة والمفسرين والبراهين المقدمة التي أقيمت لتوجه لإخبار السامع أو الخطاب وإقناعهم، وقد صنف المخاطبين(المستمعين) الذين يلقى إليهم الخبر على ضوء مقتضى الحال إلى ثلاثة أصناف:[7]

1- مخاطب خالي الذهن.

2- مخاطب شاك متردد.

3- مخاطب جاحد منكر.

وتتصاعد درجة تأكيد الخطاب حسب هذا الترتيب، وقد يوضح كلّ واحد منهم مكان الآخر حسب الملابسات التي يحددها المقام، وقد أولى أرسطو في كتابه الخطابة اليونانية مكانة بارزة للمخاطب تجاوزت مجرد التلقي إلى الحكم على الخطاب، وقد نص كلامه في ذلك قائلا:« أنواع الخطابة ثلاثة تتناسب مع السامعين لأنّ كل خطبة تتألف من ثلاثة عناصر، الخطيب والموضوع الذي يتناوله والشخص الذي يوجه إليه الخطاب وأعني السامع الذي إليه تحيل الغاية أو الهدف من الخطبة أمّا السامع فهو بالضرورة مجرد مشاهد أو قاض، والقاضي إما أن يحكم على الأمور الماضية أو على الأمور المقبلة»[8]، فموقف أرسطو من السامع هنا هو مستقبل الخطاب وعليه فهمه وفهم المقاصد التي ينويها المتكلم والحكم عليها فإما الأمور الماضية على ما قاله بالرفض والقبول أو النقد أو الأمور المقبلة كأن يضيف عليها أو يعقب لأمور أخرى.

3- الخطاب:

وفي مدار حديثه عن الخطاب ، تناول العمري هذا المصطلح مشيرا إلى بعض معانيه التي وردت في المعاجم العربية، فيقول:« الخطاب من مادة [خطب] وهو يعني:

- الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة صغر أو عظم، فيقال خطب وخطوب. – المواجهة بالكلام أو مراجعة الكلام وهما الخطاب والمخاطبة، والمخاطبة مفاعلة من الخطاب، والخطابة مشاركة في فعل ذي شأن وهو تعريف يتجه نحو وظيفية الخطابة التي يعرفها أرسطو" الريطورية" وهي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأمور، أي أنّها ملكة اكتشاف وسائل الإقناع الممكنة بالرجوع إلى الموضوع أيا كان»[9].
وقد ذكر العمري أنّ عناصر بناء الخطابة عند أرسطو ثلاثة وهي:[10]

1- وسائل الإقناع أو البراهين.

2- الأسلوب أو البناء اللغوي.

3- ترتيب أجزاء القول.

ثم هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ومنهم البلاغيون عنصرا مستقلا ويتضمن الحركة والصوت، وهذه العناصر ليست قصرا على الخطب اليونانية دون الخطابات البلاغية العربية، بل تشترك فيها كل اللغات والحضارات غلى حدّ سواء، والشيء الذي يمكن أن يميز هندسة خطاب عن خطاب آخر هو فقط تمايز الموضوعات، فالخطاب السياسي غير الخطاب الاحتفالي وغير خطاب التعزية وهكذا، وذا ما يحيلنا إلى العنصر الأخير من عناصر التداول ألا وهو المقال أو مقتضى الحال.

4- المقام أو مقتضى الحال:

فقد اهتم البلاغيون العرب بالمقام، فأساليب المتكلم تتبع أغراض المتكلم ومقاصده وأحواله وظروف الكلام، فالتوجه التداولي في البلاغة الجديدة عند العمري يرى أنّه من الضرورة مناسبة الكلام للمقام وقصد المتكلم وحاجاته، مما يعكس الجانب النفعي في الخطاب، وفي هذا السياق فقد أورد العمري عن بشر بن المعتمر قوله:« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع مواقفه الحال وما يجب لكلّ مقام من مقال»[11]، وهو يبيّن هنا أنّه لابد على المتكلم من امتلاك كفاءة تداولية تعينه على معرفة المعنى العام من المعنى الخاص وكيفية توجهه بما يناسب المقام وأحوال السامع لكي يتم التواصل وتتحقق الفائدة والبراغماتية في خطابه، ويشير العمري إلى أنّ الدارسين العرب قد ساروا في دراستهم للخطابة إلى تصنيفها حسب موضوعاتها إلى دينية، سياسية واجتماعية كما يلي:

- مقامات الخطابة الدينية:

ويندرج ضمنها مقام التعليم كخطبة الرسول – ص- في حجة الوداع والتي حاول من خلالها نص مجموعة من التعليمات على المسلمين، ومقام الوعظ التي يقرن فيها الخطيب بين الوعد والوعيد، إضافة إلى مقام المناظرات الذهبية حيث يكون المخاطب معتمدا على الحجج والبراهين العقلية والنقلية لإقناع المستمعين[12].

- مقامات الخطابات السياسية:

وهي تصنف حسب العلاقة بين الخليفة ومحاوريه، والحوار هنا قسمان إما بين الراعي والأنداد، وإما بين الراعي والرعية وهنا يقل الحجاج وتسود فيها المواعظ من وعد ووعيد وغيرها[13].

- مقامات الخطابة الاجتماعية:

وتتمثل إما في التنظيم الاجتماعي، ويضم خطب الأملاك والصلح والمخاصمات القضائية ويعتمد الحجة المقتنعة والتأثير بالأسلوب وأما الوجدانية فالاعتماد على الاستمالة أكثر من الحجة غالبا[14].

ثانيا: الحجاج:

يعد الحجاج آلية تداولية حديثة تسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج التي يقدمها المتكلم إلى السامع في خطابه ليحاول إقناعه والتأثير فيه، وتحديد مفهوم الحجاج يختلف ويتنوع، غير أننا سنعرض لمحددين أساسين اتفق عليهما كلّ من درس الحجاج، «الأول كونه خطابا إقناعيا، أي أنّ هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد، والمعيار الذي يحدد به الحجاج هنا هو الوظيفة الكلية للخطاب، فالنص الحجاجي لا يمكن أن يعرف من خلال خصائص شكلية لغوية، إذ أنّه يمكن أن يتواجد مع الوصف أو مع السر أو مع الشعر أو مع غيرهما بل من خلال وظيفته.

ويعرف الحجاج في محدده الثاني بأنه البعد الجوهري في اللغة ذاتها مما ينتج عن ذلك أنّه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإنّ ثمة إستراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا إما لإقناع أنفسنا وإما لإقناع غيرنا»[15]، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته وهي تستمد خصوصياتها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا، هذا حسب رؤية بعض الدارسين لمفهوم الحجاج، أما محمد العمري فالحجاج عنده هو ما يسميه "الخطاب الإقناعي" والذي حاول في كتابه كتابه "بلاغة الخطاب الإقناعي" أن يتبع الحجاج وصوره في المتن الخطابي العربي في القرن الأول للهجري، معتمدا في ذلك على الأسس الأرسطية التي جاء بها أرسطو في خطابته أو الخطاب على العموم، وفي حديثه عن الحجج والبراهين فإنه يصنفها مقتبسا عن أرسطو:« أما التصديقات فبعضها غير صناعية وبعضها صناعية وأقصد بالأولى تلك التي لم نأت نحن بها، بل كانت موجودة من قبل مثل الشهود والتعذيب والصكوك وما أشبهها، وأقصد بالثانية كلّ ما يمكن إعداده بالحيلة وبمجهودنا، وهكذا ما علينا إلاّ الاستفادة من الأولى بينما الثانية فيجب علينا اكتشافه بأنفسنا»[16]. ويتضح لنا من خلال قول أرسطو السابق نوعين من الحجج، أما الأولى فهي الحجج الجاهزة أو ما يسميها غير المصطنعة وأعطى أمثلة على ذلك كالشهود والاعترافات تحت التعذيب والشهود والقوانين ومنها أقوال الحكماء والأمثال وما إلى ذلك، أما الحجج الثانية فهي مصطنعة ومستكشفة وهي من ابتكارنا وابتداعنا ، ويجب أن تكون منطقية وموضوعية ومناسبة للحالة المطلوبة أو المقام بصفة عامة كسرد قصص تاريخية أو خرافية أو عن طريق القياس المضمر وغير ذلك.

وقد خصص العمري الفصل الثالث لكتابه للحديث عن صور الحجاج مقسما إياها إلى القياس، المثال، الشاهد في دعوتها العقل إلى الانسجام مع مبادئه أو مع العالم الخارجي المحيط به من قيم ومواضعات اجتماعية ورصيد ثقافي ونصوص مقدسة وتشريعات وقوانين ومصلحة عامة[17].

1- القياس (أو القياس الخطابي):

وهو القياس المضمر القائم على الرأي وعلى هذه الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، وهو غير القياسات المنطقية القائمة على الاستنتاج العلمي الصارم[18]، وقد أورد العمري مجموعة من النماذج من هذه الأقيسة الخطابية، فقال:«جاء عن الأحنف بن قيس أنه قال لمعاوية" أخافك إن صدقتك، وأخاف الله إن كذبتك"»[19]، فهنا تعارض وتضاد فإن صدق في قوله لمعاوية فإنه يخاف غضبه منه ، وإن كذب عليه فإنّه

يخاف غضب الله وغضب الله أكبر من غضب العبد، كما يورد مثال آخر عن التضاد عند أرسطو " إذا كانت الحرب سبب الشرور الحاضرة، فبالسلم يجب إصلاحها"[20]، فالعبارتين السابقتين متضادتين (الحرب والسلم) و إلى غير ذلك من أنواع البراهين والأقيسة المضمرة التي يمكن ذكرها في هذا السياق.

2- المثل:

وهو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حاتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، والمثل عند أرسطو تاريخي ومصطنع أو تشبيهي كالمثل الخرافي والذي تكون عادة شخصياته من الحيوانات مثلا ويقوم على الاستعارة والرمز بصفة عامة، أما المثل التاريخي فهو الذي يتناول قصصا تاريخية عن الأمم[21]، وقد انتبه الدارسون إلى أهمية المثل في الحجاج فهو وهو يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير، لذلك قال الله عز وجل: « ولقد ضربنا في هذا القرآن من كل مثل»[الروم:58] وجاء في قوله أيضا:« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»[الحشر:11]، وهنا يبين الله تعالى في آيته الكريمة دور المثل في إقناع عباده وحجاجهم بقدرته سبحانه وتعالى في الكون.

3- الشاهد:

وهو من الحجج الجاهزة أو غير الصناعية كما يسميها " أرسطو"، ويجمع الأمثال والأبيات الشعرية والآيات القرآنية ويذكر العمري أنّ لهذه الأخيرة ثلاث استعمالات في الخطابة العربية القديمة وتمثلت في:

- الاحتجاج لقضية مختلف فيها.

- تمثيل حالة مشابهة

- الاستئناس أو خلق الجو الديني في الخطبة، لتحقيق الإثارة وحسن الموقع في النفس[22].

كما أنّ العمري لم يكتفي بالحديث عن صور الحجاج بل تحدث أيضا عن الأسلوب قائلا :«إنّ الأسلوب الذي كان جزءا من بلاغة الخطاب عند اليونان يحتل الصدارة في البلاغة العربية التي لم تميز بين الشعر والنثر إلاّ في بعض الجوانب، مثل التزام الوزن أو التطرق إلى موضوعات دون أخرى »[23]، وتعود أهمية الأسلوب في نظر العمري إلى أنّ معظم الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر مما يتأثرون بعقولهم، « فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجة فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال ، بل يجب قوله كما ينبغي»[24]، وتجميل الأسلوب يكون حسب المقام والجمهور الذي يوجه إليه الخطاب وحسب نوع الخطاب مكتوبا كان أو شفويا أو حواريا، ويجب أن يراعي الموازنات الصوتية الإيقاعية والمقابلة بين المعاني والكلمات وترتيب أجزاء القول وفي هذا الصدد يقول أرسطو:« الكلام يتضمن جزأين، إذ لابد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة...وأولى هذه العمليات هي العرض والثانية هي الدليل وهذا يفضي إلى وضع تفرقة بين المسألة والبرهان»[25]، ويبين أرسطو في قوله السابق أن عملية الكلام أو إنتاج الخطاب هي عملية مرتبة ومتدرجة يستهلّ فيها الخطيب بعرض الموضوع ثم يأتي بمجموع الأدلّة المنطقية التي تثبته ليبرهن على آراءه.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نخلص إلى أنّ كتاب "بلاغة الخطاب الإقناعي" لمحمد العمري يعكس توجه صاحبه في رحاب البلاغة الجديدة التي ربطت بين البلاغة العامة بالإقناع الذي يعتبر فنا حجاجيا وتداوليا في

الوقت نفسه، ومن خلال دراستنا للكتاب بيّنا أنّ العمري قد استند فيه إلى مجموعة من الأبعاد التداولية، فمنها اهتمامه بعناصر التداول المرسل والمتلقي وكيفية تشكيل الخطاب الإقناعي الذي يوجهه الأول إلى الثاني والمقام الذي يحدد مقاصده، إضافة إلى اعتماده على المبدأ الحجاجي وهو بارز كثيرا في الكتاب، وقد تحدث فيه عن مفهوم الحجاج وآلياته وصوره والتي تمثلت في القياس والمثل والاستشهاد، ولم يكتف بذلك بل أشار إلى أهمية الأسلوب وطريقة ترتيب أجزاء الكلام ودورهما في التأثير والإقناع الخطابي، وكلّ هذا يثبت البعد التداولي عنده.

المراجع:

1- ينظر: بطاط أمينة، التداولية في البلاغة العربية(عبد القاهر الجرجاني أنموذجا)، مذكرة ماستر، الجزائر،2012،ص3.

2- أحمد كروم وآخرون، البلاغة العامة وآفاق تحليل الخطاب(قراءة في المشروع العلمي للدكتور محمد العمري)، مختبر الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش المغرب،2015،ص1.

3- www.medelomari.net

4- محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، دار إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، لبنان،ط2 ، 2002، ص21.

5- المرجع السابق نفسه، ص 32.

6- ينظر: المرجع السابق نفس، ص31.

7- المرجع السابق نفسه، ص35.

8- المرجع السابق نفسه، ص 38.

9- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 16.

10- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص20.

11- المرجع السابق نفسه، ص 32.

12- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص41،43،46.

13- ينظر: المرجع السابق نفسه،ص 51، 55.

14- ينظر: المرجع السابق نفسه،ص 63،64.

15- ينظر: كورنيلا فون راد- صكوجي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2003،ص13.

16- محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، ص24.

17- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص71.

18- ينظر: المرجع السابق نفسه،ص71.

19- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص74.

20- المرجع السابق نفسه، ص75.

21- المرجع السابق نفسه، ص82.

22- ينظر: المرجع السابق نفسه، ص93.

23- المرجع السابق نفسه، ص97.

24- المرجع السابق نفسه، ص97.

25- المرجع السابق نفسه، ص138.

قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد كروم وآخرون، البلاغة العامة وآفاق تحليل الخطاب(قراءة في المشروع العلمي للدكتور محمد العمري)، مختبر الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش المغرب،2015

- بطاط أمينة، التداولية في البلاغة العربية(عبد القاهر الجرجاني أنموذجا)، مذكرة ماستر، الجزائر،2012

- محمد العمري، بلاغة الخطاب الإقناعي(مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، دار إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، لبنان،ط2 ،2002

- كورنيلا فون راد- صكوجي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس،2003

3- www.medelomari.net

المكان السردي في القصة الأموية «وضاح وأم البنين»

"Narrative place in the Umayyad story "Wadah and Umm al-Baneen

دودية عبدالقادر[1] / جامعة بلحاج بوشعيب – عين تموشنت (الجزائر)، *Master-lmd@outlook.com*

تاريخ الاستلام: 10 / 10/ 2021 تاريخ القبول: 10/ 12 / 2021 تاريخ النشر: 31 /12 / 2021

ملخص

إن الأدب مرآة الأمة، والتاريخ شاهد على الهوية، وحافظ للتراث القومي، وما الأدب العربي إلا بطاقة عابرة إلى الضفاف تحليلا، تفتيشا وتنقيبا، شعرا كان أو نثرا، فكما أجاد اللسان في الشعر كذلك كان له نصيب في النثر من الريادة في المحافل والتجمعات.

لذلك كان على الباحث التفتيش في الرفوف على بطاقة نثرية تعود لحقب متقدمة من الزمن، وما له إلا أن يجد غنى الخزانة الأدبية. فالسؤال هل هذه الحقيبة موجودة؟

الكلمات المفتاحية: المكان- الفضاء- الحيز- القصة

***Abstract*:**

Literatureis the mirror of the nation, and historyis a witness to identity, and a preservation of the national heritage, and Arabicliteratureisnothing but a cardthat crosses the banks, analysis, search and excavation, whetherpoetry or prose, just as the tongueisproficient in poetry, soit has a share in prose from leadership in forums and gatherings.

Therefore, the researcherhad to search the shelves for a prose carddating back to an advancedperiod of time, and hecouldonlyfind the richness of the literarytreasury. The question is, doesthis bag exist?

Keywords: *place- space - space -story*

.

[1] **المؤلف المرسل**: دودية عبدالقادر ، **الإيميل**: Master-lmd@outlook.com

1- مقدمة:

يعتبر العصر الأموي عصر تجميع القصص كفن دعوي، فكان الإخباري منه والفخري البطولي، والوّعظيّ الديني، وكانت فيه غايات اجتماعية أخلاقية، وقد نقل المقريزي أن **"أول من قص في مسجد رسول الله ﷺ تميم الداري، استأذن عمر أن يذكّر الناس فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يذكر يومين في الجمعة فكان تميم يفعل ذلك"**[1]، وقد ساق الجاحظ[2] أسماء البارزين منهم، ومن أشهرهم:

الأسود بن سريع وهو أول من قص بالبصرة، وكان يقابله في الكوفة زيد بن صوحان، وفي المدينة عيد بن عمير، وكان عبد الله ابن عمر يتأثر بقصصه، ووعظه حتى إنه ليبكي من شدة تأثره، ومن القصاص أيضا إبراهيم التيّمي الكوفي، وسعيد بن جبير كان يقص بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر، ومسلم بن جندب قاص بمسجد المدينة، وذر بن عبد الله وكان بليغا، وهو الذي كان يقص في جند ابن الأشعث حاثا الناس على حرب الحجاج ومطرف بن عبد الله الشِخِير وكان يقص في مكان أبيه بمسجد البصرة، زمنهم وهب بن منبه ويزيد بن أبان الرقاشي[3] وغيرهم كثير، إلى أن قامت المعركة بين علي ومعاوية رضوان الله عليهم، فخرجت القصة من الوعظ الديني إلى التذكير بمآثر الحروب.

اتخذ الفن القصصي في العصر الأموي منحى مغاير عرف فيه تجميع القصص، فوضع ابن مفرغ الشاعر قصة تُبع وأشعاره، وعَرف ذلك الزمن "قصص الحب والغرام كقصة عاتكة وأبي دهبل الشاعر، وغرم زينب أخت الحجاج، وقصة وضاح اليمن وأم البنين"[4].

وقبل الحديث عن دلالة المكان في القصة الأموية، كان لازما علينا توجيه مصطلح تضاربت فيه الأقوال وتضارعت بين مصطلحات قيل أنها اتخذت شكلا مغايرا للدلالة التي يحملها المصطلح، ممّا لا ريب فيه أن «المكان» هو العنصر الرئيس والفعال في العمل السردي الروائي منه والقصصي، بل يراه الكثيرون أنه الهيكل الذي تقوم عليه باقي العناصر السردية الذي يحملها ويشكل وجودها، رئيسة كانت أم ثانوية، فيقدِّم الكاتب للمتلقي أحداثا زمنية وشخوصا مشكلة للعمل وغيرها، من العناصر التي يَبنيها الهيكل ويُحْدِث وجودها.

2- المكان- الفضاء- الحيز:

إن تقديم المكان في العمل الروائي والقصصي على نمطين: إمّا أن يكون حقيقيا واقعيا منبعه التجربة المعاشة، فيستقي منها الأحداث والشخصيات و...، وإمّا أن يكون من نسج الخيال فيتحرر من رِبقة الحتمية واللزوم، الذي تفرضه التجربة الواقعية ومعطيات الحياة فينسج خيالا واسعا في مكان اللاشعور، مُحدِثا سفرا عبر الزمن التخيلي.

يقول ميشيل بورتو:"إن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ؛ فمن اللحظة الأولى التي يفتح فيها القارئ الكتاب ينتقل إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ"[5].

تكاثرت الأقوال وتشعبت، وتضاربت المفاهيم وتعارضت، وشغل المصطلح المقال الواسع في تحديد النوعية، فكلمة المكان لها العديد من الدلالات واقتحمت الكثير من المجالات كعلوم الفيزياء والحركة، وعلوم الهندسة، والميتافيزيقيا...، يقول هنري متران "المكان هو الذي يؤسس الحكي؛ لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[6]،فالعمل الأدبي على حدِّ قول هلسا "حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"[7].

فالمكان في الصورة الفنية هو:" ذلك البيت الذي ولدنا فيه؛ أي بيت الطفولة، أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا"[8]، فالمكان:" ينفتح على مجال تخييلي مقيد تتأنسن فيه الكثير من صفاته

وخصائصه وأجوائه، وتأخذ بعدا بشريا إنسانيا بمعية الشخصية/الشخصيات التي تتحرى . عبره ومن خلاله وبواسطته . الكشف عن تشكيل سيرتها على نحو أو آخر"[9].

لعبت الترجمة في تحديد هوية المصطلح، بين رؤى منظري المصطلحات على حسب توجهاتهم الفكرية والنقدية، فكان المكان عند بعض والفضاء عند آخر والحيز عند ثالث والفراغ عند الرابع وهكذا، كما لم تسلم الدراسات الغربية من الخلاف في تحديد مصطلح المكان، فعُد مصطلح Lieu Place/ المكان والموقع وEspace /الفراغ.

إذا ما عددنا الفضاء أعلى من المكان في الدلالة، والمكان جزء منه، فقد قسم جيرار جينيت الفضاءات إلى أربعة أقسام: " فضاء اللغة، فضاء الكتابة، فضاء التعبير، فضاء الأدب" ويضيف حميد لحميداني فضاء آخر وهو الفضاء الجغرافي.

إن الفضاء الروائي يختلف من ناقد إلى آخر، ولكل مثقف رؤيته، إنه يتشكل من عوامل جغرافية، ثقافية وفكرية، كريشة الرسام في لوحته، وكرؤية هندسية في بناء مسكنه، وفق رؤى العالم المتجدد ومعطيات معيشة الكاتب، يقف عليها أو يدركها في مسيرته الحياتية تتعدد شخصياتها التي يقف عليها، يلبس القناع يتقمص الدور، يُخبر عن الحدث في زمان ومكان يحتويه، يرسم نبض الحياة ويبني جسد سرد الحركة والمواقف والسلوك في قالب لغوي وفضاء نصي.

إن أي عمل روائي "لابد له من حدث وهذا الحدث يتطلب بالضرورة زمانا ومكانا، إلاّ أن المكان الروائي هو الذي يستقطب جماع اهتمام الكاتب، وذلك لأن تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي. كما يرتبط الفضاء الروائي بزمن القصة فإنه يقيم صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص، وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات التخيلية"[10].

3- قصة وضّاح اليمن وأم البنين[11]

المرأة الثانية التي أحبها وضّاح ودفع حياته ثمناً لحبه لها، فهي ‹**أم البنين**› زوج الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وتقول الأخبار إنّ أم البنين هذه هي بنت عبد العزيز بن مروان و كان **وضاح** قد نشأ معها فأحبها وأحبّته، وكان لا يصبر عنها حتى إذا بلغت حجبت عنه فطال بهما البلاء، فحج الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها إلى الشام.

وذهب عقل وضاح عليها وجعل يذوب وينحل فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك كل يوم لا يجد حيلة حتى رأى يوماً جارية صفراء فلم يزل حتى أنس بها فقال لها: هل تعرفين أم البنين؟ فقالت: إنك تسأل عن مولاتي، فقال: إنها لابنة عمّي، وإنها لتسر بمكاني وبموضعي. فلو أخبرتها، قالت: عني أخبرها.

ومضت الجارية فأخبرت **أم البنين**، فقالت لها: ويلك أَوَ حَيٌّ هو ؟ قالت: نعم. قالت: قولي له: كن مكانك حتى يأتيك رسولي فلن أدع الاحتيال لك، فاحتالت إلى أن أدخلته إليها في صندوق فمكث عندها حيناً فإذا أمنت أخرجته فقعد معها وإذا خافت عين الرقيب أدخلته الصندوق. وذات يوم أُهدي للوليد ابن عبد الملك جوهر فقال لبعض خدمه خذ هذا الجوهر فامضِ به إلى **أم البنين** وقل لها: أهدي هذا إلى أمير المؤمنين فوجَّه به إليك، فدخل الخادم من غير استئذان ووضاح معها فلمحه ولم تشعر أم البنين، فبادر إلى الصندوق فدخله فأدى الخادم الرسالة إليها، وقال لها: هبي لي من هذا الجوهر حجراً، فقالت: لا أم لك، و ما تصنع أنت بهذا؟ فخرج الخادم وهو عليها حانق فجاء الوليد فخبره الخبر ووصف له الصندوق الذي رآه دخله، فقال له: كذبت لا أم لك، ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت وفيه صناديق عداد فجاء حتى جلس

على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم وهي في ذلك البيت وفيه صناديق عداد فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم. فقال لها: يا أم البنين هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه. فقالت: يا أمير المؤمنين، هي وأنا لك وملكك، فقال: لا أريد غير الذي تحتي. فقالت يا أمير المؤمنين إن فيه أشياء من أمور النساء، قال: ما أريد غيره، فقالت له: هو لك.

ثم أمر الوليد بالصندوق فحمل ودعا بغلامين فأمرهما بحفر بئر، فحفِر، حتى إذا بلغا الماء وضع فمه على الصندوق وقال: أيها الصندوق: إنه قد بلغنا عند شيء، فإن كان حقاً فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك، وإن كان كذباً فما علينا حرج في دفن صندوق من خشب. ثم أمر به فألقى في الحفرة، وأمر بالخادم فقذف في ذلك المكان فوقه، وطَمَّ التراب عليهما جميعاً. فلك يَرَ الوضاح منذ ذلك الحين".

4- تحليل القصة

إذا جئنا إلى النص رأيناه قد استوفى المعايير الفنية لإنشاء قصة أدبية جمالية بمفهومها الحديث، مكتملة للعناصر المكونة لها:

"الموضوع، الفكرة، الحدث، الحبكة، الزمان والمكان، الشخصيات، الأسلوب واللغة، الصراع، العقدة والحل".

كان الشاعر قديما، كالصحفي المتشرّد، أينما وجد ضالته أسقط متاعه وأوطد وثاقه وبنى مسكنه، ليرهن قلمه في خدمة اليد السخية والهيبة المركزية، وكان وضاح عاشق للجمال كسائر البشر، والمحبوبة هي بنت الصبا والمنشأ، كبرت البنت فأغرمت وتزوجت من رجل عظيم، الكل يتمنى العيش في القصر والمكوث في سخاء الملك، إلى هنا القصة تجري مجرى العادة كقصص الحب والغرام ليفاجئنا السارد بطيف خفي يحوم حول القصر، في نفسه غرض...وقفة زمكانية (حول القصر حراس وجواري، والزمان النهار لا الليل) دليله"حتى رأى جارية صفراء" دلالة اللون توحي على اليوم لا الليلة، ففي الليل لا يظهر اللون إلا مع نور الضوء، والفانوس نوره قليل، وضوء البدر يبدي الطريق لا اللون "فأخبرتها" فحدث الاسترجاع "ويلك أوحيٌ هو!؟" فتذكرت حنين الماضي والخوف من الآتي، "كن مكانك حتى يأتيك رسولي" لهفة الاستقبال وشوق الماضي وحنين الصبا يعود إليها من جديد، كن مكانك القوة في العجلة والتصرف مخافة، أن يبصره حراس الملك ولما لا يكون الزوج. لا تبرح المكان ولم تستعمل أداة التسويف البعيد سوف يأتيك بل حتى يأتيك، والغاية سيأتيك.

بعد هذه التقدمة وقع الخلل في بنية النص أدخلته، خبأته، وارته عن الأنظار لكن أين؟ "في صندوق"، حتى إذا أمَّنت عليه أخرجته وقَعَدت معه ثم وارته الصندوق مرة أخرى؛ إذا شكَّت في العيون، إنه لتمهيد من السارد على نهاية القصة، فهو يحملك إلى العيش في زمن اللاشعور واستباق أحداث القصة، هل سيموت خنقا؟ مع أن الصناديق مقفلة ولا يوجد بها فتحة للتهوية، كيف كان يتنفس "وضاح" هو السؤال الذي يدور في رأس القارئ.

يتصل بالنص حدث آخر هدية لأمير المؤمنين، شخصية أخرى يستعملها السارد للنفوذ إلى ثغرة ثانية، حارس الأمير يذهب بالجوهر الكريم إلى أم البنين، هنا وقع الإشكال "حارس يدخل على سمو الأميرة وهي في غرفة نومها...كيف له أن يدخل عليها؟ ألم يكن بالباب حراس؟ ألم يكن عند بابها جوارٍ؟ أم هي من دفعتهم إلى مغادرة باب الغرفة والغرفة معاً، حتى تستفرد بعشيقها الأول "وضّاح"، فوجد الباب دون حراس فخاف عليها ودخل دون استئذان، أم أن الخادم كان يتجسس عليها فأراد التأكد، وإن كانت الأخيرة فكيف للراوي أن ينساه ولم يذكره؟ فيها نوع حبكة من الراوي لهذه القصة.

ثغرة أخرى في النص، يراه الخادم فيهبّ مسرعا وضاح إلى الصندوق ليختبئ، فيستدرج الخادم الأميرة لتعطيه من الجواهر، كعادة الملوك، من أنت أيها الخادم لتُهدد الأميرة ولو بالفعل لا القول فتستصغره بقولها:

"لا أم لك" وهي مَعْيرة ومَسبة لمن أرادوا استصغاره بالطعن في نسبه، وما تفعل أنت بالجواهر؟، يصوّر لك السارد صورة الخادم أمام الملكة وهي تستصغره، كيف هي ملامح وجهه، ما يدور في رأسه، هل سيخبر الملك أم يدس الخبر؟، ثم يجيب بِهَبَّة إلى سيده والكيل بمكيالين للملكة 'الانتقام' يروي له ما رأى والصندوق يصفه، ولو كان ذكيا ما أخبره؛ لأنه لا يمكن للخليفة أن يترك أثر الفضيحة ولو من أخبره.

حدث آخر إخبار الخليفة وردت فعله المتوقعة مسبقا، كيف يخطط لاستظهار الحقيقية، ليأتي على خطى متثاقلة وكأن شيئا لم يكن، فيدخل على الأميرة، فتبدي له ارتياحها والترحيب به؛ لأن التوتر سيفضحها، ويفشي سرها، ثم يتقصى الخليفة الصناديق أيهم تلك، فيرمقه بصره ثم يجلس عليه، ثم يسألها أن تهديه كما أهداها، من هديته؟إنه الصندوق الموصوف، فتجيبه محاولة الهروب بسرها ومخفيته، وما تريد به غير حوائج النساء فيه، يصر ملحا، فليس لها حيلة غير أنها تجيبه: "هو لك!!".

لماذا لم تدافع عن حبيبها؟ وتمت معه كالقصص المشهورة المعروفة، هروب من الزوج ثم الموت معا، أم أنها خافت الفضيحة على عشيرتها وقبيلتها؟ أم أنها استسلمت وفضلت المادة والمكانة وستر العار والفضيحة على الحبيب؟لماذا لم تُهَرِّبه قبل قدوم أي شخص غير متوقع؟.

لتتواصل القصة كما يريدها السارد، أخذ الخليفة الصندوق، ومعه المُخبر وغلامين، فحفرا الحفرة ورميا السر والخادم فدُفنا، ثم يقول مقولته :"أيها الصندوق: إنه قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقا فقد دفنا خبرك ودرسنا أثرك، وإن كان كذبا فما علينا حرج في دفن صندوق من خشب"، ليختم السارد القصة بقوله""فلم ير الوضاح منذ ذلك الحين".

5- فضاءات القصة:

إن للفضاء أهمية سردية يُحظى بها العمل الروائي، وتمكن النُظَّار والدارسين من تأويل النص وإنتاجية التلقي فالشخصيات والحدث والزمان والمكان[12] عناصر إن انعدمت في النص شُل السرد، وإذا تخلف أحدهما عن الآخر كان للبنية السردية خلل في مكونها السردي، ولا يقل المكان جوهريةً عن هذه العناصر، "باعتباره مكونا سرديا في المقام الأول، وعنصرا حاسما في المقام الحكائي"[13]، وأول الفضاءات التي أشار إليها غير واحد فضاء:

- **العنوان:**

بدأ السارد في اختيار الأمكنة التي يجد فيها الشخصيات التي يريد قصدها لسيرورة أحداث القصة، وكأنه استبق الشيء قبل أوانه، عنوان بمركب عَطفي، وكأنه يطير بك في عقل المتخيل السردي إلى أمكنة تُعد من الخوارق التي لم تألفها، والطابوهات التي لم تعهدها، وسيبدأ العقل في عرض الأمكنة قبل استظهارها في النص (أمكنة كان يعتادها الشعراء القدامى حين عشقوا، صحار وطلل، خيول وواحات، لتطل علينا نافذة بها شعاع كلما تقدمنا إليها زاد النّور، لنطل على عالم رومانسيّ، يتخلله نظام منضبط، أوصاف في صوّر تتشوق العين لرؤيتها، أو ربما هجران بينهما وحرب دامية لمعرفة قصتهما، لا لا يمكن للحرب أن تنشب فقد عشق الملوح ليلى، ووثبة الأخيلية وغيرهم كثير ولم تكن الحرب فهل وضاح وأم البنين كقصة البقية؟ هذا ما أراده السارد...إنها مخيلة القارئ للعنوان)، لنصطدم بواقع سردي في نص يفارق الصورة الذهنية التي رسمها العنوان، كسابقة أراد منها إحداث انفجار في نص سردي بين الملقي والمتلقي عبر دبدبات كانت هي البداية، فاختار لعنوان قصته عتبة قبل رؤية حقيقة النص، ليخلق لك متعة مشاهدة المشاهد وكأنها تعرض عليك، وتخترق أفق توقعك؛ محدثة بذلك تلك الجمالية. بداية المنشأ وموطن المنبت "أحبها ونشأت معه" فكان أول فضاء مسقط الرأس.

- **الفضاءات النصية:**

الفضاء	الإشارة إليه
المدينة[14]	وتقول الأخبار إنّ أم البنين هذه هي بنت عبد العزيز بن مروان و كان وضاح قد نشأ معها
الشام	فبلغه جمال أم البنين وأدبها فتزوجها ونقلها إلى الشام.
القصر	يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك
الصندوق	أن أدخلته إليها في صندوق
البيت	ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت
الصناديق	وفيه صناديق عداد فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وصف له الخادم
البئر	ثم أمر الوليد بالصندوق فحمل ودعا بغلامين فأمرهما بحفر بئر

إن لكل حدث فنيّ زمان يؤطره وفضاء يحتويه، ورؤى سردية تفسر معانيه، فلا حياة لحدث سردي دون فضاء سكوني تعيش داخله الأحداث والشخصيات، لذلك يتصل الفضاء بغيره من المكونات السردية ليقيم علاقة داخل المادة الحكائية، فبالنظر إلى تلك العلاقات التي تقيمها الشخصية يرصد لنا السارد فضاءات تتخللها أمكنة بها أحيزة، فأول فضاء أشار إليه إشارة الفلاش باك Flashback "**المدينة**".

الفضاء الأول 'المدينة': ولاية منشأ الحب، وكأن السارد يخبر القارئ عن أحداث ماضية ممثلة في قوله" وكان لا يصبر عنها حتى إذا بلغت حجبت عنه فطال بهما البلاء"، فاستحدث لبداءة القصة فضاء وإن لم يصرح به، وكأن الفضاء الحجازي له من العادات في نسائه ما لغيره، لكن ما أسهب فيه ولم يطل الحديث عنه بل اكتفى بالإشارة حتى يجر عقل التلقي إلى التخييل السردي.

الفضاء الثاني 'الشام': بعد تشغيل الفلاش باك احتاج السارد إلى مكان آخر لبناء أحداث أخرى لملء بقية السرد مع ذكريات الماضي وكأنه على دراية بالبرمجة التلفزيونية وعروض الدراما، فالفضاء موطن الشام، والمكان قصر الخليفة، أمّا عن الأحيزة المرئية فعددها ثلاثة البيت والصندوق والبئر، وللخيال الانبساط في تشخيص هندسة القصر وأروقته.

لم يستند السارد على فضاءات كثيرة لعدم شل حركة الفلم القصصي، وليُبدي الواقعية مع ضرب من الخيال، برسم صورة الدراما، فاستحدث أحيزةً كانت بمثابة الأكسجين للقصة، حتى ما إذا أرادنا جعلناها في سلسلة مشاهدات، كيف له أن يخترق وضاح القصر؟ كم من يوم وليلة بات يراجعه وينظر إلى حيطانه العالية؟ هل من حيلة تجره للنظر إلى العشيقة؟ تساؤلات كثيرة تدور في عقل التلقي.

أراد السارد بهذه الأمكنة القليلة نهاية هذه الإثارة المشوّقةِ، فبعدما حبك القصة عقدها بعقدة دخول وضاح، فكان التلقيّ حاضرا بطرح السؤال: هل سيُرى وضّاحٌ في القصر؟ كيف وإن رآه الحراس؟ فكان لحيز الصندوق جوابا للسؤال، ثم أزّمها برؤية الحارس له مستغلا لعنصر التشويق حين سأل الحارس أم البنين بأن تعطيه مما أهداه لها الحاكم فأبت، ليأتي الحلّ بحيز آخر وهو البئر كإعلان على نهاية القصة وفك العقدة.

بالإضافة إلى فضاء النص كتقنية يمارس فيها السارد حرية التنقل بين أروقة الأفكار، في وضع علامات تساعد القارئ في فك شفرات سيميائية لنلمس دلالات خفية خلقها النص، تخاطب عينه بالقراءة وتعلق قصاصات انحرافية في فضاء الورقة المكتوبة "إذ لا مكان خارج المخيلة"[15].

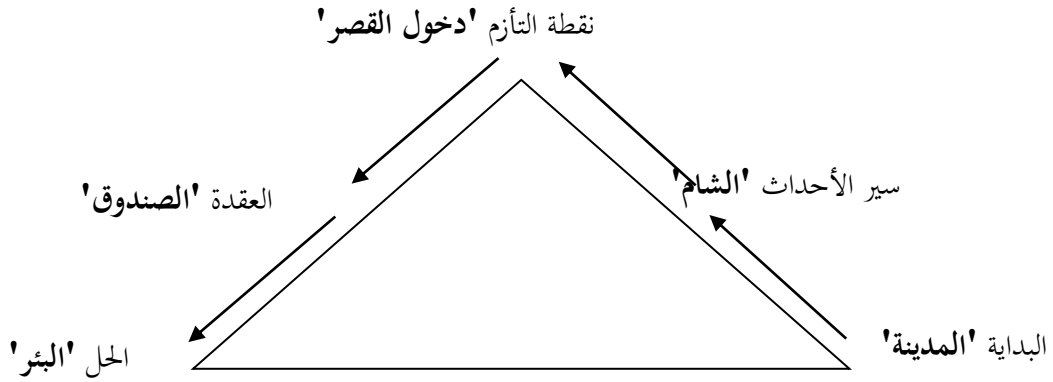

تمثيلية الأمكنة في القصة

6- الخاتمة:

تجمع القصة بين مزدوجتها فواصل، تتبعها ثغرات، تتخللها فجوات وعتبات نصية؛ وهي جزء من الاستراتيجية في القراءة، لتتيح لنا هذه اللعبة الازدواجية في الرؤية بين الخيال والواقع، ومشاركة السارد في بنائه النسقي، "أم البنين"، "وضاح"، "الجارية"، "الحارس" "الخليفة"، "الصندوق"، "الحفرة"، "القصر"، "النهار"، سُجن في الحياة داخل صندوق ورمَوه في الحفرة التي تشبه البئر العميق، ولم يتكلم وضّاح بكلمة، وها هي التداولية تُخرج وضّاح من صندوق الموت إلى الحياة، هل دفن وضّاح حقا؟، أم أخرجته طليقا طريدا؟، لا يمكن لداخل الصندوق أن يعيش وراء الموت المُبكِّر قبل مجيء الخبر، فلابد من هروب ولا يمكن للعاشق أن يرى من يحب ميتا، فهل هذه القصة حقيقية أم مجرد محض الخيال؟.

"وضّاح وأم البنين" قصة تراجيديا الحياة، حب ورومانسية تنتهي بمأساة، رواية عاطفية كانت الظروف سببا في الحيلولة بينهما، تزوجت وانتهت برؤية حبيبها في صندوق تحت التراب ربما كانت من وحي الشعوب العربية المحبة لعرض مثل هذه القصص.

الهوامش:

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، دط، بيروت لبنان، دت، ص382.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: محمد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط7،القاهرة، 1418هـ 1998م، ج1/ ص367-369.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 'العصر الإسلامي'، دار المعارف، دط، مصر، دت، ج2/ ص435-436.

[4] محسن يوسف، الظواهر القصصية عند العرب، دار المنار، ط1، سوريا، 1989، ص75، نقلا عن هويدة حسن عثمان كنه، القصة في العصر العباسي، رسالة ماجستير، إش: فؤاد شيخ الدين عطا، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا الآداب، 2003م، ص39.

[5] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، دط، القاهرة، 2004م، ص103.

[6] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م، ص65.

[7] غاستون باشلار، جمالية المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت لبنان، 1404هـ 1984م، ص6.

[8] م ن، ص ن، فرق بين المكانية والمكان، فالمكانية هي تلك الصورة الفنية أما المكان فهو ما أشار إليه سابقا في التعريف.

[9] محمد صابر عبيد، التشكيل النصي (الشعري، السردي، السير الذاتي)، مؤسسة اليمامة الصحيفة بالرياض، ط1، السعودية، 2003م، 373.

[10] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن . الشخصية،ط1،المركز الثقافي العربي،بيروت، 1990م، ص29.

[11] أحمد الزيات ومحمد بهجت الأثري، ديوان وضاح اليمن، دار صادر،ط1، بيروت، لبنان، 1996م، ص18-19.

[12] المكان هو جزء من الفضاء كما سبقت الإشارة إليه، وممن اختار هذا التوجيه لحمداني في كتابه "البنية السردية".

[13] جنيت، كولدتستين وآخرون، الفضاء الروائي، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، بيروت لينان، 2002م، ص6.

[14] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9/ عبد العزيز بن مروان/ https://ar.wikisource.org/wiki.

[15] فتيحة كحلوش، بلاغة المكان قراءة في شعرية المكان، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، 2008م، ص5.

المجلد01/ العدد02

ديسمبر 2021م

جميع الحقوق محفوظة

2021/12/31